

إعداد وترتيب

لجنة التحقيق في الدار

مراجعة

يوسف عبد الكريم عساني

مدرس الشريعة الإسلامية

في ثانويات حلب

تدقيق

زهير مصطفى يازجي

مدرس اللغة العربية

في ثانويات حلب

مكتبة الإيمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت : ٣٥٧٨٨٢

الطبعه الأولى

مكتبة الايمـــان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥١٨٨٢


شباب حول الرسول



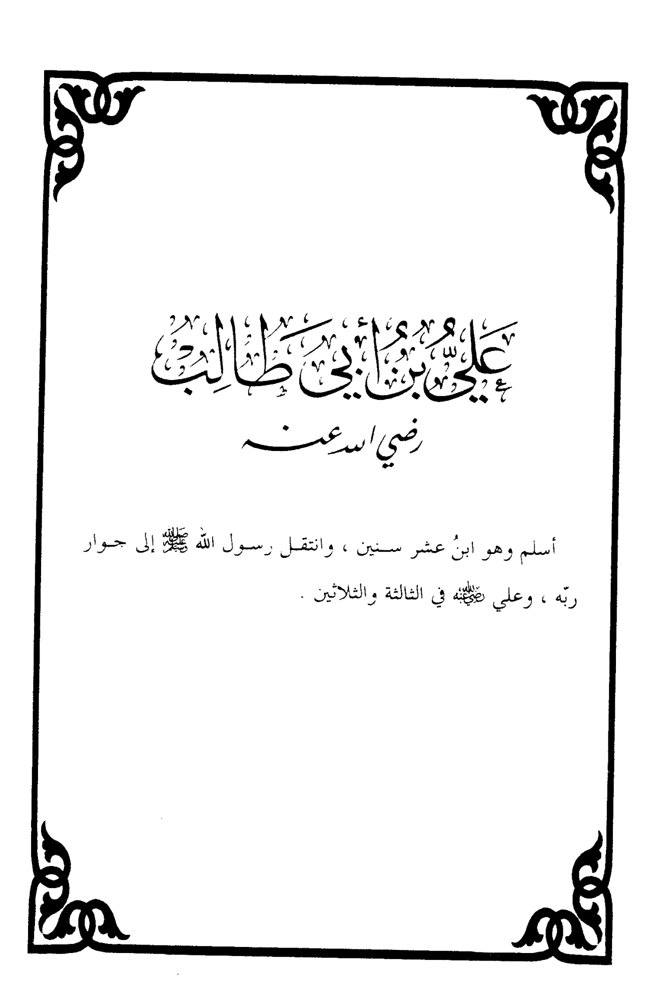
المقدمة

يسر دار القلم العربي بحلب أن تقدم سيرة مجموعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ممن آمنوا به وصدّقوا برسالته ، إنهم الشباب الأوائل الذين أضاء الإسلام قلوبهم ، فالتفوا حول رسول الله ﷺ يذودون عنه بأرواحهم ، ويدافعون عن دينهم الذي ارتضوه بكل شجاعة وإقدام فكان منهم القائد المحنك ، وكان منهم الفارس المغوار ، وكان منهم الصالح المتعبد ، وكان منهم العالم الفذُّ ، وكان منهم القارئ المجيد لكتاب الله عز وجلّ وكان منهم الكاتبُ لرسول الله ﷺ بل كانوا جميعاً رضوان الله عليهم أجمعين جمعون هذه الصفات والشمائل . وقد وردت أسماء هؤلاء الشباب حسب أسبقيتهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، فبدأنا بفتى الإسلام الأول : علي بن أبي طالب ﷺ وانتهينا بالصحابي الجليل الزبير ابن العوام ﷺ . ونحن إذ ندفع هذا الكتاب إلى القارئ العزيز لنرجو من الله عزَّ وجلّ أن ينال هذا الكتابُ رضى وقبولاً والحمد لله الذي هدانا لهذا .

والله من وراء القصد

النــاشـــر





علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

أسلم وهو ابنُ عشر سنين ، وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربّه ، وعلي رضي الله عنه في الثالثة والثلاثين .



نَسبه :

هو أبو الحسن علي بن عبد مَناف ، وكنيةُ عبدِ مَنافٍ أبو طالب ، ابن عبد المطّلب بن هاشم ، وأمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فهو قرشيٌّ الأبوين ، وأصغرُ إخوته ، وكان يكنى أبا الحسن ، وأبا تراب ، قال عليّ ﷺ : حَسبي حَسبُ رسول الله ﷺ وديني دينُه ، فمَن تناولَ مني شيئاً فإنما تناولَه من رسول الله ﷺ ، وكانتْ أمُّه قد سَّمتْه لّما وُلِدَ حيدرة ، والَحيدَرةُ الأسد ، وقد وضعتْهُ داخلَ البيتِ الحرام ، قبلَ الهجرة بثلاثة وعشرين عاماً ، وقبل البعثة بعشر سنين .

نشأته :

كانَ أبو طالب قد حدَب[1] على ابن أخيه محمّد ﷺ ، فضمّه إلى أبنائه ، ليدفعَ عنه عوادي اليُتْم ، وكان أبو طالب فقيراً رقيقَ الحال ، فلما شبّ رسول الله ﷺ مدّ يد الوفاء إلى عمّه ، وأخذ أحدَ أبنائه إلى بيته ، ليخفّف عنه شيئاً من النفقة ، فنشأ عليّ ﷺ في بيت رسول الله ﷺ على العِفّةِ ، والأمانةِ والاستقامة وعالي الشمائل ، ورفيعِ السَّجايا[2] فلم يتدنّسْ بدنس الجاهلية ولم يعبدْ وثناً قط ولم يسجدْ لصنم ، ولذلك يقال : عليّ كَرّمَ الله وجهه .

---

(١) حدَب : عطَف .

(٢) السّجايا : الخصال .

إسلامه :

لّما بُعِثَ النبيُّ ﷺ آمنتْ به لتوِّها خديجةُ رضي الله عنها ، ورآهما علي رضي الله عنه يصلّيان ، فقال : يا محمّد ما هذا ؟ قال : دين الله الذي اصطفى لنفسه ، وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحدَه لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأنْ تكفرَ باللاتِ والعُزَّى ، وتَبْرأَ من الأنداد ، فأسلم عليٌّ ، وكتَمَ إسلامَه ولم يَظْهِرْه ، إلى أنْ كان مرّةً معَ رسول الله ﷺ ببَطْن نخلَة[1] وهما يصلّيان ، فطَلَع عليهما أبو طالب ، فقال : ماذا تصنعان يا بنَ أخي ؟ فدعاهُ رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال : ما بالذي تصنعان بأس ، ولم يمنعْ ابنه عن الإسلام

زواجه :

شَبَّ عليّ رضي الله عنه وهو ربيبُ النبيّ ﷺ وغَرْسُ يده ، وتَنْشِئةُ عينِهِ ، وقد آخاه عند الهجرة إلى المدينة ، وأصهر إليه ، فتزوّج عليٌّ فاطمةَ رضي الله عنهما ، وكانت في الخامسةَ عشرةَ من عمرها ، وهو في الخامسة والعشرين ، فرُزق منها الحسن والحسين ، ومُحْسِين وزينب ، وأم كلثوم ، وبقيتْ فاطمة رضى الله عنها امرأته الوحيدةَ ، ولم يتزوّجْ معها غيرَها ، إلى أنْ ماتتْ سنة إحدى عشرة للهجرة ، عندئذٍ تزوّجَ غيرها ، تزوّجَ تسعَ نسوة ، رُزق منهنّ خمس عشرة ابنةً وثمانية أولاد ، فصار بمجموع ما أنجبَ سبعَ عشرةَ بنتاً ، وأحدَ عشرَ ذكراً .

---

(١) بطن نخلة : مكان في مكة

برّه بنسوته وأولاده :

بلغ مجموع نساء الإمام عشراً ، تعاقبْنَ عليه خلال ما يقارب من أربعين سنة وكان يجمع أحياناً بين أكثر من زوجة ، وكان بهنّ جميعاً براً رحيماً ، وكان يوصي بالنساء خيراً ، ويقول : لا تهيجوا النساءَ بأذىً ، وإنْ شَتَمْنَ أعراضَكم ، وسَبْبنَ أمراءَكم ، فإنهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول .

وكان يحسُّ بغير قليل من البَهْجة كلّما سار وأبناؤه يحفّون به مِنْ حَوْله ، وكان يقول : إنّ للوالد على الولد حقّاً ، وإنّ للولد على الوالد حقّاً ، فحقُّ الوالد على الولد أن يُطيعه في كلّ شيء إلا في معصية الله سبحانه ، وحقّ الولد على الوالد أنْ يُحْسِنَ اسْمَه ، ويُحْسن أدبه ويعلّمه القرآن ، وكان على حزمه في التربية يُتيح لأولاده أن يناقشوه حتى في أخصّ الأمور ، وقد نقلت الروايات أن ابنه الحسن عليه السلام قال له يوماً : قد أمرتُك فعصيتني ، فتُقتلُ غداً بمعصيةٍ لا ناصر لك فيها ، فسأله : وما الذي أمرتَني فعصيتُك ؟ قال : أمرتُك يومَ أُحيطَ بعثمانَ عليه السلام أنْ تخرجَ من المدينة ، فيقتلَ ولسْتَ بها .. قال : أيْ بنيّ ، فو الله لقد أحيط بنا كما أُحيط به .

مبيته في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة :

عزمتْ قبائل الشِّرْك أن يَنْتدِبَ كلٌّ منها شابّاً قويّاً ، ويشترِكَ هؤلاء الشبابُ في قتل النبيّ ﷺ ، فيتفرّقُ دمه ، ولا يستطيع بنو هاشم أنْ يصنعوا شيئاً ، فأمَرَ النبيُّ ﷺ علياً عليه السلام أن ينامَ محلّه ، في فراشه ، وأوصاه أنْ يؤدّي الودائعَ التي ائتمنَ الناسُ عليها رسول الله ﷺ ، وخرج النّبي ﷺ من بين المُحْدِقين ببابه ، وأعمى الله عزَّ وجلَّ عنه أبصارهم .

هجرة عليّ ﷺ إلى المدينة :

أخرج ابن سعدٍ عن علي ﷺ قال : لَّما خرجَ رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أنْ أقيمَ بعده حتى أؤدّي ودائع كانتْ عنده للنّاس ، ولذا كان يُسمَّى الأمين ، فأقمْتُ ثلاثاً ، فكنتُ أَظْهَرُ ، ما تغيَّبْتُ يوماً واحداً ، ثم خرجْتُ فجعلْتُ أتبعُ طريقَ رسولِ الله ﷺ ، حتى قدمتُ بني عمرو بن عوف ، وهناك التقى برسول الله ﷺ في المدينة .

صلاةُ النبيّ ﷺ من أجل شفاء علي ﷺ :

قال عليّ ﷺ وَجعْتُ وجعاً فأتيتُ النبيَّ ﷺ ، فأقامني مكانه ، وقام يصلّي وألقَىٰ عليَّ طرَفَ ثوبه ، ثمّ قال : برئتَ يا بن أبي طالب ، فلا بأس عليك ، ما سألْتُ الله لي شيئاً إلاّ سألْتُ لك مثلَه ، ولا سألْتُ الله شيئاً إلاّ أعطانيه ، غير أنّه قيل لي : إنّه لا نبيَّ بعدَك ، قال عليٌّ ﷺ : فقمْتُ ، فكأني ما اشتكيْت .

عليٌّ ﷺ في خلافة أبي بكر ﷺ :

وقفَ عليّ ﷺ إلى جانب الصدّيق في حرْب المرتدّين ، وكان لا يضنّ عليه برأي ولا مَشْوَرة فيما ينفع المسلمين ، كان عليّ يحبّ أبا بكر رضي الله عنهما ويقول : لقد أمَر النبيُّ ﷺ أبا بكر أنْ يصلّي بالنّاس وإني لشاهدٌ ، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا .

وهذه المحبّة بين هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم مغروسةٌ في أنفسهم منذ زمن رسول الله ﷺ ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كانَ رسولُ الله ﷺ جالساً بالمسجد ، وقد أطاف به أصحابه ، إذ أقبل عليّ رضي الله عنه ، فسلّم ،

ثم وقف ، فنظر مكاناً يجلس فيه ، فنظر رسول الله ﷺ إلى وجوه الصحابة أيُّهم يوسّعُ له ، وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمين رسولِ الله ﷺ جالساً ، فتزحزح أبو بكر عن مجلسه ، وقال : ها هنا يا أبا الحسن ، فجلسَ بين رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ، فرأينا السرور في وجه رسول الله ﷺ ، وقال : إنّما يعرفُ الفضلَ لأهلِ الفضل أولو الفضلِ .

رأيّ علي رضي الله عنه في غزو الروم :

أراد أبو بكرٍ رضي الله عنه أن يفتح بلادَ الرُّوْمِ ، فجمع الصَّحابةَ رضوان الله عليهم ، واستشارهم في ذلك ، فقالَ كبار الصَّحابة مقولَتهم ، وقال عليّ رضي الله عنه : أرى أنّك إنْ سِرْتَ إليهم بنفسِك ، أو بَعثْتَ إليهم نُصِرْتَ عليهم إنْ شاءَ الله ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بشَّرك الله بخير ومن أين علمْتَ ذلك ؟ قال : سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول : لا يزالُ هذا الدِّيْنُ ظاهراً[1] على كلّ مَنْ ناوأه[2] حتى يقومَ الدينُ وأهله ظاهرون .

إنكاره على مَنْ فضَّله على الشَّيْخَيْن أبي بكر وعمر :

قيل : إنّ علياً رضي الله عنه بلغه أنّ ابنَ سبأ يفضّله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فهمَّ عليٌّ بقتله ، فكُلِّم فيه ، فقال : لا يساكُنني في بلدةٍ أنا فيها ، فنفاه إلى الشام .

---

(١) ظاهراً : غالباً .

(٢) ناوأه : خالفه .

مبايعته لعمر وعثمان رضي الله عنهم

كما بايع عليّ أبا بكر ، وقدّم له حقّ الطّاعة ، بايع من بعده عمر ، وزوّجه ابنته أم كلثوم ، وكثيراً ما كان يستخلفه على المدينة المنوّرة إذا غاب عنها ، وكذلك بايع عثمان من بعد عمر رضي الله عنهم ، ولم يألُ[1] نُصْحاً له ، وآزره حين ثار أهلُ الشَّغب عليه بولديْه الحسن والحسين ، وصارحه برأيه .

توليه الخلافة :

لم يكنْ سَهْلاً أنْ يجدَ الناسُ أحداً من الصَّحابة ذا كفاءة للخلافة يتسلّمها ، بعد مقتل عثمان ، رضي الله عنه ، فقد عرضوها على عليّ ، رضي الله عنه ، فأبى ، وأتَوْا طلْحة ﷺ ، فامتنْع ، واستخلفوا الزبيرَ ﷺ ، فاستنكفَ ، وأدرك كبارُ الصَّحابة من المهاجرين والأنصار فداحةَ المشكلة ، فبقاءُ المسلمين هكذا دون خليفة ، كغنم بلا راعٍ ، هو في حدّ ذاته مُصاب لا يقِلّ عن مُصاب المسلمين بأمير المؤمنين عثمان ﷺ ، ومن هنا ألحّ هؤلاء الصَّحابة رضوان الله عليهم على عليّ ، إذْ ليس في وقته مَنْ يملكُ مؤهّلاته وكفاءاته ، وما زالوا به حتى قبلَ الإمارة ﷺ ، وصار خليفةً للمسلمين ببيعةٍ عامّة .

---

(١) لم يأل : لم يدّخر أو لم يبخل

صفاته الجسمية :

كان عليّ ﷺ أسمر اللون ، واسع العينين ، كثير الشعر ، عظيم البطن ، عريض اللّحْية ، أميل إلى القِصَر ، وشابَ في كِبَرِهِ فلم يصبغْ لحيته ولا رأسه ، وكان ﷺ واضح البشاشة ، حسن الوَجْه .

شجاعته :

دخل عليّ ﷺ على فاطمة رضي الله عنها يوم أحد فقال :

أفاطمُ هاكِ السيفَ غيرَ ذميم ... فلستُ برعديدٍ[1] ولا بلئيمِ
لعمري لقد أبليتُ في نصرِ أحمدٍ ... ومَرْضاةِ ربّ بالعبادِ عليمِ

قتله لعمرو بن عبد ودّ العامري :

استطاعَ أحد أبطال بني عامر أن يقتحم الخندق ، الذي حفَره المسلمون بأمر النبيّ ﷺ ، وصار يتحدّى ، ويطلب المبارزة ، وكان عمروٌ مقنعاً بالحديد ، فقال عليّ ﷺ : أنا لها يا نبيّ الله ، فقال النبيّ ﷺ : إنّه عمرو ، اجلس . فأعاد عمرو تحدّيه ، وصار يستثير المسلمين بمثل قوله : ألا رجل يبرز ؟ أين جنّتكم التي تزعمون أنّه مَنْ قُتِلَ منكم دخلها ؟ فأعاد عليّ ﷺ رغبته في مصاولته ، والرسولُ ﷺ يقول له : إنه عمرو ، حتى قال عليّ ﷺ : وإنّ كان عمْراً ، فأذِنَ له النبيّ ﷺ ، فمضَى إليه وهو يقول ، وكان علي ﷺ في غاية البلاغة :

---

(١) الرعديد : الجبان .

لا تَعْجَلَــنَّ فقــد أتــاكَ مجيــبُ صوتِــكَ غــير عــاجزْ
في نيّــــةٍ وبصــــيرة والصِّــدْقُ مَنْجَــى كــلّ فــائزْ
إنّــي لأرجــو أن أقيــمَ عليــكَ نائحــةَ الجنــائزْ
مِــنْ ضَرْبــةٍ نَجْــلاءَ يبقــى ذكرُهــا عنــد الهزاهــزْ[1]

وقال له عليّ ﷺ : يا عمرو ! إنّك قد كنت عزمْتَ ألاّ يدعوك رجلٌ إلى خَلَّتَيْنِ[2] إلا اخترْتَ إحداهما ، قال : أجل ، قال : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، قال : لا حاجةَ لي في ذلك ، قال : فإنّي أدعوك إلى المبارزة ، فقال : إنَّ مِنْ أعمامك مَنْ هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أقتلك ، قال عليّ : لكني لا أكره أن أقتلك ، فغضب عمروٌ ، وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار ، ثم أقبل نحو عليّ وعلاه بالسيف ، فاستقبله عليّ بالدَّرَقة ، وهي تُرْس من جلد ، فقُطعت ، ووصل السيف إلى رأس عليّ فشجّه ، وضربَ عليّ ﷺ عَمْراً على حبل عاتقه فسقط ، وثار العَجاج ، وعلا التكبير ، وعرف المسلمون أنّ علياً ﷺ قد قتلَ عمْراً ، وفي ذلك يقول الإمام عليّ :

عبدَ الحجــارةَ مِــنْ سَــفاهةِ رأيــهِ وعبــدْتُ ربَّ محمّــد بصوابــي
لا تحســبَنّ الله خــاذلَ دينــهِ ونبيِّــه يــا معشــرَ الأحــزابِ

---

(١) الهزاهز : الحروب
(٢) خلتين مفردها خلة وهي الصفة الحميدة أو المكرُمة ..

وكانت شجاعةُ عليّ ﷺ مصحوبةً بخصال تتعلّق بها وتزينها ، فهي شجاعةٌ في الحقّ ، تترفّع عن الظُّلْم والعُدْوان ، ولم يُعْهَـدْ عـن سيدّنا علـيّ ﷺ أنـه بـدأ أحدًاً قطّ بقتال ، وله مندوحة عنه ، أو مُنْصَرفٌ ، قال لابنه الحسن ﷺ : يا بنيّ لا تَدْعُوَنَّ إلى مبارزة ، فإنْ دُعْيتَ إليها فأجبْ ، فإنّ الداعي إليها باغٍ ، والباغي مصروع .

وكان عليّ ﷺ يجمع إلى شجاعته المروءة ، فكان يوصي جنده ألاّ يقتلوا مُدْبراً[1] ولا يُجْهزوا على جريح ، ولا يكشفوا ستراً ، ولا يقتحموا داراً ، ولا يأخذوا مالاً .

قوّته :

كان عليّ ﷺ عريضَ المنكبَيْن ، لهما مشاشٌ[2] كمشاش السَّبُع الضّاري ، لا يتبيّـن عَضُدُه مِـنْ سـاعدهِ ، ضَخْـمَ العَضَـلات ، شَـثْنَ[3] الكَفَّيْـن ، يُهـرولِ إلى الحرب إذا قامتْ هَرْولة ، فلا يَلْوي على شيء ، فكان ﷺ قويّـاً جـداً ، وربَّمـا رفع الفارسَ بيده فجلَد به الأرضَ ، ويمسك بذراع الرجل فلا يستطيع أن يتنفّس وشُهِرَ عنه أنّه لم يصارعْ أحداً إلا غلبَه ، ولم يبارزْ خصماً إلا قتله ، وقد يحمل البابَ الكبير الذي يعيا بـه عـدّة رجـال ، ويصيـحُ الصيحـةَ فتنخلـعُ لهـا قلـوبُ الشجعان .

---

(١) مدبراً : هارباً .
(٢) المُشاش : رأس العظم .
(٣) شثن الكفين : غليظ الكفين .

تواضعه :

كان عليّ ﷺ عنه ، وهو الذي تربّى في بيت النّبوّة ، متواضعاً ، يعافُ الكِبْر ويواسي الضعفاء ، ويساعد الفقراء ، وكان وهو شابٌ من شباب محمّد ﷺ تأتيه مغانم حربيّة ، ويعمل وقتَ السِّلْم ، إذا احتاج ، بما يُتاح له ، ولو أنْ يصنع طيناً ، فيُجْهِدَ نفسَه ، ويأخذ أجرتَه ستّ عشرة تمرة ، ولمّا اسْتُخلِفَ رآه رجلٌ يحمل تَمْراً ، فقال له : أحملُ عنكَ يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، أبو العيال أَحَقُّ أنْ يحمل .

وكان أميرُ المؤمنين يمشي في الأسواق ، فيرشدُ الضّالّ[1] ، ويعينُ الضعيف ، ويأمرُ الناسَ بتقوى الله وحُسْنِ البَيْع ، ويقرأ هذه الآية الكريمة : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخرةُ نجعلُها للّذينَ لا يريدُوْنَ عُلُوّاً في الأَرْضِ ولا فَسَاداً والعاقِبَةُ للمتَّقِيْنَ ﴾[2] ، وكان يوصي الباعةَ ، فيقول : أوفوا الكيل والميزانَ ، ويقول : لا تنفخوا في اللحم . ويقول : بيعوا ولا تحلفوا ، فإنّ اليمين تنفق السلعة ، وتمحقُ البركة .

زهده :

شبَّ عليّ ﷺ على نَهج النبيّ ﷺ الذي إنْ أَكَلَ فإنّما هُنّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبه ، وإنْ طلبتْ نفسُه نعيمَ الدنيا ، أعطاها شيئاً مما تطلبه ، حلالاً طيباً ،

---

(١) الضال : الضائع أو التائه .

(٢) سورة القصص ٨٣ .

وادّخر لها النصيب الأوفر إلى الآخرة ، ويعيش في الدنيا كأنه غريبٌ أو عابرُ سبيل ، أو كراكبٍ استظلّ تحت شجرةٍ ثم مضى عنها ، وتركها .

كان عليّ عليه السلام يحبّ أن يخشوشن في حياته ، ويجاهد حتى لا تغرّه الدنيا ، وقد أُتي إليه مرَّة بفالودج ، وهو نوع من الحلوى ، فوُضع قُدّامه ، فقال : إنّكَ طيّبُ الرِّيح ، حسنُ اللّوْن ، طيّبُ الطَّعْم ، لكنْ أكره أنْ أعوّد نفسي ما لم تَعْتَدْهُ ، وكذلك كان عليّ عليه السلام يلبسُ خشنَ الثياب وأحياناً يُرَقّع إزاره ، فقد خرج يوماً إلى الناس وعليه رداء وإزار قد وثّقه بخرْقة ، فقيل له ، فقال : إنّما ألبس هذين الثوبين ليكون أبعد لي من الزّهْو[1] ، وخيراً لي في صلاتي ، وسنّة المؤمنين .

لقد كان في استطاعة أمير المؤمنين أن يلبس أفخر الثياب ، أو أن يلبس ثياباً ما هي بالفاخرة وما هي بالمُمْتَهَنة ، لكنّه خاف مَقامَ ربّه ، ونهى النفسَ عن الهوى ، ليسعد هناك في جنّة المأوى ، وهذه التربيةُ العالية للنّفْس هي التي حملَتْه مرّة على أنْ يركب حماراً ، ويدلّي رجليه ، ويقول : أنا الذي أهنْتُ الدنيا .

وأكلَ عليٌّ عليه السلام تَمْرَ دَقَلٍ[2] ثم شرب عليه الماء ، ثم ضربَ على بطنِه وقال: مَنْ أدخلَه بطنُه النارَ فأبعدَه الله ، ثم تمثّل :

فإنّك مهما تُعْطِ بطنَك سؤْلَهُ وفَرْجَكَ نالا منتهى الذمِّ أجمعا

---

(١) الزهو : الكِبْر والفخر

(٢) الدقَل : ردئ التّمر ويابسه

وقيلَ لعليّ ﷺ : يا أمير المؤمنين ، لِمَ ترقّع قميصك ؟ قال : يخشعُ به القلب ويقْتدي به المؤمن .

أمانته :

كان عليٌّ ﷺ يعلم أنّ الله عزّ وجلّ مسائِلُهُ عن شعبه ، لا يمسكُ عن أحد حقّاً ، ولا يعطي أحداً شيئاً دون حقّ ، لأنّه سيكون قد أخذه من حصّة غيره ، رُوي أن أخاه عقيلاً لزمه دَيْن فقدِمَ على أخيه أمير المؤمنين بالكوفة ، وشكا إليه دينه ، وكان أربعين ألفاً ، فقال : ما هي عندي ، ولكن اصبرْ حتى يخرج عطائي فإنّه أربعة آلاف ، فأدفعه إليك ، فقال : بيوت المال بيدك ، وأنتَ تسوّفني بعطائك ، قال : أتأمرني أنْ أدفع إليك أموال المسلمين ، وقد ائتمنوني عليها ؟

عدله :

كان عليٌّ ﷺ فقيهاً رفيعَ المستوى ، بل كان مضرب المثل في الحكم والفُتيا وكان يتحرّى القسط ، ويعلم أنّ هذا الأمر بميزان الله ، فمن أدخل فيه هواه جارَ[1] ونأى[2] عن الشريعة الرّبانيّةَ المرتضاة ، ويروى أن امرأتين ، عربية ومولاةً ، أتَتَا إليه ، لتأخذا عطاءَهما ، فأعطى كلاًّ منهما أربعين درهماً ، فلمّا انصرفت المولاة قالت له العربية : تعطيني مثلها ، وأنا عربيّةٌ وهي مولاة ؟ فقال لها : إني نظرتُ في كتاب الله عزّ وجلّ فلم أرَ فيه فضلاً لولدِ إسماعيل على ولد إسحاق ، عليهما الصلاة والسلام .

---

(١) جار : ظلم .
(٢) نأى : ابتعد .

توكله على الله تعالى :

قال يحيى بن مرَّة : كان عليّ بن أبي طالب ﷺ يخرجُ بالليل إلى المسجد يصلّي تطوعاً ، فجئنا نحرسُه ، فلما فرَغ أتانا فقال : ما يجلسكم ؟ قلنا : نحرسُك ، فقال : أمِنْ أهلِ السماء تحرسون أمْ مِنْ أهل الأرض ؟ ، قلنا : بل مِنْ أهل الأرض ، قال : إنّه لا يكون في الأرض شيء حتى يُقْضى في السماء ، وليس من أحدٍ إلاّ وقد وُكّل به ملَكان يدفعانِ عنه ويكلآنِه[1] ، حتى يجيءَ قَدَرُه فإذا جاز قدرُه خَلّيا بينه وبين قدره .

استشهاد الإمام :

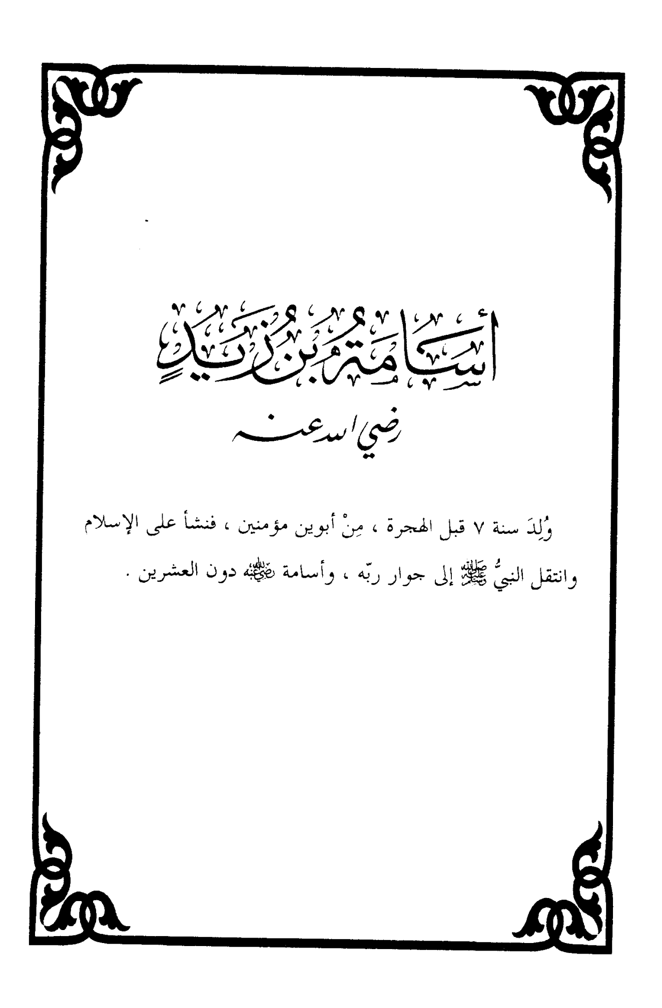
قال عليّ ﷺ : إنّ عليَّ من الله جُنّةً[2] حصينة ، فإذا جاء أجلي كُشف عني فإذا جاء قدرُه لقد خاض هذا الصحابيُّ الجليل في شبابه وكهولته معارك كثيرة ، وجُنّةُ الله الحصينةُ عليه لم تبرحْهُ ، ولم تكشفْ عنه لا في بدر ولا أحدٍ ولا يومَ الخندق ، وكان قد اشترك في كل المشاهد والغزوات أيام الرسول ﷺ ، إلا غزوةَ تبوك ، فقد استخلفه النبيُّ ﷺ يومئذ على المدينة ، ولّما قُتِلَ عثمانُ وأجمع الصحابةُ على ضرورة قَتْلِ قاتليه ، ثم افترقوا في الوقت الذي ينبغي أن ينتقموا منهم ، فالسيدة عائشةُ وطلحةُ والزبيرُ طالبوا بالانتقام منهم مباشرة ، منذ تَسَلُّمِ الإمام عليّ ﷺ للحكومة ، وأراد هو أنْ يتريّثَ حتى يتحقّقَ في المسألة ، وأن

---

(١) يكلآنه : يحفظانه .

(٢) جنّة : وقاية وستر .

يعالجها على نحو يُطْفِئ الفتنة .. كان كلّ من الطائفتين ، رضي الله عنهم أجمعين ، له اجتهاده ، والتقَوْا يوم الجمل ، ثم التقى علي ومعاوية رضي الله عنهما في صفّين ، و لم يُبَتَّ في أصل المُشْكلة ، وما زالتْ كذلك حتى امتدّتْ يد الخوارج إلى عليّ رضي الله عنه فاغتاله عبد الرحمن بن مُلْجَم المرادي ، ليلة الجمعة ، في السابعَ عشرَ من رمضان سنة ٤٠ هـ في مسجدِ الكوفة ، فاستُشهدَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه .



أسامة بن زيد

رضي الله عنه

وُلِدَ سنة ٧ قبل الهجرة ، مِنْ أبوين مؤمنين ، فنشأ على الإسلام وانتقل النبيُّ ﷺ إلى جوار ربّه ، وأسامة رضي الله عنه دون العشرين .

أسرته :

هو أبو محمّد أسامةُ بنُ زيد بن حارثـة ، مـن كنانـةِ عَـوْفٍ ، وُلِـدَ بمكّـةَ قبـلَ الهجرةِ النبويّةِ بسبعِ سنين ، وكان أبـواه مؤمنَيْـن ، ومـن أكـثر النـاس ألفـةً عنـد رسول الله ﷺ ، فأبوه زيدُ بن حارثة ﷺ كان من أوّلِ الناسِ إسـلاماً ، وكـان مولىً عند خديجةَ رضي الله عنها ، فلمّـا صـارَتْ عنـدَ رسـولِ ﷺ أهـدتْ إليـه مولاها زيداً ، فأكرمَه وأحسنَ معاملَته ، وآثرَ المقامَ عنده على العَوْدة إلى أهلِه لّما التَقْوا به بعدَ طُول غياب ، وأمُّ أسامةَ هي أمُّ أيمَـنَ الحبشـيّة ، رضـي الله عنهـا ، واسمها بَركة ، وكانتْ مملوكةً لآمنةَ بنتِ وهـبٍ أمّ النبيّ ﷺ ، وكـانت معهـا لمـا توفيتْ ، فعادت بمحمد ﷺ إلى جدّه عبد المطّلب في مكّة ، وهي الـتي حضَنَتْـه وربَّتْه ، وقامتْ على خِدْمته .

برّه بأمّه :

قال محمّد بن سيرين : بلغتْ قيمةُ النخلـةِ علـى عهـد عثمـان بـن عفّـان ﷺ ألـفَ درهـم ، وإذا بأسـامةَ بـن زيـدٍ ﷺ يعمـدُ إلى نخلـة ، فينقُرهـا ، ويُخـرِجُ جُمَّارَها[1] ، ويطعِمُهُ لأمِّه أمّ أيمَنَ رضي الله عنها ، فقالوا له : مـا يحملُـكَ علـى هذا وأنتَ ترى النخّلـةَ قـد بلغـتْ ألـفَ درهـمٍ ؟ قـالَ : إنَّ أمـيّ سـألَتِنيه ، ولا تسألُني شيئاً أقدِرُ عليه إلا أعطيتها .

---

(١) الجُمّار : قلب ساق النخّلة .

النبيُّ ﷺ يُرْدِفُ أسامة رضي الله عنه :

كان زيدٌ أبو أسامة مقرَّباً لدى رسول الله ﷺ ، حتى كانوا يدعونه زيد بن محمّد ، إلى أنْ نزلت الآيةُ الكريمةُ ﴿ ادْعُوهُم لآبائهم هُو أقْسطُ عنـد الله ﴾[1] .

وكان أسامةُ بنُ زيدٍ حِبَّ رسول الله ﷺ ، وابنَ حِبِّه ، وكان ﷺ يصحبُه معه أحياناً ، على نحو ما أردفه خلفه عندما ذهبَ ليعودَ[2] سعدَ بـن عُبـادةَ رضي الله عنه قبـلَ وقعةِ بدر ، ومرّ وهو في طريقهِ إليه بمجلسٍ فيه عبدُ الله بنُ أُبيّ ، وذلك قبـلَ أنْ يسلم ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ، فآذاه ابنُ أُبيّ ، فلمّا دخلَ علـى سعدٍ رضي الله عنه ، قالَ لرسول الله ﷺ : يا رسول الله اعْـفُ عنـه واصفـحْ ، فلقـدْ أعطـاكَ الله ما أعطاكَ ، ولقدْ اجتمعَ أهلُ يثرب - قبل إسـلامِ أهلهـا - علـى أنْ يُتَوِّجُـوا عبدَ الله بنِ أُبيّ بن أبي سلولٍ ، فلمّا رُدّ ذلك بالحقّ الذي أعطـاكَ الله شَـرِقَ[3] به ، ففعلَ ما فعل ، وقد روى هذا الحديثَ أسامةُ رضي الله عنه .

صفاته :

كان أسامةُ بنُ زيد رضي الله عنه أسودَ اللـون ، أفطـسَ الأنـف ، مسـتقيمَ المَسْـلك ، عفيفاً ، تقيّاً ، وَرِعاً ، متواضعاً ، ذكيّاً ، شديدَ الإخلاص لدين الله ، وكان آلفاً مألوفاً .

---

(١) سورة الأحزاب ٥

(٢) ليعود : يزوره في مرضه

(٣) شرق : غصّ

محبّة النبيّ ﷺ لأسامة رضي الله عنه :

أحبَّ النبيّ ﷺ أسامةَ منذ صغره ، إذ نَبتَ أسامةُ رضي الله عنه في بيئة إسلامية طاهرة فكانَ الرسول ﷺ يأخذُ أسامةَ فيضعُه على إحدى فخذيه ، ويأخذ الحسنَ بن علي فيضعُه على فخذه الأخرى ، ثم يضمُّهما معاً إلى صدره ، ويقولُ : اللهمّ إنّي أحبُّهما ، فأحبَّهما ، وعثرَ أسامةُ ذاتَ مرّة بعَتَبةِ الباب ، فشُجتْ جبهتُه ، وسال الدّمُ مِن جرحه ، فأشار النبيّ ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها أن تزيل الدَّمَ عَنْ جرحه ، فلم تطبْ نفسُها لذلك ، فقام إليه النبيّ ﷺ ، وجعل يمصّ شجّته ، ويمجُّ الدم ، ويواسيه بكلمات طيّبة .

وبقيَ أسامةُ رضي الله عنه أثيراً[1] لدى رسول الله ﷺ عندما يَفَع[2] وغدا شابّاً يبذلُ حياته في خدمة رسول الله ﷺ ودعوته ، وقد أهدى حكيم بن حزام ، وهو أحدُ أثرياء قريش ، حُلّةً ثمينةً لرسول الله ﷺ وكان حكيمٌ قد شراها من اليمن بخمسين ديناراً ، وكانت لذي يزن أحد ملوكهم ، فلم يقبلْ رسول الله ﷺ هديةَ حكيم ، لأنه كان يومئذ مشركاً ، وأخذها منه بثمَنِها ، فلبسَها النبيّ ﷺ مرّة واحدة ، في يوم جمعةٍ ، ثم خلعَها على أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وقال أُسامةُ بنُ زيد رضي الله عنه كنتُ جالساً ، إذ جاء عليٌّ والعباسُ رضي الله عنهما يستأذنان ، فقالا : يا أُسامةُ استأذنْ لنا على رسول الله ﷺ فقلْتُ :

---

(١) أثيراً : مقرّباً ومحبّباً .
(٢) يفع : أصبح يافعاً شاباً .

يا رسول الله ، عليٌّ والعباسُ يستأذنان ، فقال : أتدري ما جاء بهما ؟ قلْتُ : لا ، قال النبيُّ ﷺ : لكنّي أدري ، ائـذن لهما ، فدخلا فقالا : يا رسول الله جئْناك نسألُك أيُّ أهلِكَ أحبُّ إليك ؟ قال : فاطمةُ بنت محمّد ، قالا : ما جئناك نسألكَ عن أهلك ، قال : فأحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ أنعمَ الله عليه وأنعمْتُ عليه ، أسامةُ بنُ زيد .

اشتراكه في المشاهد والغزوات :

أوّل ما حاولَ أسامةُ رضي الله عنه أنْ يشترك فيه من الحروب يوم أُحُد ، فقد جاء مع نفرٍ من صبْيان الصَّحابةِ رضوان الله عليهم يريدون الجهادَ ، فرَدّ النبيُّ ﷺ أسامةَ لصِغَرِ سنّه ، فتولّى وعيناه تفيضان من الدمع ، ولّما كان يومُ الخندقِ جاء أسامةُ وهو يشدّ قامتَه إلى الأعلى ، ليبدوَ أكبرَ من سنّه ، فرَقَّ له رسول الله ﷺ ، وأذِنَ له أنْ يشترِكَ في يوم الخندق ، وكان أسامة رضي الله عنه إلى جنْب النبيّ ﷺ لّما دخل مكّة ، وثَبت معه يومَ حنينٍ ، حين انهزم الناسُ ، ولم يبق حول الرسول ﷺ إلا نفرٌ يسير ، وحاربَ يومَ مؤتةَ تحت راية أبيه زيدِ بن حارثة رضي الله عنه ، وكان أسامة رضي الله عنه يومئذٍ دون الثامنةَ عشرةَ ، وشهد بعينيه مصرعَ أبيه ، واستمر من بعده بالقتال تحتَ رايةِ جعفر ، ثم ابنِ رواحة ، ثم خالدٍ رضي الله عنه .

وكان أسامةُ وبلال رضي الله عنهما مع النبيّ ﷺ في حجّة الوداع ، فكان أحدهما يأخذُ بخطام[1] ناقته ، وكان الآخر يظلّلهُ بثوبه من الحرّ ، حتى رمى جمرة العقبة .

جيش أسامة رضي الله عنه :

أمرَ النبيّ ﷺ أسامةَ بنَ زيد رضي الله عنه أن يُغِيرَ على أهل (أُبْنَى) بفلسطين ، وقلعةِ (الداروم) قربَ غزَّةَ ، ومنطقةِ البلقاء ، ثم قال لأسامة : امْضِ على اسم الله ، فخرج بلوائه معقوداً ، وعسكر بالجرُف ، قُرْب المدينة ، وصار كلُّ مَنْ يفرغُ من تجهيزِ نفسه يلتحق به ، وقد انتُدِبَ إلى تلك الغزوة كبار الصَّحابة ، أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان فقال عياش بن أبي ربيعة رضي الله عنه وبعض الصَّحابة : يَسْتعمِلُ هذا الغلامَ على المهاجرين الأوّلين ! ، وكَثُرَتِ القالةُ ، وعلم بذلك رسول الله ﷺ ، فصعِدَ المنبرَ فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قالَ : أمّا بعدُ أيّها الناس ! فما مقالةٌ بلغتْني عن بعضِكم في تأميري أسامة ؟ فو الله لئنْ طَعنتُم في إمارتي أسامة ، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وايمُ الله إنْ كان للإمارةِ لخليقاً[2] ، وإنّ ابنه من بعده لخليقٌ بالإمارة ، وإنْ كان لأحبِّ الناسِ إليَّ ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناسِ إليَّ ، وإنَّهما لمخيَّلان[3] لكل خير فاستوصوا به خيراً ، فإنّه مِنْ خيارِكم ، ثم نزل

---

(١) خطام الناقة : لجامُها .

(٢) لخليقاً : لجديراً .

(٣) لمخيلان : أي يظَنّ بهما كل خير ، وهما مخبّآن لكلّ خير .

رسول الله ﷺ مِنْ على المنبر ، فدخل بيته ، وكان ذلك يوم السبت ، في العاشر من ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة للهجرة ، وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع أسامة رضي الله عنه يودّعون رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يقول : أنفِذُوا بعث أسامة ، فمضى الناسُ إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحدِ ، ونزلَ أسامة رضي الله عنه يوم الأحد ، ورسول الله ﷺ ثقيلٌ مغْمُور ، قد اشتدّ عليه المرضُ ، وبلغ منه كلَّ مبلغ ، فدخل أسامة رضي الله عنه وعيناه تَهْمِلان ، فطاطأ عليه وقبّله ، ورسول الله ﷺ لا يتكلّم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ، ويصُبُّهما على أسامة رضي الله عنه ، فعَرف أسامةُ أنّ النبيّ ﷺ كان يدعو له ، ثم رجعَ إلى معسكره ، وتوفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرةِ .

أبو بكر رضي الله عنه يُنفِذُ جيشَ أسامة رضي الله عنه :

لمّا بلغَ العربَ وفاةُ رسول الله ﷺ ، وارتدّ منهم مَنْ ارتدّ قال أبو بكر رضي الله عنه لأسامة : انفذْ في وجهك الذي وجّهكَ فيه رسول الله ﷺ ، فقال بعضُ الصَّحابة : يا خليفةَ رسول الله ﷺ ! إنَّ العربَ قد انتقضتْ عليكَ مِنْ كلِّ جانب ، وإنّك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً ، اجعلهم عدّة لأهل الرِّدّة ترمي بهم في نحورهم ، ثمّ نحن لا نأمَنُ على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراريّ والنّساء ، فلو استأنيْتَ في غزو الروم حتى يضربَ الإسلامُ بجرانه[1] ، ويعودَ أهلُ الرّدّة إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف ، ثم تبعث

(١) الجران : عنق البعير ، أي حتى يقرّ قرار الإسلام

جيش أسامة فقال أبو بكر ﷺ : والذي نفسي بيده ! لو ظننْتُ أنّ السباع تأكلني بالمدينةِ لأنفذْتُ هذا الجيش ، ولا بدَّ أنْ يؤوبَ[1] منه ، كيف ! ورسول الله ﷺ ينزلُ عليه الوحيُ من السماء ، ويقول : أنفذوا جيش أسامة ، واستأذنَ أبو بكر ﷺ أسامةَ في عمر رضوان الله عليهم ، فأذن له أن يبقى معه ، وأرسل إلى النّفرِ الذين كانوا تكلّموا في إمارة أسامةَ ، فغلّظ عليهم ، وأمرَهم بالخروج ، فلم يتخلّفْ إنسانٌ واحد ، وخرج أبو بكر يشيِّع أسامةَ والمسلمين ، وكان أبو بكر ماشياً ، وأسامةُ راكباً ، فقال له أسامةُ رضي الله عنهما : يا خليفةَ رسول الله ﷺ ! لتركبنَّ أو لأنزلنَّ فقال : والله لا تنزلُ ووالله لا أركبُ ، وما عليَّ أنْ أغبِّرَ قدميّ ساعةً في سبيل الله ، فإنّ للغازي بكل خطوةٍ يخطوها سبعمائة حسنة تُكتبُ له ، وسبعمائة درجةٍ تُرْفع له ، وتُمحَى عنه سبعمائة خطيئة ، وقبلَ أن يرجعَ أبو بكر ﷺ زوَّدَ أسامةَ بن زيدٍ وجيشَه بهذه الوصيّة ، فقال : أيُّها الناسُ قِفُوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي ، لا تخونوا ، ولا تغُلُّوا[2] ولا تَغْدِروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تَقْعَروا[3] نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأْكلةٍ ، وسوف تمرُّون بأقوامٍ قد فرَّغوا أنفسَهم في الصَّوامع ،

---

(١) يؤوب : من آب بمعنى عاد ورجع .
(٢) لا تغلّوا : لا تخونوا .
(٣) قعر النخلة : قطعها من أصلها .

فدعوهم وما فرَّغُوا أنفسَهم له .. اندفعوا باسم الله ، ثم قال لأسامة : أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملِك .

وكان تعدادُ جيشِ أسامة ثلاثة آلاف ، فيهم ألفُ فارس ، فأصاب في الغزْو إصابة عظيمة ، وغنمَّه الله ، وسلَّمه هو وجيشه وردَّهم سالمين وقال المسلمون : ما رأينا جيشاً أسلمَ مِنْ جيش أسامة .

ومرَّ أسامة ﷺ في ذهابه وإيابه بقبائل ثبتتْ على الإسلام ، ولم ترتدّ ، فاستبشرتْ به خيراً ، ومرَّ على قبائلَ أخرى كانتْ تنوي الارتدادَ عن الإسلام ، وكانت تظنّ أن حال المسلمين في تضعضعٍ ، فلمّا أبصرُوا قوّة الجيش ، قالوا : لولا أنّ المسلمينَ في المدينة في منعَة وأيْدٍ[1] ولهم بأسٌ ، لَما وجّهوا هذا الجيشَ لحرْبِ الرُّوم ، ولو أنَّ أبا بكر في حاجةٍ لوجَّهَ هذا الجيش لحرب المرتدّين ، ولذلك ثبتتْ تلك القبائلُ على الإسلام ولم ترتدّ ، وقد سكنَ أسامة ﷺ بعد غزْوته الموفَّقةِ المظفَّرة في وادي القرى ، قُرْبَ المدينة المنوَّرة ، ثم غيَّر مسكنه بعد ذلك إلى دمشق ، ثم عاد إلى المدينة .

إكرامُ أمير المؤمنين عمر ﷺ لأسامة ﷺ :

كان عمرُ منتدباً إلى جيش أسامة الذي عزم النبيّ ﷺ أن يوجّهه إلى الشّام ، وتوفيّ النبيّ ﷺ قبْلَ أنْ يُنْفِذَه ، وأنفذَه منْ بعدِه أبو بكر ﷺ ، ولكنّه استبقى عمرَ ﷺ ، لكنّ عمر ظلَّ يذكر لأسامةَ إمارته عليه ويقول له : مرحباً بأميري

---

(١) الأيْد : القوة

وكان عمر رضي الله عنه يفرضُ عطاءً لكل مسلم في مجتمعه منذ الولادة ، وكان يراعي عندما يوزّع أعْطِياتِهِ منازلَ الناس ، فلمّا جاء دورُ ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أعطاه عمر نصيبه ، ثمّ جاء دورُ أسامةَ بن زيد ، فأعطاه عمر ضعفَ ما أعطى ولدَه عبد الله ، وبما أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يعلمُ أنّ عمر رضي الله عنه يُعطي الناس بحسَب بلائهم في الإسلام ، وبحسَب سابقتهم فيه ، فقد شُغِلَ بالُه على منزلته هو ، فسألَ أباه : لِمَ فضَّلْتَ عليَّ أسامةَ بن زيد ، وقد شهدْتُ مع رسول الله ﷺ ما لم يَشْهَدْ ؟ فأجابه عمر : إنّ أسامةَ كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ مِنْكَ ، وأبوه كان أحبَّ إلى رسول الله مِنْ أبيك .

فكيف لك بلا إلهَ إلا الله :

بعثَ النبيّ ﷺ قبل وفاتِه بسنتين أسامةَ بنَ زيد رضي الله عنهما أميراً على سَرِيّةٍ خرَجتْ لِلقَاءِ بعض المشركين ، وكانتْ تلكَ أوّلَ إمارة يتولّاها أسامةُ ، فقام بمهمّته ، ونجح فيها وبلغ ذلك النبأُ رسول الله ﷺ فسرَّ به ، قال أسامةُ رضي الله عنه : فأتيْتُ النبيّ ﷺ ، وقد أتاه البشيرُ بالفتح ، فإذا هو متهلّل وجهُهُ ، فأدناني منه ، ثم قال : حدّثْني فجعلتُ أحدّثه ، وذكرْتُ له أنّه لَمّا انهزم القومُ أدركْتُ رجلاً وأهْوَيْتُ إليه بالرُّمْح ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنتُهُ فقتلْتُه ، فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ وقال : وَيْحَكَ يا أسامةُ ، فكيفَ لكَ بلا إلهَ إلا الله ؟ أو قالَ : فمَنْ لكَ يا أسامةُ بلا إله إلاّ الله ؟ فلم يزلْ يردّدها عليَّ حتى لودِدْت أنّي انسلخْتُ مِنْ كلّ عمل عملْتُه ، واستقبلتُ الإسلام يومئذ مِنْ جديدٍ فلا والله لا أقاتل أحداً قال لا إله إلا الله ، بعدما سمعْتُ رسول الله ﷺ .

أحاديث نبوية رواها أسامة أو ذُكرَ في روايتها :

أخرج ابن عبد البرّ عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : لَـمّا هاجرَ رسول الله ﷺ خلّفَنا وخلّف بناتِه ، فلما استقرّ بَعَثَ زيدَ بنَ حارثةَ وبَعَثَ معه أبا رافع مولاه ، وأعطاهما بعيرَيْن ، وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبدِ الله بن أبي بكر رضي الله عنه أن يحمل أمّي أم رومان ، وأنا ، وأختي أسماء وحمل زيدٌ أمّ أيمن وأسامة .

إعطاؤه ﷺ سلاحه لأسامة إذا لم يَغْزُ :

أخرج الإمام أحمد عن جبلة بن حارثة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ كان إذا لم يَغْزُ أعطى سلاحَه عليّاً أو أسامة رضي الله عنهما .

موقفه من حديث الإفك :

تأخّرت السيّدة عائشة رضي الله عنها عن الجيش لدى عودتِهِ من غزوة بني المصطلق ، وكانت تطلبُ عِقْداً لها فقدتْهُ عندما ذهبتْ لحاجتها ، فلمّا رأتِ الناسَ قد انطلقوا تلفّفت بجلبابها ، ومكثت في مكانها فمرّ بها صفوان بنُ المعطّل رضي الله عنه فرأى سوادَها (شخصها) فعرفها ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينةُ رسول الله ﷺ ، ما خلّفكِ يرحمكِ الله ؟ ثم قرّبَ إليها البعيرَ ، فقال : اركبي واستأخرَ عنها فركبت ، وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوجدهم قد نزلوا ، فلمّا رأوا صفوانَ يقودُ البعير بعائشة رضي الله عنها قال أهلُ الإفك ما قالوا ، فاضطربَ المعسكر ، وعائشةُ لا تعلم بشيء مما يقال .. وسألَ رسول الله ﷺ أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما ، فأثنى على عائشةَ رضي

الله عنها خيراً ، وقال : خيراً ، ثم قال : يا رسولَ الله ، أهْلُكَ ، ما نعلمُ منهم إلا خيراً ، وهذا [حديث الإفْك] الكذبُ والباطل .

قصة المرأة المخزومية :

أخرج البخاري عن عروة أنّ امرأةً سرقتْ في عهد رسول الله ﷺ ، في غزوةِ الفتح ، ففزِعَ قومُها إلى أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما يستشفعونه ، قال عروةُ : فلمّا كلّمه أسامةُ فيها تلوّن وجه رسول الله ﷺ وقال : أتكلّمني في حدّ من حدود الله ؟ فقال أسامةُ : استغفرْ لي يا رسول الله ، فلمّا كان العشيّ قام رسول الله ﷺ خطيباً ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد ! فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ، والذي نفسُ محمّد بيده لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعْتُ يدها ، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدُها ، فحَسُنَتْ توبتُها بعد ذلك .

بين عبد الله وأبيه :

أخرج الطبرانيُّ عن أسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما قال : لمّا رجَع رسول الله ﷺ من بني المصطلق قام عبد الله بن عبد الله بن أبي ﷺ ، فسلّ سيفَه على أبيه ، وقال : لله عليَّ ألاّ أُغمده حتى تقولَ : محمّد الأعزُّ وأنا الأذلّ ! قال : ويلك ! محمّد الأعز وأنا الأذلّ ، فبلغتْ رسول الله ﷺ ، فأعجبَه وشكرَها له .

الجُدري .

كان أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما قد أصابه الجُدَريّ أوّل ما قـدم المدينـة ، وهو غلامٌ مُخاطُه يسيلُ على فِيهِ[1] ، فتَقَذّرتْه عائشةُ رضـي الله عنهـا ، فدخـلَ رسول الله ﷺ فطفِقَ يغسِلُ وجهَه ويقبلّه ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أمـا والله بعد هذا فلا أُقصيْه[2] أبداً .

لا أقاتِلُ رجلاً يقول لا إله إلاّ الله :

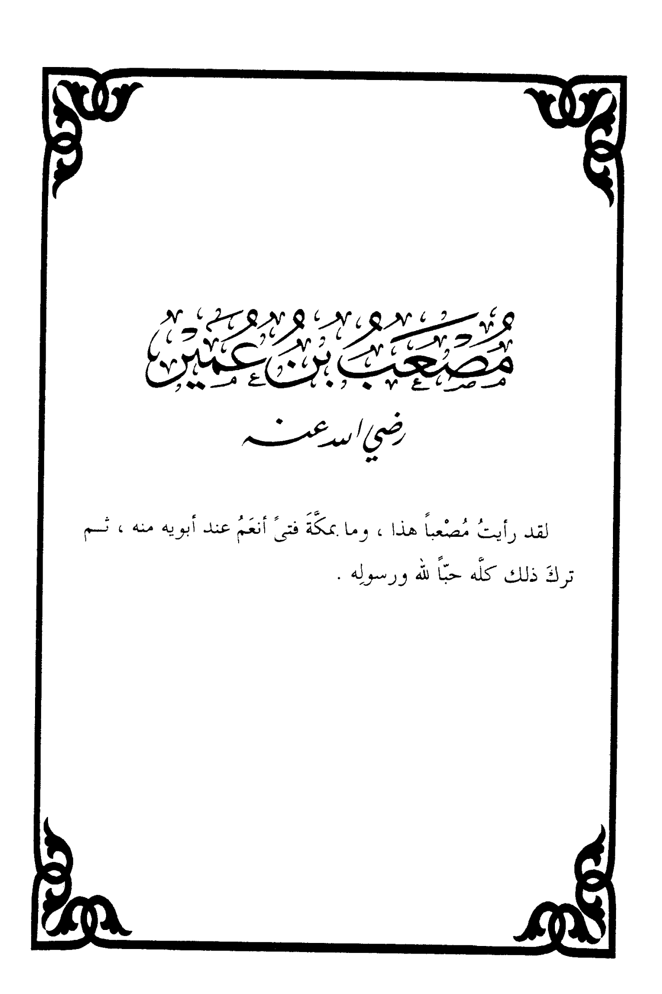
قال أسامةُ بن زيد ﷺ : لا أقاتلُ رجلاً يقول لا إله إلاّ الله أبداً ، فقال سعد ابن مالك ﷺ : وأنا والله لا أقاتلُ رجلاً يقولُ لا إله إلاّ الله أبداً ، فقـال لهمـا رجل : ألم يقل الله ﴿ وقاتِلُوهُمْ حتّى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدّينُ كلُّه لله ﴾[3]

فقالا : قد قاتلْنا حتى لم تكنْ فتنةٌ ، وكان الدّين لله .

هذه القناعةُ التي تغلغلتْ في نفسِ أسامةَ بـن زيـدٍ ﷺ ، جعلتْـه يلـتزمُ الحيـادَ حين نشأ الخلافُ بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما .

وماتَ أسامةُ بن زيدٍ رضي الله عنهما بالجرف بـأطراف المدينـة المنـوّرة سـنة / ٥٤ / هـ .

(١) فيه : فمه .
(٢) أُقصيه : أُبعده .
(٣) سورة الأنفال ، الآية / ٣٩ / .



مُصْعَب بن عُمَير

رضي الله عنه

لقد رأيتُ مُصْعباً هذا ، وما بمكَّةَ فتىً أنعَمُ عند أبويه منه ، ثـم تركَ ذلك كلَّه حبّاً لله ورسولِه .

أسرته ، وثراؤها :

هو أبو عبد الله ، مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر بن هاشم ، القرشيُّ مِنْ بني عبد الدَّار ، وأمُّه خُناسُ بنتُ مالك ، وكانت ثريّة جدّاً ، وكانت خُناسُ وعميرٌ يحبّان ولدهما مُصْعَباً حبّاً جمّاً ، وكانتْ أمُّه تكسوه أحسنَ ما يكونُ من الثيابِ ، وأرقَّه ، وكانتْ تبتاعُ له الحَضْرَميَّ من النّعال ، وكان مِنْ أفخرِ أنواعِ الأحذية .

وكان مصعبٌ فتى مكّةَ ، شباباً ، وجَمالاً ، وتيهاً ، ونعمةً ، وكان - كما قال المؤرِّخون في ترجمته - أعطرَ شبابِ مكّةَ ، إذا سارَ عرَفَ الناسُ مَنْ هو ؟ ولو لم يَرَوْهُ لَفْوحِ العطْر منه ، وعَبَقِه .

إسلامه :

كان مصعبٌ ﷺ يسمعُ مِنْ أهله ، ومن الناس ، أنّ محمّداً ﷺ صادقٌ أمينٌ ، وشهِدَ بذلك كلُّ أهلِ مكّة ممَّن عرفوا محمداً ﷺ ، ولكنّه ﷺ عندما بُعِثَ ودعاهم كذّبوه ، فاهتدَى هذا الشابُّ الفطِنُ مِنْ تناقضِهم إلى أنّ محمّداً ﷺ نبيٌّ كريمٌ ، فكيف وثّقوه ، ثم - لمّا دعاهم لم يُحْيِيهم - نزعوا الثقة منه ؟ .

وكانَ النبيّ ﷺ في تلك الآونة يجتمع هو وأصحابه رضوان الله عليهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم على سفح جبل الصّفا ، بطرَفِ مكّة ، فيتلو عليهم آياتِ الله سبحانه ، ويعلّمهم الكِتابَ والحِكْمةَ ويُزكّيهم ، فذهبَ إليه مصعبٌ ، وانضمَّ إلى صَحابة الرسولِ ﷺ ، وصار يُدْعَى مصعبَ الخَيْر .

كان المسلمون إذْ ذاك ، عندما أسلم مصعبٌ ، دون الأربعين ، فهو أحدُ السابقين إلى الإسلام ، وقد كتم إسلامه عن أمّه وقومِه ، فكان يختلفُ إلى

رسول الله ﷺ سرّاً ، ورآه عثمانُ بن طلحةَ وهو يدخلُ خُفْيَةً إلى دار الأرقم ، فعلم بإسلامه ، فنَمى ذلك إلى أمّه ، فغضبتْ غضباً شديداً ، لم يُعْهد في سواها ، ومارستْ على مصعب الضَّغْط ، والإيذاء ، والاضطهاد ، ليترك إسلامَه ، فثبتَ على دينه ، وبلغ بها الشَّنَآنُ[1] أنْ حَبَسَت ابنَها في أحد أركان دارها ، وأوثقته فاحتملَ كلَّ ذلك .

هجرته الأولى إلى الحبشة :

ما زالَ مصعبٌ ﷺ يعاني القَهْرَ والكَبْتَ مِنْ أُمّه ، التي لم تُطْلِقْهُ من محبسه ، ولا من قيوده ، حتى بدأ مسلمو مكّةَ يهاجرون إلى الحبشة فِراراً بدينهم ، واتّقاءً لأذى قريش ، فاهتَبلَ[2] مصعبٌ مِنْ أمّه وحرّاسه فُرْصةً ، وانطلق تاركاً دارَ أمّه مُؤْثِراً أنْ يقطع الصحارى القفار ، ومتُونَ البحار ، إلى الحبشة ، لعلّه ينجو هناك ، في تلك البلاد النائية ، مِنْ أذى أمّه وقومه .

هجرته الثانية إلى الحبشة :

ذاقتْ أمُّ مصعبٍ مرارةَ اغترابه ، ولكنّ صلابتَها عليه لم تلِنْ إلا يسيراً عندما رجع من الحبشة ، ورأتْ ما ألَمّ به من تغيُّر ، فكفّت عنه بعضَ عذَلِها وشدَّتِها ، ولكنّها لم تَقِفْ عن عُدْوانها .

(١) الشنآن : البغض والحقد .
(٢) اهتبل : انتهز .

وكان اضطهادُ المشركين للمسلمين ما يزال ضارباً أطنابَه ، فنـدب النبيّ ﷺ المسلمين أن يهاجروا للمرّةِ الثانية إلى الحبشة ، ليستفيئُوا بعدْل النجاشيّ هنـاك ، وينعموا بالأمان في بلاده ، وهاجرَ مصعبٌ مِنْ جديد ، في جملةِ مَنْ هاجروا ، ثم عاد من الحبشة .

ما تمخّضَ عنه موقفُ أمّه :

رأتْ أمُّ مصعب (خُناسُ) ولدَهـا ، بعـد مـرور هـذه السـنوات ، لم يَعُـدْ في عُمُرٍ يصلُح معه أن يُحبَسَ ولا أنْ يُقيَّدَ ، فلم تردَّه إلى سالفِ ما كانت تصنعُ بـه ولكنّ مالها لم يَعُدْ يجري عليه ، كما كان قبل إسـلامه ، فَضَنَّـتْ بـه عنـه .. أمّا مصعبٌ فقد استقرّتْ في قلبه روحُ الدين الإسـلامي ، فصـار يُؤْثـرُ أنْ يعيـشَ في هذه الحياة عيشةَ الكفافِ ، مدّخراً ألوانَ النعيم إلى الباقية ، مؤجـلاً كـلَّ رغائبـه إليها ، وصار لا يأخذُ مِنْ هذه الدُّنْيا إلا ما يبلغُ به آخرتَه ولا يحمّلُ نفسَه ، وهو في طريقه إليها ، إلاّ الضروريَّ من الأحمال .

ويبدو أنّ أمّه قد رغبت في إعادته إلى محبسه ، مـن جديـد ، لَمّـا آلمهـا ثباتُـه ، وزهدُه ، فتوعّدها بأنّه لن يستكينَ في هذه المرّةِ للحُرَّاس ، فأمرتْـهُ بـالخروج مِـنْ دارها ، فخرجَ وهـو يقـول لهـا : يـا أمّـاهُ إنّـي لـكِ نـاصحٌ ، وعليـكِ شـفوقٌ ، فاشـهدي أنّـه لا إلـه إلاّ الله ، وأن محمّـداً ﷺ عبـده ورسـوله ، فـأصرَّتْ علـى كُفْرها ، ولم تستجبْ له .

خروجه من بيت أمّه :

أصرَّتْ أمّ مصعبٍ على وثَنيتها ، وأقسمتْ « بالثواقب » أنّها لـن تدخـل في دين ابنها ، وأوقفتْ إنفاقَها عليه ، وأخرجتْه من منزلها .. واستقبلَ مصعبٌ كـلَّ

ذلك ، واحتمله ، وتبدَّل بثيابه الناعمة التي كان يَلْبسُها في غابر أيّامه ، خشن الثياب ، وبألوان الأطعمة الفاخرة التي كانت موفورة له من قبلُ جوعاً طويلاً ، ممضاً ثقيلاً ، إلى أن انجابتْ عنه وعن المسلمين أيّام الشدَّةِ والعُسْر ، قال علي بن أبي طالب ﷺ : رأى رسول الله ﷺ مصعب بن عميرٍ ﷺ ، فبكى للذي كان فيه من النّعْمةِ ، ولما صار إليه .

وقال ﷺ : لقد رأيتُ مصعباً هذا ، ما بمكّةَ فتىً أنْعَمُ عند أبويه منه ، ثمّ ترَكَ ذلك كُلّه حباً لله ورسوله

وقال سعدُ بن أبي وقّاصٍ ﷺ : كان مصعبُ بن عميرٍ أنْعَمَ غلامٍ بمكّةَ ، وأجوَدَه حُلّةً مع أبويه .

إيفاده إلى يثرب للدعوة إلى الله :

حملتْ نسائمُ الكونِ عبَقَ الدعوة الإسلامية إلى يثرب ، فآمنَ نفرٌ من أهلها ، وقدِموا إلى النبيّ ﷺ في مكّة ، وبايعوه عند « العقبة » ، وعادوا إلى يثرب وقد ازدادوا إيماناً على إيمانهم ، فصاروا يَدْعُون قومَهم سرّاً إلى الإسلام ، فاستجابَ لهم فريقٌ منهم ، وعندئذٍ أرسلوا اثنين منهم وهما معاذ بن عفراء ، ورافع بن مالك ، إلى رسول الله ﷺ أن ابعثْ إلينا رجلاً مِنْ قِبَلِك ، يدعو الناسَ إلى كتاب الله ، فإنه أدنى أنْ يُتّبع ، فَبَعث إليهم رسول الله ﷺ مُصْعَبَ بن عُمَير ﷺ فنزلَ في بني غَنْم على أسعد بن زُرارة ، فجعل يدعو الناس ، ويحدّثهم ،

ويتلو عليهم القرآن ، وأخذ الإسلام يفشو ويكثرُ أهلُه ، وهم في ذلك مُسْتَخْفُون بدعوتهم ، مُسِرّون[1] لها .

إسلامُ أُسَيْد بن حُضَيْرْ :

ذهبَ أسعد بنُ زُرارة بمصعب بن عمير رضي الله عنهما إلى حيّ بني عبد الأشهل ، وحيّ بني ظَفر ، ونزلا هناك في بستان من بساتين بني ظَفر ، قرب بئر واجتمع إليهما خَلْقٌ ممن أسلموا ، وكان سعدٌ بن معاذٍ وأسيد بن حضير يومئذ سيّدَيْ قومِهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِكٌ على دين قومِه ، فلما سَمِعَا بإقبال الناس على مصعب ، قال سعدٌ لأسَيْد : انطلقْ إلى هذين الرجلَيْن اللَّذَيْن قد أتَيا دارنا ليُسَفِّها ضعفاءَنا فازْجرْهما وانْههما أن يأتيا دارَيْنا ، فإنّه لولا أسعدُ بنُ زرارة منّي حيثُ علمْتَ - وكان ابنَ خالته - ، كفيْتُكَ ذلك ، فأخذ أسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ حَربتَه ، ثم أقبل إليهما ، فلمّا رآه أسعدُ بنُ زرارة قال لمصعب : هذا سيّدُ قومه ، وقد جاءَك ، فاصْدُق الله فيه ، فوقَفَ عليهما مُتَشَتِّماً وقال : ما جاءَ بكُما إلينا تُسَفِّهان ضعفاءَنا ؟ اعتزلانا إنْ كانتْ لكما بأنفُسِكما حاجةٌ[2] ، فقال له مصعب : أوَ تجلسُ فتسمعُ ، فإن رضيتَ أمراً قبلْتَه ، وإن كرهْتَهُ كففْنا عنْك ما تكرهُ ، قال : أنصفْتَ ، ثمّ ركز حربته ، وجلسَ إليهما ، فكلّمه مصعبٌ بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا : والله لقد عرفْنا في وجهه الإسلام قبلَ أنْ يتكلّم ، في إشراقِه وتسهُّله ، ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجملَه !

---

(١) أي يدعون إليها سراً .
(٢) يريد : إن كنتما تريدان الإبقاء على حياتكما فاعتزلانا .

كيف تصنعون إذا أردتم أنْ تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتتطهَّرُ ، وتُطَهِّرُ ثوبيك ، ثم تشهدُ شهادةَ الحقّ ، ثم تصلّي ، فقام فاغتسل ، وطهّر ثوبيه وتشهَّدَ شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلّفْ عنه أحدٌ من قومه ، وسأرسلُه إليكما الآن .

دعوة مصعبٍ لسعد بن معاذ وإسلامه :

انصرفَ أسيدُ بن حُضَير إلى قومه ، وهم جلوسٌ في ناديهم ، فلمّا نظرَ إليهِ سعدُ بنُ معاذٍ مقبلاً ، قال : أحلِفُ باللهِ لقد جاءكم أسيدٌ بغير الوجهِ الذي ذهبَ به مِنْ عندكم ، فلمّا وقفَ على النادي قال له سعد : ما فعلْتَ ؟ قال : كلّمْتُ الرجلين فو الله ما رأيْتُ بهما بأساً ، وقد نهيتُهما فقالا : نفعلُ ما أحببْتَ ، وقد حُدِّثْتُ أنَّ بني حارثةَ خرجوا إلى أسعدَ بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنّهم عرفوا أنّه ابن خالتكَ ، فقامَ سعدٌ مُغْضَباً ، لِمَا ذكره من أمْر بني حارثة ، وأخذ حربتَه بيده ، وقال لأسيد : واللهِ ما أراكَ أغنيْتَ شيئاً ، ومضى سعدُ بنُ معاذٍ إلى مصعبِ بن عمير وأسعدَ بن زُرارة ، فلما رآهما مطمئنَّيْنِ عَرَفَ أنّ أسيْداً إنما أرادَ أنْ يسمعَ منهما ، فوقف متشتّماً ، فقال له مصعب ﷺ أوَ تقعُدُ فتسمعُ ، فإنْ رضيتَ أمراً قبلْتَه ، وإنْ كرهْتَهُ عزلْنا عنك ما تكره ، قال سعدٌ : أنصفْتَ ، فعرضَ عليه الإسلامَ ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله في وجههِ الإسلام قبل أن يتكلّم ، ثمّ قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتُمْ ودخلتُمْ في هذا الدين ؟ قالا : تغتسلُ فتتطهّرُ ، وتُطَهِّرُ ثوبيك ، ثمّ تشهدُ شهادةَ الحقّ ، ثم تصليّ ركعتين ، ففعلَ كل ذلك ، ثم قفلَ عائداً إلى نادي قومه ، فلما وقفَ عليهم دعاهم إلى الإسلام ، فأسلم قومهُ بنو عبد الأشهل

إسلام عمرو بن الجموح :

كان عمروُ بن الجموح من ساداتِ بني سلمة ، وكان قد اتّخذ في داره صنماً مِنْ خشبٍ يقال له مناة ، فلمّا أسلم معاذ بن عمرو بن الجموح وفتيانٌ من بني سلمة صاروا يدلجون بالليلِ على صنم عمرو ، فيحملونه ويطرحونه في بعضِ حُفَرِ بني سلمة منكوسَ الرأس ، وكانتْ زوجة عمرو قد أسلمتْ ، فقالتْ لابنها معاذ أسْمِعْ أباك بعضَ ما حفظْتَ مِنْ مصعب بن عمير ، فقرأ ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ الصراط المستقيم ﴾ ، فقال ما أحسن هذا الكلام وأجملَه ! وتوجه إلى مناة ، فقال له : لقد جاء رجل ـ يريد مصعب بن عمير ﷺ ، يناهانا عن عبادتك ، ويأمرنا بتعطيلك ، فكرهْتُ أنْ أبايعه حتى أشاورك وخاطبه طويلاً فلم يردَّ عليه ، فقام إليه ، وكسره ، وأعلن إسلامه ، وقال عمرو بن الجموح :

أتوبُ إلى الله مِمَّا مضى	وأستنقذُ الله مِنْ نارِهِ[1]
فسبحانَه عدد الخاطئينَ	وقطرِ السماء ومِدْرارِهِ
هداني ، وقد كنت في ظُلْمةٍ	حليفَ مناةَ وأحجارِه

ثمار دعوةِ مصعب :

تميّز بنو النجّار في يثربَ غيظاً ، وامتلؤوا حسَداً بسبب ازدياد المسلمين يوماً بعد يوم ، فأخرجوا مصعبَ بن عميرٍ ﷺ ، واشتدّوا على أسعدَ بن زُرارة

---

(١) استنقذ الله : أطلبُ منه أن يُنقذني .

رضوان الله عليهم ، فانتقلَ مصعبٌ إلى سعد بن معاذ ﷺ ، ولم يزلْ يدعو الناسَ إلى الله عزّ وجلّ ، وهم يستجيبون له حتى لم يعدْ هنالك في المدينة دار إلا فيها مسلمٌ أو مسلمة

ومن بين هؤلاء المسلمين نَفَرَ فريقٌ إلى بيعةِ العقبة الثانية ، في مكّة المكرّمة ، وكانَ يومئذ تجمُّعٌ أو قل مؤتمرٌ جليلٌ ، لم يسبق له في تاريخ الدعوة حتى ذلك الحين ، مثيل ، وبعد أن نجحَ مصعبُ بن عمير ﷺ فيما كلّفه به النبيُّ ﷺ ، عادَ إليه رضيَّ النفسِ ، مرتاحَ الضمير ، بما قدّم مِنْ عَمَلٍ يُرْضي الله ورسولَه ، وكان أهلُ المدينة يُطْلقون على مصعب ﷺ عنه القارئ أو المقرئ ، وهو أوّل مَنْ صلّى بهم صلاة جمعة ، وهو أوّلُ من قَدِمَ عليهم من أهل مكّةَ حين الهجرة ، وجاء بعدَه عبدُ الله بن أمّ مكتوم ، ثم عمّار بن ياسر ، وسعد بن أبي وقّاص .. وتوالت الهجرة إلى المدينة المنوّرة .

صفاتُ داعيةِ أهل المدينة إلى الله :

كان مصعبُ بنُ عمير ﷺ مِنْ جلّةِ الصَّحابة ، وفضلائهم ، وكان يتّسِمُ بالحكمة والشجاعة والوداعة والسّكينة ، وكان راسخَ العقيدة ، متفائلاً ، متهلّل الوجهِ ، باسمِ المحيّا ، واثقاً بالله ، وقد آتاه الله عزّ وجلّ هيئةً حسنةً، ووسامةً ، وزهادةً ، وحُسْنَ خلُق .

زهْده :

قال عليّ بنُ أبي طالب ﷺ : جئتُ إلى النبيّ ﷺ ، فجلسْتُ إليه في المسجد وهو في عصابة (جَماعة) مِنْ أصحابه ، فاطّلعَ علينا مصعب بن عمير ﷺ في

بردةٍ له مرقوعة ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النّعيم ، ورأى حاله التي هو عليها ، فبكى ، ثمّ قال : كيفَ أنتمْ إذا غدا أحدكم في حُلّة ، وراح في أخرى ، وسُتِرَتْ بيوتُكم كما تُسْتَرُ الكَعْبة ؟ قلنا : نحن يومئذ خيرٌ ، نُكْفى المُؤْنة ونتفرّغ للعبادة ، قال : بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذ ، وقال عمر ابن الخطّاب ﷺ : نظرَ رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير ﷺ مقبلاً ، عليه إهاب[1] كبش ، قد تنطّق به[2] فقال النبيُّ ﷺ : انظروا إلى هذا الذي نوّر الله قلبه ، لقد رأيتُه بينَ أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، ولقد رأيتُ عليه حُلّةً شراها بمائتي درهم ، فدعاه حبُّ الله ورسوله إلى ما ترون .

خُلُقه :

قال عامرُ بنُ ربيعةَ ﷺ : كانَ مصعبُ بن عمير ﷺ لي خِدْناً[3] وصاحباً منذ أسلمَ إلى أن قُتِلَ رحمه الله بأُحُدٍ ، خرجَ معنا إلى الهجرتَيْن جميعاً بأرض الحبشة ، وكان رفيقي مِنْ بين القوم ، فلم أرَ رجلاً قطُّ أحسنَ خلُقاً ولا أقلَّ خِلافاً منه .

حَمَلَ رايةَ الإسلام يوم بدر :

قال ابن عبد البرّ في كتابه الاستيعاب : لم يختلفْ أهلُ السِّيَرِ أنَّ رايةَ رسول الله ﷺ يومَ بدرٍ ويومَ أُحُدٍ كانتْ بيَدِ مصعب بن عمير .

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) تنطق به : تزنّرَ به .
(٣) خِدناً : صديقاً .

وكان أخوه أبو عزيز بنُ عمير يقاتلْ يوم بدرٍ مع المشركين ، فأسرهُ أبو اليُسْر مُحْرِز بن نضْلة الأنصاريُّ رضي الله عنه ، فقال مصعبٌ لمحرز شُدّ يديك به ، فإنّ له أمّاً كثيرة المتاع ، والمال تفْديه ، فبعثتْ أمُّه بأربعة آلاف درهم فدتْهُ بها

استشهادُه في معركة أحد :

حَمَلَ مصعبُ بنُ عمير رضي الله عنه راية المسلمين يوم أُحُدٍ ، وكانت لهم الغلبَةُ إلى أن خالفَ أكثرُ الرماة أمرَ النبيّ ﷺ فنزلوا مِنْ مواقِعهم على الجبل ، فأقبل المشركون واستولَوا عليه ، ورشقوهم من أمامهم ومِنْ خلفِهم ، فانهزم المسلمون ولم يثبتْ مع النبيّ ﷺ إلا ثُلّة ، وكانَ مِمَّن ثبتوا مصعبُ بنُ عمير رضي الله عنه ، وظَلَّ يقاتلُ عن راية الإسلام ، ويَذُبُّ[1] عن النبيّ ﷺ ، إلى أنْ قُطِعتْ يدُه اليمنى ، وكان يقول :

﴿ وما محمّدٌ إلا رسول قدْ خَلَتْ مِنْ قبلهِ الرُّسُل ﴾[2] فأخذَ الرَّايةَ بيده اليسرى ، فقُطعتْ وهو يقول :

﴿ وما محمّدٌ إلا رسول قدْ خَلَتْ مِنْ قبلهِ الرُّسُل ﴾ ، فحمل الرّاية بعضُدَيْهِ ، وضمَّها إلى صدْره ، فأصابَه رُمْحٌ ، فقُتِلَ مصعبٌ رضي الله عنه ، فأخذَها مَلَكٌ في صورةِ مصعب ، فجعلَ رسول الله ﷺ يقول له : تقدَّمْ يا مصعب ، فالتفتَ إليهِ الملكُ

---

(١) يذُبّ : يدافع

(٢) آل عمران / ١٤٤ .

فقال : لستُ بمصعب ، فعرف رسول الله ﷺ أنّه مَلَكٌ أُيّدَ به ، ثم حَمَلَ الرايـةَ عليُّ بن أبي طالب ﷺ

و لم يكنْ لدى مصعبٍ ﷺ يوم اسْتُشهدَ إلا نمِرَةٌ (ثوب) قصـيرةٌ ، وادَّخـرَ كلَّ شيء ، حتى نفسَه ، عند الله ، وقد كفّنوه بتلك النَّمِـرة ، قـال خبَّـابُ بـنُ الأرتّ رضـي الله عنـه : فكنّـا إذا وضعناهـا علـى رأسِـه تعـرَّت رجـلاه ، وإذا وضعناها على رجليْه برزَ رأسُه ، فقال رسول الله ﷺ : اجعلوها ممّا يلي رأسَه ، واجعلوا على رجليه الإذْخِرَ[1] ، وبمزيدٍ من التّسْليم لأمر الله عزَّ وجـلَّ اسـتودَعَ النبيّ ﷺ عند ربّه الّذي لا تضيعُ عندَه الودائعُ شـاباً مـن أقـربِ شـباب الإسـلام وأعزّهم عليه ، وقد وقـف ﷺ بجـانب جثمـانِ مصعـب ﷺ ، ونظـرَ إليـه وإلى بُرْدته التي كُفّن فيها .

فقال : لقد رأيتُك بمكّةَ ، وما بها أرقُّ حُلَّةً[2] ، ولا أحسنُ لِمَّةً[3] مِنْك ، ثم ها أنتَ ذا أشْعثُ الرأسِ في بُرْدة .

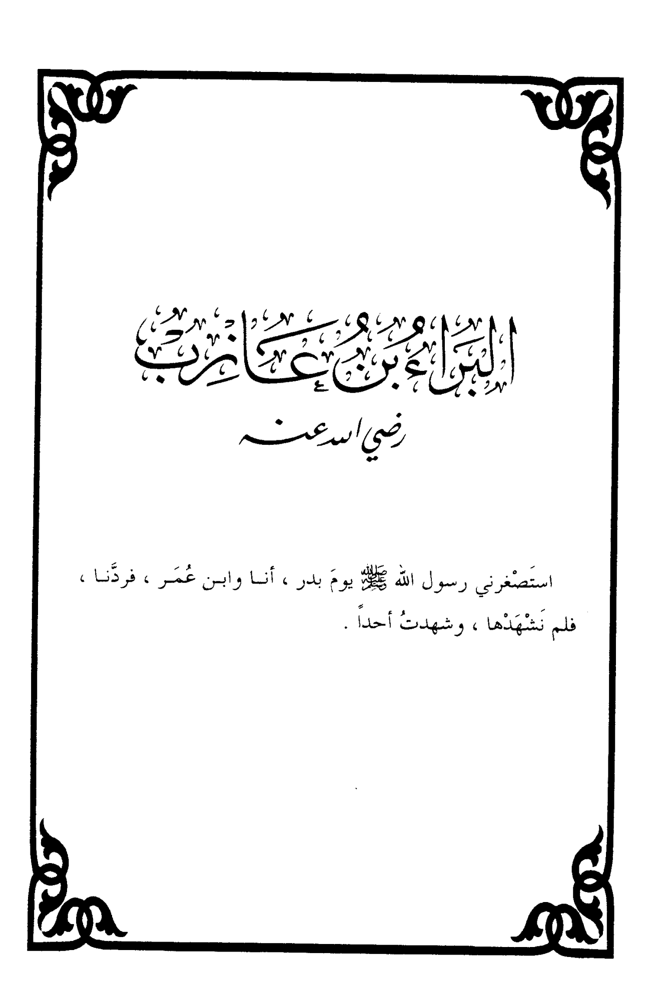
استُشهدَ مصعبُ بنُ عميرٍ ﷺ في معركة أحُـد ، في السـنة الثالثـة للهجـرة ، وكان يناهزُ الواحدة والأربعين ، فصلّى عليه النبيّ ﷺ ، ودُفِنَ حيثُ استُشـهد ، على أطراف المدينة المنوّرة .

---

(١) الإذخر : نوع من النبات .
(٢) حلة : ثوب .
(٣) لِمّة : مقدّمة الشعر ، وهي النّاصية

وفي مُصْعَبٍ وأصحابه رضوان الله عليهم نزلَ قولُ الله تعالى : ﴿ مِنَ المؤمنينَ رِجَالٌ صدَقُوا ما عاهدُوا الله عليهِ ، فمِنْهُم مَنْ قضَى نَحْبَهُ ، ومِنْهم مَنْ يَنْتَظِرُ ، وما بدَّلُوا تبديلاً ﴾[1] .

(١) سورة الأحزاب / ٢٣ / .



البراءُ بنُ عازبٍ

رضي الله عنه

استَصْغرني رسول الله ﷺ يومَ بدر ، أنـا وابـن عُـمَـر ، فردَّنـا ، فلم نَشْهَدْها ، وشهدتُ أحداً .

ترجمته :

هو الصحابيُّ الجليلُ المحدّث ، والقائدُ الفاتحُ (البراءُ بن عازب بن الحارث الأنصاريّ) ، وأبوه عازبٌ ﷺ صحابيٌّ كذلك ، وكان البراء ﷺ يُكْنَى أبا عمارة .

وُلِدَ البراءُ ﷺ في السَّنَةِ الثانيةِ للبعثة النبويّة ، وأسلم صغيراً ، ولزم النبيّ ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنوّرة ، يتعلّم منه ويروي عنه ، ويقرأ القرآن ، وسَمِعَ مِنْ رسول الله ﷺ أحاديثَ كثيرةً ، بَلغَ ما رُوي عن البراء منها (٣٠٥) أحاديثَ ونشأ في المدرسةِ النبويّة المطهَّرةِ ، فكان من أفضلِ الناسِ وأعظم الرجال .

هيبته من النبيّ ﷺ :

يظَلُّ المرءُ يوقِّرُ أباه ، وأمّه ، وشيخَه ، مهما تقدّمت به الأيّام ، أو درجتْ عليه السِّنُون ، وعلى هذه الشاكلة ، بل أشدّ ، كان البراء بن عازب رضي الله عنهما يوقّر النبيّ ﷺ ، قال البراء بن عازب : لقد كنتُ أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر ، فأؤخّر سنتينِ مِن هيبته .

احتياطه في الإجابة :

ومِن مدرسة النبوَّة تعلّم البراءُ ﷺ ألاّ يُجيبَ مِن غير علم ، وأنّ في الإفتاء مسؤوليةً أمامَ الله عزَّ وجلَّ ، فإن وُجدَ عالمٌ وأعلمُ منه ، فالحكمةُ في الإحالة إلى الأعلم ، قال أبو المنهال : سألتُ زيدَ بن أرقمَ والبراءَ بن عازب رضي الله عنهما عن الصَّرف ، فجعلَ كلّما سألتُ أحدَهما قال : سل الآخرَ ، فإنّه خيرٌ منّي وأعلم منّي .

لباسُه :

علّم النبيّ ﷺ أصحابَه ألاّ يجرّوا أرديتهم ، ولا يُطيلوها ، تحرزاً من نجاسةٍ أن تُلِمَّ بأحدهم من الأرض ، واجتناباً للخيلاء ، والكِبر ، قال أبو إسحاق : رأيتُ عِدَّةً من أصحاب رسول الله ﷺ ، أسامةَ بن زيد ، وزيدَ بن أرقم ، والبراءَ بن عازب ، وابن عمر رضي الله عنهم يتّزرون إلى أنصاف سوقهم .

يصلّي قبل الظّهر أربعاً :

أخرج ابن جرير عن البراء رضي الله عنه أنّه كان يصلي قبل الظُّهر أربعاً .

إن الله يغفر الذنوب جميعاً :

سأل رجلٌ البراءَ رضي الله عنه ، فقال : يا أبا عُمارةَ ﴿ ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التَّهلكة ﴾[1] : أهو الرجلُ يَلقَى العدوّ فيقاتلَ حتى يُقتل ؟ قال : لا ، ولكن هو الرجلُ يُذنِبُ الذّنبَ فيقولُ : لا يغفرُه الله .

جِهادُه :

نَشِبَت معركة بدرٍ في السنة الثانيةِ للهجرة ، وكان مصعبُ بنُ عميرٍ رضي الله عنه دونَ الخامسةَ عشرةَ ، فتقدّم هو وبعضُ أترابه من أمثال عبد الله بن عمر ، وزيد ابن ثابت .. إلى النبيّ ﷺ كيما يأذنَ لهم بالاشتراك في المعركة ، فأذِنَ لبعضهم ، ولم يأذن لبعضٍ آخرَ ، وكان البراءُ من الذين أشفق عليهم النبيّ ﷺ لِصِغَرِهم ، ولم يأذن لهم .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : / ١٩٥ / .

اختلف الرواةُ في حضوره معركةَ أُحُد ، لكّنهم اتّفقوا على أنه شهد غزوةَ الخندق ، مع رسول الله ﷺ ، وحضَر المشاهدَ التي كانت بعد ذلك ، كلّها ، وغزا مع النبيّ ﷺ خمسَ عشرةَ غزوةً ، وسافرَ معه ثمانيةَ عشر سفراً ، واشترك بعد النبيّ ﷺ في الفتوحات الإسلامية ، وأبلى فيها بلاء حسَناً وكان من القادة الفاتحين ، والشجعان الميامين .

فتح الرِّيّ :

كان البراءُ بن عازب ﷺ أميرَ الجيش الذي غزا الرِّيّ ، وقد توجّه إليها فأناخَ عند حِصن الفرّخان بن الزينبي ، فصالحه ابن الزينبي بعد قتال ، وأدّى له الجزية عن الرّيّ ، وحُدِّدَت الجزية بخمسمائة ألف ، ودفع له من أرضهم خراجاً وصالحه أيضاً عن أهل دستبَى ، وفتح (الدامّغان) وكان فتح الرّيّ سنة /٢٤/ هـ ، في عهد عثمان ﷺ فولّى عليها البراء ﷺ .

فتح أبهر وقزوين :

وكذلك كان البراء بن عازب ﷺ على رأس الجيش الذي وجّهه المغيرةُ بنُ شعبةَ والي الكوفة لفتح قزوين ، وبلاد الدَّيْلم ، فسار البراءُ إلى أبهَر ، فطوّقَ حصنَها ، وجرى قتال ، ثم طلبَ أهلَها الأمانَ فآمَنهم وصالحهم ، وحكَمَ أبْهرَ، ثم انطلق البراء ﷺ إلى قزوين ، فاستعانوا بالديالمة ، ثم صالحوه ، وصالحه الدَّيلم ، وقال أحد جنود البراء :

قـد علـمَ الدَّيلـمُ إذ تحـارب حينَ أتى بجيشِه ابـنُ عـازب

بـأنَّ ظـنّ المشـركينَ كـاذبْ فكـم قطعنـا في دجـى الغيـاهب

مِن جبلٍ وَعرٍ ومِن سباسب[1]

وغزا البراء ﷺ جَيلانَ والبَبَرَ والطيلسان ، وفتح زَنجان .

صحبتُه لرسول الله ﷺ وروايته الحديث :

فُتِحت تلك الأمصارُ على يد البراء ﷺ ، وآمَنَ أهلُها ، ولأن يهتـديَ رجـلٌ واحدٌ على يـد مسـلم خـيرٌ لذلـك المسـلم ممّـا طلعـت عليـه الشـمس ، علـى أنَّ المسلمين قد انتفعوا بجانب آخرَ من البراء ﷺ ، وهـو صحبتُـه لرسـول الله ﷺ على امتداد الفترة المدنيَّة ، وروايته الحديث عن رسول الله ﷺ ، وقد نَهَلَ خلال صحبته لرسول الله ﷺ من مَعينه الثَّرِّ المُباركِ غُرَفاً طيِّبة ، ووصف بعضَ ما كان يجري في مجالس النبيّ ﷺ الطّاهرة .

تسوية الصفوف في الصلاة :

أخرج ابنُ خزيمةَ في صحيحه عن البراء بـن عـازب ﷺ قـال : كـان رسـول الله ﷺ يأتي ناحيةَ الصّفّ ويسوّي بين صـدور القـوم ومنـاكبهم ، ويقـول : لا تختلفوا ، فتختلِفَ قلوبُكم ، إنّ الله وملائكَته يصلّون على الصّفّ الأول .

---

(١) السباسب : الصحارى ، والمفازات .

أوثقُ عُرى الإسلام :

أخرج أحمد عن البراء بنِ عازب رضي الله عنهما قال : كنّا جلوساً عند النبيّ ﷺ فقال : أيُّ عُرَى الإسلام أوثق ؟ قالوا الصَّلاة ، قال : حسنةٌ ، وما هي بها ، قالوا : صيامُ رمضان ، قال : حسنٌ وما هو به ، قالوا الجهاد ، قال : حسنٌ ، وما هو به ، قال : إنَّ أوثقَ عُرَى الإيمانِ أن تحبَّ للهِ ، وتُبغِضَ في الله .

دعاء النبيّ ﷺ عند النوم :

أخرج ابنُ أبي شيبةَ عن البراء ﷺ ، قال : كان النبيّ ﷺ إذا أَخَذَ مضجعه قال : اللهم إليكَ أسلمتُ نفسي ووجَّهتُ وجهي وإليكَ فوّضتُ أمري ، وإليك ألجأتُ ظهري ، رغبةً ورهبةً إليكَ ، لا ملجأ ولا منجَى منكَ إلا إليكَ ، آمنتُ بكتابكَ الذي أنزلتَ ونبيِّكَ الذي أرسلتَ .

دعاء النبيّ ﷺ في السفر :

أخرج أبو يَعْلى عن البراء ﷺ قال : كانَ رسول الله ﷺ إذا خرج لسفرٍ قال : اللهمّ بلاغاً يبلّغ خيراً ، مغفرةً منكَ ورضواناً ، بيَدِكَ الخيرُ ، إنَّك على كلِّ شيء قدير ، اللهمّ أنتَ الصاحبُ في السَّفر ، والخليفةُ في الأهل ، اللهمّ هوِّن علينا السَّفَر ، واطوِ لنا الأرضَ ، اللهمّ أعوذ بكَ مِن وَعثاء[1] السفر ، وكآبةِ المُنقَلب .

(١) وعثاء السَّفر : مشقّته .

ذمّ الغيبة :

أخرج أبو يعلى عن البراء ﷺ قال : خطبَنا رسول الله ﷺ حتى أسمعَ العواتقَ[1] في بيوتها ، فقال : يا معشرَ مَن آمَنَ بلسانِه ، و لم يدخل الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتّبعوا عوراتِهم ، فإنّه مَن يتّبع عورةَ أخيهِ يتّبع اللهُ عورتَه ، ومن يتّبعِ اللهُ عورتَه يَفضحهُ في جَوفِ بيتِه .

سؤال القبر :

أخرج أبو داود وأحمد عن البراء ﷺ قال : خرجنا معَ رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولمّا يُلحَد ، فجلسَ رسول الله ﷺ وجلسنا حولَه كأنّما على رؤوسِنا الطّيرُ ، وفي يدِهِ عودٌ ينكُتُ به الأرض ، فرفع رأسَه ، فقال : استعيذوا من عذاب القبر ، استعيذوا من عذاب القَبر ، ثم قال : إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرةِ نزَلَ عليه ملائكةٌ من السَّماءِ بيضُ الوجوه ، كأنَّ وجوهَهم الشّمسُ ، معَهم كفنٌ من أكفانِ الجنَّةِ وحَنوطٌ مِن حنوط الجنَّةِ ، حتى يجلِسُوا منه مدَّ البَصَرِ ، ويجيءُ مَلَكُ الموتِ ـ عليه السَّلامُ ـ حتى يجلسَ عند رأسِه ، فيقول : أيّتُها النفسُ الطيِّبةُ اخرُجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ . فتخرُجُ فتسيلُ كما تَسيلُ القَطرةُ مِن فِي[2] السِّقاء ، فيأخذُها ، فإذا أخذَها لم يدَعُوها في يدِه طَرفةَ عَينٍ حتى يأخذُوها فيجعلوها في ذلك الكفَن ، وفي ذلك الحَنوط ، ويخرُجُ منه كأطيبِ نَفحةِ مِسكٍ وُجدت على

(١) العواتق : الصبايا

(٢) في . فم

وجه الأرض فيصعَدون بها ، فلا يمرّون على مَلأ من الملائكةِ إلاّ قالوا : ما هـذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فيقولان : فلان بن فلان ، بأحسنِ أسمائِه ، التي كان يسمَّى بهـا في الدنيا ، حتـى ينتهُـوا بهـا إلى السـماء الدنيـا ، فيَسـتفتحون لـه ، فيُفتَـحُ لـه ، فيشيّعُه مِن كل سماءٍ مقَّربوها إلى السماءِ التي يليها ، حتى يُنتهى بهـا إلى السَّـماءِ السابعة ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : اكتُبـوا كتـابَ عبـدي في عِلّيـين ، وأعيـدوه إلى الأرض في جسَدِه ، فيأتيه ملكانِ فيُجلسانِهِ ، فيقولان : مَنْ ربُّكَ ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان : ما دينُكَ ؟ فيقولُ ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله فيقولان : ومـا يُدريـك ؟ فيقـول : قـرأتُ كتابَ الله وآمنتُ به وصدَّقتُه ، فينادي منُادٍ من السماء : أن قَـد صـدَق عبـدي فافرشوه من الجنّة ، وافتحـوا لـه بابـاً إلى الجنـة .. فيأتيـه مـن رَوحِهـا وطيبهـا ، ويُفسح له في قبره مَدَّ بَصرِه ، ويأتيه رجلٌ حسَنُ الوَجهِ ، حسنُ الثّيابِ ، طيِّـبُ الرِّيح ، فيقول : أبشِر بالّذي يسرُّكَ ، هذا يومُك الذي كنـت تُوعَـدُ ، فيقـول : مَن أنتَ ، فوجهُكَ الوَجهُ الحسَنُ يجيءُ بالخَـيرِ ؟ فيقـول : أنـا عَمَلُـك الصَّـالح ، فيقول : ربِّ أقمِ السَّاعة ، ربِّ أقمِ السَّاعة حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي .

وإنّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبـالٍ مـن الآخـرةِ نـزَلَ إليـه ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهم المسوح فيجلسُون منـه مـدَّ البصـرَ ، ثـم يجـيءُ مَلَـكُ الموتِ حتّى يجلِسَ عند رأسِه فيقولُ : أيّتُها النفس الخبيثة اخرُجي إلى سخَطٍ مـن

الله وغضَب ، فَتفرَّقُ في جسَدِه ، فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفُّود[1] من الصُّوف المبلول ، فيأخذُها ، فإذا أخذَها لم يدَعوُها في يدِه طرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلك المُسوح ، وتخرجُ منها كأنتنِ جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذه الريحُ الخبيثة ؟ فيقولون : فلان بنُ فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يُسَمَّى بها في الدُّنيا ، حتى يُنْتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يُفتَحُ له ، ثم قرَأَ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تُفتَّحُ لهم أبوابُ السماء ، ولا يدخلونَ الجنّة حتّى يلِجَ الجمَلُ في سَمِّ الخِياط ﴾[2] ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : اكتبوا كتابَه في سِجّين[3] ، في الأرض السُّفلى ، ثُمّ تُطرَحُ روحُه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ ومَن يُشرك بالله فكأنَّما خرَّ من السَّماء ، فتَخطَفهُ الطَّير أو تهوي به الريحُ في مكانٍ سحيق ﴾[4] ، فتُعاد روحُه في جسَدِه ، ويأتيه ملكانِ فيجلسانِه فيقولان له : مَن ربُّك ؟ فيقولُ : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينُكَ : فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم : فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السَّماء أن كذَبَ فافرشوه في النار ، وافتحوا له باباً إلى النَّار ، فيَأتِيه من حَرِّها وسَمُومِها ، ويُضَيَّق عليه قبرُه حتى تختلِفَ أضلاعُه ، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوَجهِ ، قبيحُ الثّيابِ ، مُنتِنُ الرِّيح ، فيقولُ : أبشر بالّذي يسوءُكَ ، هذا يومُكَ الذي

---

(١) السفود : عود من حديد .
(٢) الأعراف : / ٤٠ /
(٣) سجين : وادٍ في جهنم
(٤) سورة الحج : / ٣١ /

كنتَ توعَد ، فيقولُ : مَن أنتَ ؟ فوجهُكَ الوجهُ القبيحُ يجئ بالشرّ فيقـول : أنـا عملُك الخبيثُ ، فيقول : ربِّ لا تُقِم الساعة .

صدق الصّحابة وأمانتهم في النقل :

أخرَج الحاكم في المستدرك عن البراء بن عازب ﷺ قـال : ليـسَ كلُّنـا سمـعَ حديثَ رسـول الله ﷺ ، كـانت لنـا ضيعـةٌ وأشـغالٌ ، ولكـنّ النّـاسَ كـانوا لا يَكذِبون يومئذ ، فيحدِّث الشاهدُ الغائبَ .

أوّل مَن هاجرَ مِن مكّةَ إلى المدينة :

أخرجَ ابنُ أبي شيبةَ عن البراء بن عازبٍ ﷺ ، قال : أوّل مَن قَدِمَ علينا مـن أصحاب رسول الله ﷺ مصعبُ بنُ عمير وابنُ أمِّ مكتوم - رضي الله عنهمـا .. فجعلا يقرآننا القرآن ، ثم جاء عمّار وبلال وسعد رضـي الله عنهـم ، ثـم جـاء عمر بن الخطّاب ﷺ في عشرين ، فقلنا : ما فعلَ رسـول الله ﷺ ؟ قـال : هـو على إثري ثم قدِمَ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ﷺ مَعَهُ ، فما رأيتُ أهل المدينـةِ فرحوا بشيءٍ فرحَهم به . فما قدِمَ حتّى قرأتُ ﴿ سبح اسمَ ربّـكَ الأعلـى ﴾[1] في سورة من المفصّل .

البراء يروي عن أبي بكرٍ قصة الهجرة النبوية :

أخرجَ أحمد عن البراء بنِ عازبٍ ﷺ ، قال : اشـترى أبـو بكـرٍ مـن عـازبٍ - رضي الله عنهما - سَرْجاً بثلاثةَ عشـرَ درهمـاً ، فقـال أبـو بكـرٍ لعـازب : مُـرِ

---

(١) سورة الأعلى / ١ / .

البَراءَ فليحملهُ إلى منزلي ، فقال : لا ، حتّى تحدّثنا كيفَ صنعتَ حين خرَج رسول الله ﷺ وأنتَ معه ؟

فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا[١] فأحثثنا[٢] يومَنا وليلتَنا ، حتى أظهرنا ، وقام قائم الظّهيرة ، فضربتُ بصري هل أرى ظلّاً نأوي إليه ، فإذا أنا بصخرةٍ ، فأهويتُ إليها ، فإذا بقيّةُ ظلّها ، فسوّيتُه لرسول الله ﷺ ، وفرشتُ له فَروةً ، وقلتُ : اضطجع يا رسول الله ! فاضطجع ثم خرجتُ أنظرُ هل أرى أحَداً من الطّلَب[٣] ؟ فإذا أنا براعي غَنم ، فقلتُ : هل في غنمك مِن لبن ؟ فحلبَ لي ، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ ، فوافيتُه وقد استيقظ ، فقلتُ : اشرب يا رسول الله فشرب ، ثم قلتُ هل آن الرَّحيلُ ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحدٌ منهم إلا سُراقةَ بن مالكٍ على فرسٍ له فقلتُ : يا رسول الله ، هذا الطّلَبُ قد لَحِقَنا ، قال : ﴿ لا تحزن إنّ الله معنا ﴾[٤] حتى إذا دنا منّا فكان بيننا وبينه قدرُ رمحين .. فدَعا عليه رسول الله ﷺ فقال : اللهمّ اكفناه بما شئتَ ، فساخت[٥] قوائمُ فرسه إلى بطنِها في أرضٍ صَلدٍ ، ووثبَ عنها وقال: يا محمّد ! قد علمتُ أنّ هذا عملُك ، فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فو الله لأُعمِيَنَّ

---

(١) أدلجنا : سرنا ليلاً .

(٢) أحثثنا : أسرعنا .

(٣) الطّلب : الطالبون الذين كانوا يبحثون عنهما .

(٤) سورة التوبة / ٤٠ /

(٥) ساخت : غاصت

على مَن ورائي من الطَّلَب ، ودعا له رسول الله ﷺ ، فأُطلقَ ، ورجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه ، حتى قدِمنا المدينة .

نزول الملائكة يومَ بدر :

قال البراء رضي الله عنه : جاء رجلٌ من الأنصار (يوم بدر) بالعباس قد أسره . فقال العبّاسُ : يا رسول الله ، ليسَ هذا أسرني ، أسرني رجلٌ من القوم أنزَعُ[1] ، من هيئته كذا وكذا (مِن أحسنِ الناس وجهاً ، على فرسٍ أبلَقَ) فقال رسول الله ﷺ للأنصاري : قد آزركَ الله بملك كريم .

﴿ وَهُم مِن بَعدِ غَلَبِهم سَيَغلِبُون ﴾ :

قال البراء رضي الله عنه : لمّا نزلت : ﴿ ألم غُلبَتِ الرُّوم ، في أدنى الأرضِ ، وهم مِن بَعدِ غَلَبِهم سَيَغلِبُونَ ﴾[2] ، قال المشركون لأبي بكر رضي الله عنه : ألا ترى إلى ما يقولُ صاحبُك : يزعُم أنّ الرُّومَ تغلبُ فارسَ ! قال : صدق صاحبي .. فلم تمضِ تلك السنون[3] حتى غَلَبَتِ الرُّومُ فارسَ ، وربطوا خيولَهم بالمدائن .

---

(١) الذي ينحسر شعر مقدَّم رأسه مما فوق الجبين .
(٢) الآيات / ١ - ٣ / . من سورة الروم
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ في بضع سنين ﴾ .

مقتل أبي رافع اليهودي :

قال البراء ﷺ . بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي[١] رجالاً من الأنصار ، وأمَّر عليهم عبد الله ابن عتيك ﷺ ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه ، فلمّا دنَوا منه ، وقد غربتِ الشمس ، قال عبد الله : اجلسوا مكانكم ، فإني منطلقٌ ومتلطّفٌ للبَوَّاب لعلي أن أدخل فدخلتُ فكمنتُ فانتهيتُ إليه فإذا هو في بيتٍ مُظلمٍ وسطَ عيالِه ، لا أدري أينَ هو من البيت ، فقلتُ : أبا رافع ! قال : مَن هذا ، فأهويت نحو الصَّوت ، ثمّ وضعتُ ظُبَةَ السيف[٢] في بطنِه حتى أخذ في ظهره ، فعرفتُ أنّي قتلتُه

صلح الحديبية هو الفتح :

أخرج ابنُ كثير عن البراء ﷺ ، أنه قال : تعدّونَ أنتم الفتحَ فتحَ مكّةَ ، وقد كان فتحُ مكّة فتحاً ، ونحن نعُدّ الفتح بيعة الرِّضوان يومَ الحديبيَةِ ، كنّا مع رسول الله ﷺ أربعَ عشرةَ مائةٍ ، والحديبيةُ بئرٌ ، فنزحناها ، فلم نترك فيها قطرةً فبلغَ ذلكَ رسول الله ﷺ فأتاها فجلسَ على شفيرها ، ثمّ دعا بإناء من ماء ، فتوضّأ ثم تَمضمضَ ، ودعا ثم صبّه فيها ، فتركناها غيرَ بعيد ، ثم إنّها أصدرتنا ما شئنا نحنُ وركائبنا .

---

(١) اسمه سلاّم بن أبي الحُقَيق ، من يهود خيبر
(٢) ظُبَةُ السيف : حدُّه

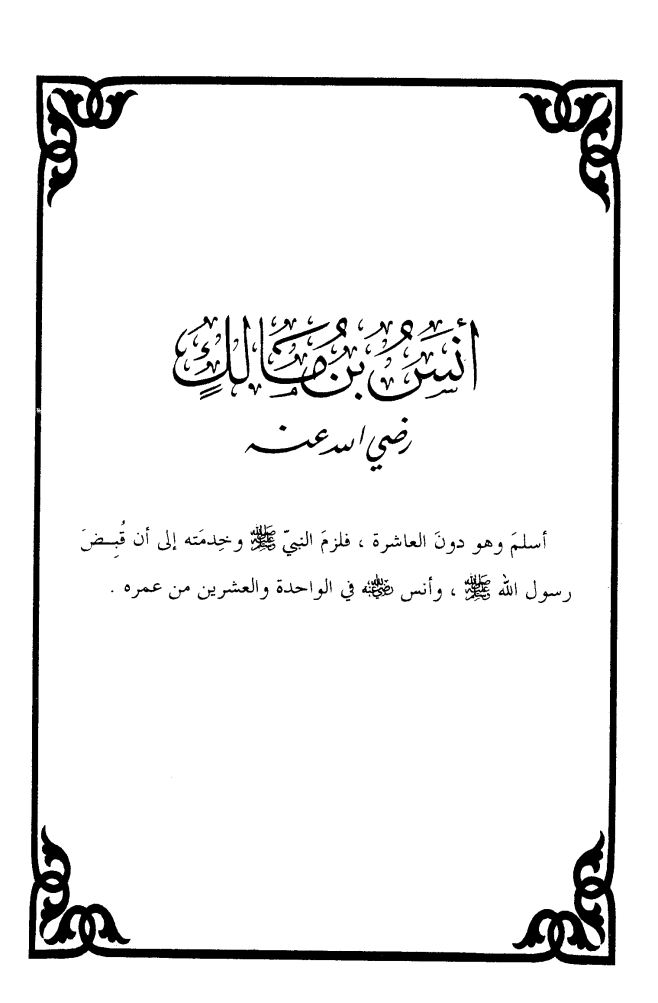
يومَ حنين :

سألَ رجلٌ من قيس ، البراء بنَ عازبٍ ﷺ : أفررتُم عن رسول الله ﷺ يومَ حُنين ؟ فقال : لكنّ رسول الله ﷺ لم يفرّ ، كانت هوازنُ رُماةً ، وإنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا (انهزموا) فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلتنا (هوازنُ) بالسهام ، ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ على بغلتِه البيضاءِ ، وهو يقولُ : أنا النبيّ لا كذِب أنا ابنُ عبد المطّلب ، اللهم أنزل نصرَك .

وقال البراء : ولقَد كنّا إذا حَمِيَ البأسُ نتّقي برسول الله ﷺ ، وإنَّ الشجاعَ الذي يُحاذي به .

الخاتمة :

تُقَدّمُ سيرة البراء ﷺ أطرافاً واسعةً من أحداث عصره ، ولقد صحب رسول الله ﷺ ، وروى عنه ، ثم كان قائدَ الفتوحاتِ التي اتّجهت إلى الريّ وقُومِسَ والدامغان وأبهر وقزوين وبلاد الديلم وجَيلان والطَّيلسان وزَنجان ، واشترك أيضاً في فتح تُستر تحت قيادة أبي موسى الأشعري ﷺ ، ولمّا حنت قوسَه الأيّام ولّى وجهَه شَطرَ الكوفة ، وابتنى بها داراً ، واعتزل الأعمال ، وكُفَّ بصرُه في آخر حياته ، ومات في إمارة مصعب بن الزبير على العراق ، وكانت وفاةُ البراء ابن عازبٍ ﷺ سنة / ٧١ / هـ وكان قد جاوز الثمانين .



أنس بن مالك

رضي الله عنه

أسلمَ وهو دونَ العاشرة ، فلزمَ النبيّ ﷺ وخِدمَته إلى أن قُبِـضَ رسول الله ﷺ ، وأنس رضي الله عنه في الواحدة والعشرين من عمره .

نسبه وأسرته :

هو أبو حمزةَ أو أبو ثُمامةَ أنسُ بنُ مالك بنِ النَّضرِ الخزرجيّ الأنصاري ، من بني النجار ، وأمُّه أمّ سلمَى سهلةُ بنتُ مالك بن خالد ، وزوجة مالك بن النَّضر أسلمت في المدينة المنوّرة ، فغاضبها زوجها مالك بن النَّضر ، وذهب إلى الشّام فمات ، وقد خطَبها من بعدِه أبو طلحةَ زيد بن سهل ، فشرطت عليه أن يسلم، وجعلت إسلامَه مَهرَها ، وكان ذلك بين بيعتي العقبة ، وقد شهد أبو طلحة ﷺ بيعة العقبة الثانية .. وأخوه البراء بنُ مالك ، من أبطال المسلمين وشجعانهم استُشهد يوم فتح تُستر ، وكانت ولادةُ أنس بن مالك ﷺ في السنة الثالثة للبعثة ، أي قبل الهجرة بعشر سنوات ، وأسلمَ على يد أمّه ، قبيل الهجرة النبويّة بيسير ، فكان من فتيان الصَّحابة الأحداث رضي الله عنهم ، ثمّ كان لأنس ﷺ أولاد وذرِّيّةٌ كثيرون ، فقد حظيَ بدعاء رسول الله ﷺ :

« اللهم أكثر مالَه وولدَه وبارك له فيه » فكان أنسٌ ﷺ كثيرَ المال ، موسَّعاً عليه ، وكانَ كثيرَ الأولاد والأحفاد ، والأسباط ، حتى شهدَ منه قرابةَ مائة ، ومن أولاده أبو بكر ، وعبيد الله ، والنَّضر ، وموسى .

صحبته لرسول الله ﷺ :

أسلمَ أنس ﷺ ، وصار يترقّبُ هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة ، فلمّا وصلَ ﷺ قدَّمَ أنساً أبواه إلى النبيّ ﷺ ليكون له خادماً ، فقبلَه ، وأنشأه على عينه ، وأحسنَ مثواه ، وكثيراً ما كان يقولُ له :

« يا بنيّ » على نحو ما أخرجه الترمذيّ عن أنس بن مالك ﷺ، قال : قـال رسول الله ﷺ : يا بنيّ إن قدَرتَ إن تُصبحَ وتُمسيَ وليس في قلبكَ غِشّ لأحـدٍ فافعل ، ثم قال لي : يا بنيّ ، وذلكَ من سـنتي ، ومَـن أحيـا سـنّتي فقـد أحبّـني ، ومَن أحبّني كانَ معي في الجنّة .

وكانَ النبيّ ﷺ يتلطّـفُ غايـةَ التلطُّـفِ في معاملتـه ، حتّـى قـال أنـس ﷺ : خدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنينَ ، والله ما قـال لي أفّ[1] قـطّ ، ولا قـال لي لشيء لمَ فَعلتَ كذا ، وهلاّ فعلت كذا ، وقد حَظِيَ أنسُ بـنُ مـالكٍ ﷺ بوعـدٍ من رسول الله ﷺ بالشفاعة ، قال أنـس ﷺ : سـألتُ النبيّ ﷺ أن يشـفعَ لي يومَ القيامةِ ، فقال : أنا فاعل ، قلتُ : يا رسول الله فأينَ أطلبُك ؟ قال : اطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط ، قلتُ : فإن لم ألقكَ على الصراط ؟ قـال : اطلبـني عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبني عند الحوض ، فإني لا أخطئ هذه الثلاثةَ المَواطن .

روايتُه للحديث :

أتاحت لأنس طولُ صحبتهِ للنبيّ ﷺ ، منذ هجرَته عليه الصّـلاة والسـلام إلى أن قُبِـضَ أن يُكـثِرَ مـن الروايـة عنـه ، حتـى بلـغَ مـا رواه عنـه رجـال الحديـث /٢٢٨٦/ حديثاً ، ولم يسبقهُ في مقدار مـا روى إلاّ صحابيـان اثنـان ، همـا أبـو هريرة ، وعبدُ الله بن عمر رضي الله عنهم .

---

(١) أفّ : أتضجرّ .

وقد حَفِظَ أنس ﷺ هذه الأمانة وأدّاها كما سمعها ، وبقيَ بعدَ رسول الله ﷺ ما يزيدُ على ثمانينَ سنةً ، وهو يبلّغ أحاديثَه الشريفة ، فكان أستاذاً جليلاً لأئمّة كبار ، مثل الحسن البصري ، وابن سيرين ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والزهري ، وعمر بن عبد العزيز ، على أنّ ما رواه هؤلاء الرُّواة لم يكن كلّه ممّا سمعه من النبيّ ﷺ مباشرةً ، ويمكن القولُ إن معظمه من فم النبيّ ﷺ لسَمع أنس ، وبعضه رواه عن أبي بكر ، أو عمر ، أو عبادة بن الصامت أو معاذ بن جبل ، أو عبد الله بن مسعود ، أو أبي هريرة .. رضي الله عنهم ، عن النبيّ ﷺ ، أخرج الحاكم في المستدرك أنّ أنس بن مالك ﷺ حدَّثَ بحديث رسول الله ﷺ ، فقال رجل : أنت سمعتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : والله ما كلّ ما نحدّثكم به سمعناه من رسول الله ﷺ ، ولكن ، كان يحدّث بعضنا بعضاً ، ولا يتّهم بعضنا بعضاً ، ومعَ أنّ محفوظه من الأحاديث الشريفة لم يكن قليلاً ، فإنّه كان يتورّع ويقتصد في روايته ، احترازاً من الخطأ ، وبعبارة أخرى كان لا يحدّث بكل ما يعلم ، إنما يحدّث بما كان متأكداً منه ، متثبتاً من حفظه ، قال أنس ﷺ : لولا أن أخشى أن أخطئ لحدّثتُكم بأشياءَ سمعتها من رسول الله ﷺ ، ولكنّه قال : « مَن كذبَ عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعَده من النار » ، وكان النبيّ ﷺ ينهى الصَّحابة رضوان الله عليهم أن يدوّنوا الحديث الشريف ، لئلا يلتبس بالقرآن ، فلما اكتمل القرآن وتوقّف الوحي بعد رسول الله ﷺ لم يعد تدوينُ الحديث محظوراً ، وكان أنس بن مالك ﷺ يدوّنه ، ويقول : قيّدوا العلم بالكتابة .

وكان أنس ﷺ يَقرِنُ العلم بالعمل ، فلا خير في علمٍ لا يتبعُه تطبيق ، قال أنس ﷺ : تعلّموا ما شئتم أن تَعلّموا ، فإنّ الله لا يَأجُرُكم على العلم حتى تعملوا به ، إنّ العلماء هِمَّتُهم الوعاية[1] وإنّ السُّفهاءَ همّتُهم الرواية .، ولا بأس أن نستعرضَ بعض ما رواه من أحاديث النبيّ ﷺ .

كيف يُحشر الكافر ؟

عن أنس بن مالك ﷺ أنّ النبيّ ﷺ سُئِلَ : كيف يُحشَرُ الكَافرُ على وجهه يومَ القيامة ؟ قال : الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة .

تتجافى جنوبهم عن المضاجع :

أخرج الترمذيَ عن أنس ﷺ أنّ هذه الآيةَ ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجعِ ﴾[2] نزلت في انتظار الصّلاة التي تُدعَى العتَمة .

خُلُق النبيّ ﷺ :

قال أنس بن مالك ﷺ : أُهدِيت للنبيّ ثلاثُ طوائر ، فأطعم خادمه (أي أمَته) طائراً ، فلمّا كانَ من الغد أتته بها ، فقال رسول الله ﷺ : ألم أنهَكِ أن ترفعي شيئاً لِغَدٍ ! فإنّ الله تعالى يأتي برزقِ غدٍ .

(١) الوعاية : الفهم .
(٢) سورة السجدة الآية / ١٦ / .

وقال أنس ﷺ : كان رسول الله ﷺ أشدَّ الناس لطفاً ، وما سأله سائل قطّ إلاّ أصغى إليه أذُنَه ، فلم ينصرف حتى يكونَ هو الذي ينصرف عنه ، وما تناولَ أحدٌ بيدِهِ إلاّ ناولَه إياها فلم ينزعْ حتّى يكونَ هو الذي ينزعُها منه .

الجهاد في سبيل الله :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لَغَدوَةٌ في سبيل الله أو رَوْحةٌ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها ، ولَقابُ قوسِ أحدِكم ، أو موضِعُ يده في الجنّة خيرٌ من الدُّنيا وما فيها ، ولو أنّ امرأةً مِن نساءِ أهل الجنّة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولَمَلأَت ما بينهما ريحاً ، ولَنَصيفُها[1] على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها .

النظر إلى المخطوبة :

عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوّج، فقال له النبيّ ﷺ: اذهب فانظر إليها ، فإنّه أحرَى أن يُؤدمَ[2] بينكما .

الأمانة في الرواية :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : نضَّرَ[3] الله عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها ، ثمّ بلَّغها عنّي ، فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيهٍ ، وربّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه .

---

(١) النّصيع : تاجٌ ناصع متألّق .
(٢) يؤدم : من أدم : إذا أصلح وألّفَ .

من أصل الإيمان :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاثٌ مِن أصـل الإيمـان ، الكَـفُّ عمَّن قال : لا إله إلا الله ، ولا يُكفِّرُهُ بذنب ، ولا يخرجُه مـن الإسـلام بعمـل ، والجهادُ ماضٍ منذُ بعثني الله إلى أن يُقـاتلَ آخرُ أمَّتي الدَّجَّالَ ، لا يُبطلُه جـورُ جائر ، ولا عدلُ عادلٍ ، والإيمانُ بالأقدار .

عيادةُ المرضى :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : أيُّما رجلٍ يعودُ[1] مريضـاً فإنَّمـا يخوضُ في الرَّحمة ، فإذا قَعَد عندَ المريضِ غمرته الرحمةُ ، فقلتُ : يا رسول الله ، هذا للصَّحيح ، الَّذي يعودُ المريض ، فما للمريض ؟ قال : تُحَطُّ عنه ذنوبه .

أهلُ الله :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ لله أهلينَ من النَّـاس ، قـالوا : يا رسول الله ﷺ مَن هُم : هم أهلُ القرآن ، أهلُ الله وخاصَّتُهُ .

زادُ السَّفر :

عن أنس ﷺ قال : جاء رجلٌ يَسعَى إلى رسول الله ﷺ فقـال : يـا رسـول الله ، إني أريد سفراً ، فزوِّدني .

قال : زوَّدَكَ الله التقوى .

---

(٣) نضَّرَ من نضر إذا كان دا رونق وبهجة

(١) يعود يزور

قال : زدني .

قال : وغفرَ ذنبَك .

قال : زدني ، بأبي أنت وأمّي .

قال : ويسَّرَ لكَ الخيرَ حيثما كنتَ .

لا تباغضوا :

عن أنس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : لا تَباغَضُوا ، ولا تحاسَدُوا ، ولا تدابرُوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوق ثلاثةِ أيام

الصَّلاة :

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ليس بين العبد والشِّركِ إلاّ تركُ الصَّلاة ، فإذا تركها فقد أشرك .

أولياء الله :

عن أنس ﷺ أنّ أُسَيدَ بنَ حُضَير الأنصاريّ ﷺ ، ورجلاً آخر من الأنصار، تحدّثا عند النبيّ ﷺ في حاجةٍ لهما ، حتى ذهبت من الليل ساعةٌ ، وهي ليلةٌ شديدةُ الظُّلمة ، حتى خرجا مِن عندِ رسول الله ﷺ ينقلبان[1] ، وبيدِ كلّ واحدٍ منهما عُصَيَّةٌ ، فأضاءت عصا أحدهما ، حتى مشيا في ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطّريقُ ، أضاءت للآخرِ عصاهُ حتى مشى في ضوئها ، إلى أن بلغ كلٌّ منهما أهله .

---

(١) ينقلبان : يرجعان إلى منازلهما .

خدمته لرسول الله ﷺ

خدم أنس ﷺ رسول الله ﷺ طوال الفترة المدنيّة ، خدمهُ في الحضر والسّفر والسِّلم والحرب ، قال أنسٌ ﷺ متحدثاً عن بداية هذه الخدمة « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة[1] بيدي ، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله إنّ أنساً غلامٌ كيِّس فليخدُمك ، قال فخدمتُه في السَّفر والحضَر ، والله ما قال لشيء صنعتُه : لما صنعتَ هذا هكذا ، ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا »

وقيل لأنس ﷺ أشَهِدت بدراً ؟ فقال لا أمَّ لك وأين أغيبُ عن بدر ؟ فقد خرج أنس ﷺ مع النبيّ ﷺ وهو غلامٌ يخدمه .

حبّه لرسول الله ﷺ :

زرَعت أمُّ سلمى رضي الله عنها في قلبِ ولدها أنسٍ حبَّ رسول الله ﷺ ، منذ نعومةِ أظفاره ، فباتَ يتلهّف لرؤيته ، وينتظر هجرته إلى المدينةِ المنوّرة ببالغ الشّوق ، قال أنس ﷺ : إنّي لأسعَى في الغلمان يقولون جاء محمّد فأسعى فلا أرى شيئاً ، حتى جاء رسول الله ﷺ ، وصاحبُه أبو بكر ﷺ ، فكَمَنَّا في بعض خراب المدينة ، فاستقبلهما زهاء خمسمائةٍ من الأنصار ، فقالت الأنصار : انطلقا

(١) أبو طلحة هو عمه زوج أمّه سلمى

آمنين مطاعَين ، فخرجَ أهلُ المدينة ، حتى إنّ العواتق[1] لفَوقَ البيوتِ يتراءَينَهُ ، يقلنَ : أيُّهم هو ، أيُّهم هو ؟

آيةُ المحبَّةِ الاتّباع :

الدليلُ العمليّ على حبّ أنس ﷺ لرسول الله ﷺ هو اتّباعه لأقواله وأفعاله وسُننِه الشريفة ، إضافة إلى شعوره الداخلي الحافل بمحبَّة الرسول ﷺ .

فالنبيّ ﷺ كان إذا مرّ على صبيانٍ في طريقِه ، سلّم عليهم ، كما كان يسلّم على الكبار ، وقال ثابت البُناني ، وهو تلميذ أنس ﷺ : كنتُ أمشي مع أنس، فمرّ على صبيان فسلّم عليهم ..

وكان النبيّ ﷺ يقوم الليل ، ويصلّي ، حتى تفطّرت[2] قدماه ، فلما تساءل بعض الصَّحابة كيف يفعلُ ذلك ، وقد غفر الله تعالى ما تقدّمَ مِن ذنبه وما تأخّرَ قال : أفلا أكونُ عبداً شكوراً ؟ وعلى هذه الشاكلة كان أنس ﷺ يصلّي حتى تتفطّر قدماه ممّا يطيل القيام ، وقال أبو هريرة ﷺ : ما رأيت أحداً أشبهَ صلاةً برسول الله ﷺ من ابن أمّ سليم ، يعني أنس بن مالك ﷺ .

وكان النبيّ ﷺ يحبّ من المآكل بعضها ، ومِن بين ما كان يحبّه القَرع ، وهو الدُّبّاء ، وقد دُعِيَ ﷺ إلى طعام صنعه له خيّاط ، قال أنس بن مالك : فذهبتُ

---

(١) العواتق : جمع عاتق ، وهي المرأة قبل أن تدرك .
(٢) تفطّرت : تشقّقَت .

مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطّعام ، فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خُبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبّاء وقَدِيد[1] ، فرأيت رسول الله ﷺ يتتبّع الدّبّاء مِن حوالي الصَّحفة قال أنس ﷺ : فلم أزل أحبّ الدّبّاء[2] منذُ يومئذ .

وأخرج الترمذيّ عن أبي طالوتَ قال : دخلتُ على أنس بن مالك وهو يأكل القرع وهو يقول : يا لَكِ مِن شجرةٍ ما أحبُّكِ إلاّ لحبِّ رسول الله ﷺ إيّاكِ ، ومن حبّ أنس لرسول الله ﷺ احتفظَ بإناء كان رسول الله ﷺ قد شربَ به ، كما احتفظ بنعلَين كانتا لرسول الله ﷺ وعصيّة[3] كانت لرسول الله ﷺ أيضاً ، وكان أنس ﷺ كلّما تقدّمت به الأعوام لمحَ في بعضِ العادات وواقع الحياة مظاهرَ لا يضبطُها الناسُ على نحو ما كان الجيلُ الذي ربّاه النبيّ ﷺ يضبطُها ، أوَ لم يَقُل رسول الله ﷺ : « خيرُ القرونِ قَرني ، ثم الذين يَلُونَهُم ، ثم الذين يلونهم » ، قال أنس ﷺ : إنّكم لتعملون أعمالاً هيَ أدقُّ في أعينكم من الشَّعر ، إن كنّا لنعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[4] .

---

(١) القديد : اللحم المجفّف

(٢) الدّبّاء : اليقطين ، القرع

(٣) عُصَيَّة : عصا قصيرة .

(٤) الموبقات : المُهلكات .

ذكرى الفجيعة بالنبيّ ﷺ :

قال أنس ﷺ : لمّا كان اليومُ الذي دخلَ فيه رسول الله ﷺ المدينةَ أضاءَ منها كلُّ شيء ، فلمّا كان اليومُ الذي ماتَ فيه أظلمَ منها كلُّ شيء ، وما نفضنا أيدينا من الترابِ ، وإنّا لفي دفنه حتّى أنكرنا قلوبَنا .

وقال أنس ﷺ : (آخرُ نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله ﷺ) كشفَ السِّتارَةَ يومَ الاثنين ، فنظرتُ إلى وجهه كأنّه ورقةُ مُصحفٍ ، والناسُ (يصلّون) خلفَ أبي بكرٍ ، فكاد الناس أن يضطربوا ، فأشار إلى الناس أن اثبتوا ، وأبو بكرٍ يؤمُّهم ، وأُلقِيَ السِّجف[1] ، وتوفّيَ رسول الله ﷺ مِن آخرِ ذلك اليومِ .

بعض أخباره بعد عصر النبيّ ﷺ :

أهم خصائص هذا الصحابيّ الكريم أنّه كان يبلّغُ أحاديثَ النبيّ ﷺ إلى الناس ، وكان هذا دَيدَنَه إلى آخر حياته ، وقد ولاّه أبو بكر ﷺ جباية البحرين باقتراحٍ من عمر ﷺ إذ قال : ابعثه فإنه لبيبٌ كاتب ، ولمّا تولّى أبو موسى الأشعري ﷺ البصرة جعله في خاصّته ، وأوفده إلى عمر ﷺ نائباً عنه ، وولاّه أمر فارس ، وأسند إليه عبد الله بن الزبير حين بويع بالخلافة ولاية البصرة مُدَّة ، على أنّ الحجّاج لمّا استبدّ بالعراق وَسَمَ يدَه بعبارة « عتيق الحجّاج » ، لَميلٍ كان من أنس ﷺ إلى عبد الرحمن بن الأشعث ، أحدّ الثائرين على الحجّاج ، وتوعّد الحجّاج أنساً ﷺ ، فشكاه برسالة إلى عبد الملك بن مروان خليفة المسلمين ،

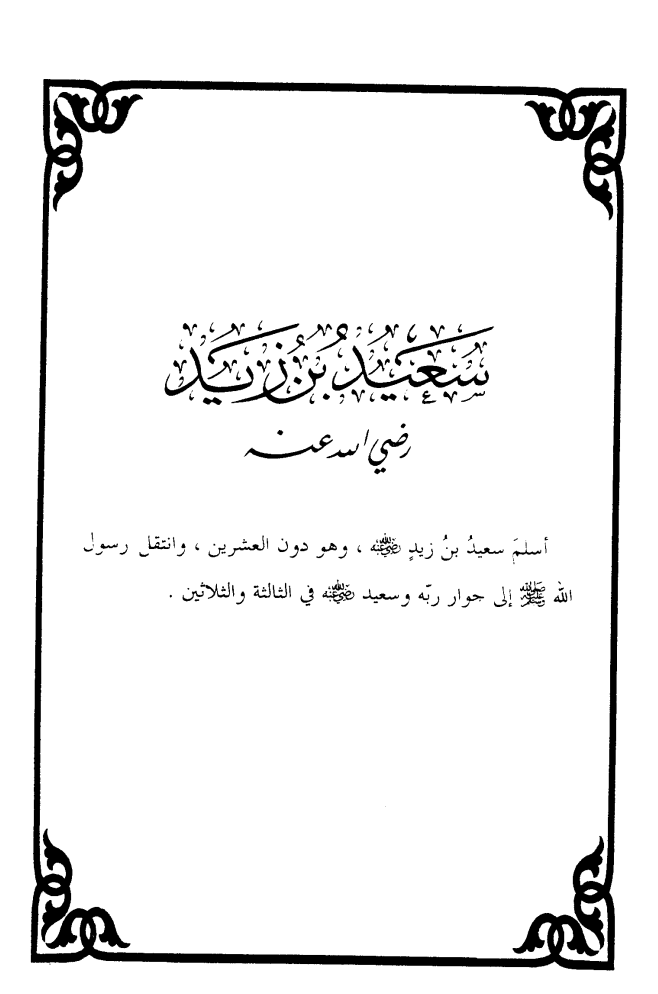
(١) السّجف : السّتار .

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج يلومـه ، وأمره أن يعتـذر مـن أنـس ، ويترضـاه ، ففعل .

واشتغالُ أنسٍ ﷺ بالحديث ، لم يكن يمنعه مـن الاشـتراك في الجهـاد ، وقـد اشترك في بدر وأحُدٍ ، فكـان يخدُم فيهمـا رسـول الله ﷺ ، وشـاركَ في غـزوة الخندق مجاهداً يلوي بأعناق المشركين ، ويُردي من استطاع منهم ، وشهدَ بعـد الغزوات النبويّة حروبَ الردّة ، وأبلى فيها بلاء حسناً ، وخاض معركة القادسية وشارك في فتوح تُستُر ، وكان أنس ﷺ يُحسن الرماية ، وبعد أن تمّ فتحُ تُسـترَ أرسله أبـو موسـى الأشـعري ، وهـو قـائد الفتـح ، إلى أمـير المؤمنـين عمـر ﷺ بالأسرى والغنائم ، فقدِمَ على عمر بصاحبها الهرمزان .

وفاته :

استقرّ التّطوافُ بأنس ﷺ في البصرة ، فأقام في بعض أطرافها ، إلى أن جاوز المائة من العمر ، وهنالك مرِضَ ، فجعل يقول لَمن حوله : لقّنوني لا إله إلا الله، فلم يزل يردّدُها حتى قبض ، وكان ذلك عام ٩٣ هـ ، فكان آخر صحابي مـات في البصرة ، وقيل هو آخر الصَّحابة رضوان الله عليهم في الوفاة على الإطلاق ، وقيل بل مات بعده صحابي واحد ، هو أبو الطُّفيل عامر بن واثلة الليثي ، الذي مات سنة / ١٠٠ / هـ ، رضي الله عنهم أجمعين .



سعيد بن زيد

رضي الله عنه

أسلمَ سعيدُ بنُ زيدٍ ﵁ ، وهو دون العشرين ، وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربّه وسعيد ﵁ في الثالثة والثلاثين .

تعريفٌ مُجمَلٌ بسعيد :

هو سعيدُ بن زيد بن عمرو بن نفيل ، العدويُّ القرشيّ ، ابن عمّ عمرَ بنِ الخطاب ، وصهرهُ ، وخَتَنُهُ[1] ، فهو زوجُ فاطمةَ بنتِ الخَطّابِ ، شقيقةِ عمر ، وعُمَرُ زوجُ عاتكة بنتِ زيد ، أخت سعيد ، وأمُّه فاطمةُ بنتُ نعجةَ الخُزاعية ، إحدى النّسوةِ السَّابقات إلى الإسلام ، وكان لسعيدٍ ﷺ أربعةُ أولاد ، منهم عبد الرحمن ، وزيد ، والأسود وكنيتُه أبو الأعور ، وكانت ولادةُ سعيد ﷺ في مكّةَ سنةَ / ٢٢ / قبل الهجرة على وجه التقريب .

شهرته :

كثيراً ما دعا الخطباءُ ، ويدعون : وارضَ اللهمّ عن الخلفاء الأربعةِ ، ذوي القَدرِ الجَليِّ ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .. ويسألون الله تعالى الرّضا ــ في جملة ما يسألونه سبحانه ــ عن سعد وسعيد ، وسعد : هو سعدُ بن أبي وقاص ، وسعيد : هو سعيد بن زيد رضي الله عنهم أجمعين .. ربّما لا يكونُ سعيد ﷺ مشهوراً مثلَ شُهرةِ الخلفاءِ الأربعة ، من الصَّحابة ، أو مثلَ شهرةِ أبي هريرة ، أو طلحةَ ، أو الزبيرِ ، أو عمرِو بن العاص .. لكنّه دون رَيبٍ هو من الطبقةِ الأولى في شهرته ، من الصَّحابة الأكرمين ، ولستُ أعني أن المشاهير عند الناس هم ــ من بين سائر الصَّحابة رضوان الله عليهم ــ المقرَّبون وحدهم من الله عزَّ وجلَّ ، فربّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرَين ، مدفوعٍ في الأبواب ، إذا أقسمَ على الله

(١) خَتَنُه : أخو زوجته .

عزَّ وجلَّ - الذي يعلمُ السّرّ وما يخفَى - أبرَّه وأحابه ، لستُ أعني إذاً أن الشُّهرَةَ دَليلُ القربى ، ولا آيةُ الزُّلفى[1] عند الله ، فقد يكرمُ الله عزَّ وجلَّ إكراماً من أعظمِ الإكرام لمشهورٍ ليس هنالك أحدٌ من الناسِ أشهرُ منه ، وهو محمّد ﷺ ، ولقد يُكرمُ الله عزَّ وجلَّ أناساً صالحين لا يعلمُ حقيقةَ منازلهم إلاّ هو جلَّ جلاله وما يشعرُ به بعضُ الناسِ اليوم من أنّ سعيدَ بن زيدٍ ﷺ غيرُ معروف عندهم ، فمَرَدُّ هذا إلى جهلهم هم ، وعدم اطّلاعهم على تاريخ الإسلام ، وأعلام الصَّحابة ، على نحو كافٍ ، وتُشبهُ هذه المسألةُ غريبَ اللغة ، فقد تَجدُ قوماً لا يعرفون معاني كلماتٍ تَرِدُ في نصوصٍ أدبية رفيعةِ المستوى ، مع أنّها لم تكن مستغلقة على عامّة الناس من أسلافنا في العصور الغابرة ، فيكون سببُ جَهلِ مَن يجهلُ مثل تلك الكلمات فُشُوُّ العاميّة من ناحية ، وحظّ كلٍّ منّا من الدراسة والاطّلاع على تراث اللغة ، من ناحية أُخرى .

أبوه زيد بن عمرو :

كان أبو سعيد ، وهو عمرو بن نفيل ، يطلب دين الحنيفية ، دينَ إبراهيم عليه السلام ، وذلك قبلَ أن يبعث النبيّ ﷺ ، وكانَ لا يذبحُ للأصنام ، ولا يأكلُ الميتة والدم ، وكان قد بلغه من بعض العلماء بالأديان أن إبراهيم عليه السلامُ كان يعبُد الله ولا يشركُ به شيئاً ، ويصلّي إلى الكعبة ، فكان زيدٌ على ذلك حتى مات ، وفي ذلك يقول :

---

(١) آيةُ الزُّلفى : دليل القرب .

مهما تُجَشِّمني فإني جاشِمُ عُذتُ بما عاذ بهِ إبراهيمْ

قالت أسماءُ بنتُ أبي بكر رضي الله عنها : رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نفيل مُسنِداً ظهرَه إلى الكعبة وهو يقولُ : يا معشرَ قريش ، والله لا آكُلُ ما ذُبِحَ لغيرِ الله ، والله ما أحدٌ على دين إبراهيم غيري ، وقال في مثل هذا الموقف في مرّة أخرى : الشّاةُ خلقها الله ، والله الذي أنزلَ المطرَ من السماءِ فرَوِيَت ، وأنبتَ لها العُشبَ من الأرضِ فشَبِعَت ، ثمّ تذبحونها على غير اسمه ؟! إني أراكم قوماً تجهلون .

وبينما كان زيد في بعض أسفاره قُتِلَ ، عدا عليه بعض الأعراب من قُطّاع الطُّرُق ، وكان يحلُم ويأمُل أن يرى مَبعثَ رسول الله ﷺ وقبل أن يفارق آخر أنفاسه قال : اللهمّ إن كنتَ حرمتَني من هذا الخير ، فلا تحرِم منه ابني سعيداً .

إسلام سعيد :

تقبّل الله عزَّ وجلَّ دعاءَ زيد بن عمرو ، فكان ولدُه سعيدٌ من الذين سبقوا إلى الإسلام ، واعتنقوه في سِنيه الأولى ، قبل أن يدخل الرسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ، عندَ سفح الصّفا بمكة المكرّمة ، وكما كان زيد حريصاً على نجاة ابنه سعيد ، كان سعيدٌ حريصاً على نجاة أبيه ، فقد جاء سعيد بن زيد ﷺ رسول الله ﷺ ، فقال : إنّ زيداً كان كما رأيتَ وبَلَغَكَ فاستغفر له ، قال : نعم أستغفرُ له ، فإنّه يُبعَثُ يومَ القيامةِ أمّة وَحدَهُ .

أسلم سعيد بن زيد ﷺ وهو دون العشرين من عمره ، وأسلمت معه زَوجُه فاطمةُ بنتُ الخطّاب رضي الله عنها ، وعانيا في أيام المحنَة ما عاناه سائرُ المسلمين مِن تنكيلِ قريشٍ وأذاها .

إسلام عمر بن الخطاب في بيت سعيد :

خرج عمر ﷺ متقلّداً السيف ، فلقيه رجلٌ من بني زهرة ، فقال : أين تعمِدُ يا عُمَرُ ؟ فقال : أريد أن أقتلَ محمّداً قال : وكيف تأمَنُ من بني هاشم وبني زهرة إذا قتلتَ محمّداً ؟ قال عمر : ما أراك إلاّ قد صَبأتَ وتركتَ دينَك الذي كنتَ عليه ، فقال : أفلا أدلُّك على ما هو أعجبُ مِن ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أختُك[1] وختنُك[2] قد صبأا وتركا دينك الذي أنتَ عليه - أراد بذلك أن يصرفه عن النبيّ ﷺ - فمشى عمرُ حتى أتاهما ، وعندهما رجلٌ من المهاجرين هو خبّاب بن الأرت ﷺ ، كان يتلو عليهما القرآن ، فلمّا سمعَ خبّابٌ حِسَّ عمرَ توارى في البيت ، فدخل عليهما عمر ، فقال : ما هذه الهَينَمةُ[3] التي سمعتُها عندكم ؟ وكانوا يقرؤون سورة طه ، فقالا : ما عدَا حديثاً تحدَّثناه بيننا ، قال : فلعلّكما قد صبوتما ! قال سعيد : أرأيتَ يا عمرُ إن كان الحقُّ في غير دينك ؟ فوثبَ عمرُ على ختنِه سعيد ، فوطأه وطأً شديداً ، فجاءت أختُه فدفعته

(١) هي فاطمة بنت الخطاب .

(٢) هو سعيد بن زيد .

(٣) الهينمة : الكلام الخفيّ الذي لا يُفهَم .

عن زوجها ، فنفحها[1] نفحة فدمّى وجهها ، فقالت وهي غضبَى : يا عمرُ ، إن كان الحقُّ في غير دينك ! أشهدُ أن لا إله إلاّ الله ، وأشهدُ أنّ محمّداً رسول الله ، فلمّا يئسَ عمر قال : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ، فقالت أخته : إنّك رِجسٌ ، ولا يمسُّه إلاّ المُطَهَّرون فقُم فاغتسل ، ففَعَلَ ، فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ✿ ما أَنزَلنا عليكَ القرآنَ لِتشقَى ✿ إلاّ تذكرةً لِمن يَخشَى ✿ تَنزيلاً مِمَّن خَلَقَ الأرضَ والسَّمواتِ العُلاَ الرَّحمنُ على العَرشِ استَوى ، له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تَحتَ الثرى ✿ وإن تَجهَر بالقولِ فإنّه يَعلَمُ السِّرَّ وأخفى ✿ الله لا إله إلاّ هُوَ لَهُ الأسماءُ الحُسنَى ﴾

إلى قوله تعالى : ﴿ إنّني أنا الله لا إلهَ إلاّ أنا فاعبدني ✿ وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكري ﴾[2] .

قال عمر : دُلّوني على محمّد ، فلمّا سمعَ خبّابٌ قول عمر ، خرج من مخبئه وقال : أبشر يا عمر ، فإنّي أرجو أن تكون دعوةُ رسول الله ﷺ ليلَة الخميس : « اللهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب ، أو بعمرو بنِ هشام » قد نَفَعَتك ، وَدَلّه على دار الأرقم حيثُ الرسول الله ﷺ ، فانطلقَ إليه ، فأخذ النبيّ ﷺ بمجامعِ

---

(١) نفحَها : تناولها بالأذى .
(٢) سورة طه من / ١ - ١٤ / .

ثوبه وحمائل سيفه ، وقال : أمـا أنـتَ بِمُنتهٍ يا عمـر حتى يُنزِلَ الله بـكَ مـن الخِزي[1] والنّكال[2] ما أنزلَ بالوليد بن المغيرة ؟ اللهمَّ هذا عمـر بـنُ الخَطّـاب ، اللهمَّ أعزّ الدّينَ بعمر بن الخطاب ، فقال له عمر : اعرض عليَّ الذي تدعـو إليـه ثم أسلم عمر رضي الله عنه .

حَضَرَ سعيد المشاهدَ كلّها :

عايشَ سعيد رضي الله عنه في مكّة أيامَ المِحنةِ والمصابرةِ وإيذاء الكُفّارِ لِمَن تَبِـعَ رسـول الله ﷺ ، وذاق في سنواتِ الحصـار في شِـعب مكّـة مـرارةَ الجـوع وألَمَ الهَجـر والضَّغط والحِرمان ، وتألّم عام الحُزنِ لمصابِ النبيّ ﷺ في زوجـه خديجـةَ رضـي الله عنها ، وعمِّه أبي طالب ، ثم بدأ الانفراجُ بالهجرة إلى المدينة ، فكان سعيدٌ من جملة الذين هاجروا .

وقد واجهَ مجتمعُ المدينةِ المنوّرة قضايا ومشكلات مع سـكان المدينـة مـن غـير المسلمين ، ومن غير المسلمين الذين كانوا يُظاهرون عليهم بالإثم والعُدوان ، من خارج المدينـة ، وسـعيدُ بـن زيـد في كـل ذلـك يفـرح أو يَحـزن بحسـب حـال المسلمين ، همُّهم همُّه ، ومصيرُهم مصيرُه ، وقد حضر كلَّ المشـاهد والغـزواتِ والمعارك التي جرت مع رسول الله ﷺ ، ولم يغب إلا يومَ بدر ، وكان النبيّ ﷺ قد أرسله هو وطلحة بـن عبيـد الله رضي الله عنهمـا في مهمّـة استطلاعية إلى

---

(١) الخزي : الذل .
(٢) النّكال : العقوبة .

طريق الشام ، فكان غيابُهما عن معركة بدر غياباً (مشروعاً) ، ولذلك ضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما . فلم يحرمهما من غنائم تلك الغزوة .

سعيد في زمن الصدّيق رضي الله عنهما :

جهّز رسول الله ﷺ جيشاً ليوجهه إلى تخوم الشام ، ليواجهَ قبائل كانت - مع أنها عربية - توالي الروم على العرب ، وليبلغ مناطق كانت تحت نفوذ الدولة البيزنطيّة ، وقد ندَب لهذا الجيش كبارَ الصَّحابة رضوان الله عليهم ، مثل أبي بكر وعمر وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص .. وجعلَ قائدَ ذلك الجيش فتًى لم يبلغ العشرين ، هو أسامة بن زيد .

قد كان في الجيش مَن هو أسنّ من أسامة ، وأكثر كفاءةً منه ، لكنَّ إيجاد جيش متدرّب على طاعة قائده العام ، حتى لو طَلبَ إليهم أن يطيع الكبيرُ الصغير ، وأن ينضبطَ الأكثرُ كفاءةً مع من هو دونَهُ ، في معركة واحدة من المعارك ، لهو أجلُّ فائدةً وأجدَى عائدةً من ألاّ يُعيَّن على ذلك الجيش دائماً في كل مرّة إلا كبيرٌ ، وإلاّ صاحبُ أوّل كفاءة ، فأمرُ المسلمين شُورى بينهم ، ولن يُقدِمَ قائدٌ منهم ، كبيرٌ أو صغيرٌ ، على مسألةٍ ذات بالٍ ، إلاّ بعد مَشوَرةِ الذين هم حَوله .

وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربّه عزَّ وجلَّ ، وجيشُ أسامة لمّا يبتعد عن أطراف المدينة ، وظهرت مباشرة في بعض مناطق الجزيرة حركةُ ردّة مُنكرَة ، فقدِمَ عندئذ وفدٌ من قِبَلِ أُسامةَ فيه عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد .. ، وعرَضا على خليفة المسلمين أبي بكر رضي الله عنه ، أن يؤخّر إنفاذ هذا الجيش المعقود لأسامة ، ليخمد به بعض فتن المرتدين ، فأبى الصدّيق رضي

الله عنه أن يحلَّ رايةً عقدها رسولُ الله ﷺ ، وانفذ جيشَ أسامةَ رضي الله عنه ، وحقّق سعيد بن زيد ، وسائر الصَّحابة رضوان الله عليهم بقيادة أسامة أهدافهم على أتمّ وجه ، وبأسلم طريقة .

استشارة الصدّيق سائر الصَّحابة في غزو الروم :

لمّا أراد أبو بكر رضي الله عنه غزو الرُّوم دعا كبار الصَّحابة من المهاجرين والأنصار ، ومنهم سعيد بن زيد ، رضوان الله عليهم ، وذكر لهم كيف أنّ الله تعالى قد جمع كلمتهم ، واصلحَ ذاتَ بينهم ، وهداهم إلى الإسلام ، ونفى عنهم الشيطان وأعرب عن رغبته في استنفار المسلمين إلى جهاد الروم بالشَّام ، وسألهم أن يُشيروا عليه بآرائهم ، فكان رأي سعيد بن زيد متماثلاً مع رأي عثمان ، وهو أنّ الخليفةَ ناصحٌ لأهل هذا الدين ، شفيق عليهم ، وأنه مَحَلّ ثقتهم ، فإذا رأى أمراً فيه صلاح المسلمين ، فليُمضِه ، ولن يخالفوه ، وان تتزعزع ثقتُهم به ، وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه : ما رأيتَ مِن رأيٍ فأمضِهِ ، فإنّا لا نخالفُك ، ولا نتّهمك، واستشار أبو بكر رضي الله عنه سعيداً في استخلافه عمرَ رضي الله عنه ، واطمأنّ إلى موافقته عليه ورضاه .

سعيدُ بن زيد في زمن عمر رضي الله عنهما :

على نحو ما كان أبو بكر رضي الله عنه يستأنسُ برأي سعيد ، كان عمرُ يأنسُ به وبآرائه وتوجيهاته ، وكان سعيدٌ لا يتجافَى عن مواطن النصح لعمر وسائر المسلمين ، ولا يعتزل مجالسهم ، ونقلت المصادر والروايات أنّه قد بلغ عمرَ رضي الله عنه أن بعض أهل الفتنة يزعمون أنّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه ما كانت إلا فلتة (فجأة) ، فصعد عمرُ المنبرَ ، وكان عند ركن ذلك المنبر ، من الجهة اليمنى سعيد بن زيد

ﷺ ، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عوف ﷺ ، وقد جلسَ حذاءَه[1] : ليقولنّ العشيّة عمرُ على هذا المنبر مقالةً ما قالها أحد قبله ، فاستغرَبَ سعيد بن زيد ﷺ ذلك ، وقال : ما عسيت أن يقولَ ما لم يقل أحدٌ ؟! و لم يكن سعيد مطّلعاً على قالةِ الغوغاء ، فأتى عمر بأحاديثَ مُستطرفة ، فتحدّث عن آية الرَّجم ، وعن قول رسول الله ﷺ : لا تُطروني كما أُطرِيَ عيسى ابن مريم ، فإنّما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله ، ثم ردّ على ما قالَهُ الرَّعاع .

وكان عمرُ ﷺ قد أقلَّ طعامه واخشوشَنَ فيه لمّا صار أميراً للمؤمنين ، فكلّمه الصَّحابة في ذلك ، وقالوا له : لو أكلتَ طعاماً طيّباً كان أقوى لك على الحقّ ، فقال : قد علمتُ أنه ليس فيكم إلا ناصحٌ ، ولكنّي تركتُ صاحبيَّ - يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر ﷺ ـ على جادّة فإن تركتُ جادّتَهما لم أدركهما في المنزل ، على أن عمر ﷺ عاد يستشير الصَّحابة في ذلك ، فقال له عثمان ﷺ : كُل وأطعم ، وقال ذلك أيضاً سعيد بن زيد ﷺ .

اليرموك :

شهد سعيد بن زيد ﷺ معركة اليرموك ، وأبلى فيها بلاءً حسَناً ، وهو يتحدّث عن جوانب من تلك المعركة فيقول : لّما كان يومُ اليرموك كُنّا أربعاً وعشرين ألفاً أو نحواً من ذلك ، فخرجت لنا الرُّومُ بعشرين ومائة ألفٍ ، وأقبلوا

---

(١) حذاءه : أي إلى جانبه .

علينا بخطًى ثقيلة كأنّهم الجبال تُحَرِّكُها أيدٍ خفيّةٌ[١] ، وسار أمامَهم الأساقفةُ والبطارقة والقِسِّيسون ، يحملون الصُّلبانَ وهو يجهَرون بالصَّلوات ، فيردّدها الجيشُ مِن ورائهم ، ولهم هزيمٌ[٢] كهزيم الرعد ، فلمّا رآهم المسلمون على حالهم هذه هالتهم كثرتُهم ، وخالطَ قلوبَهم شيءٌ مِن خوفِهم ، عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجرّاح يحضُّ المسلمين على القتال ، فقال : عبادَ الله انصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامَكم ، عبادَ الله اصبروا فإنّ الصبر مَنجاةٌ من الكُفر ، ومرضاةٌ للرّبّ ، ومَدحضَةٌ للعار[٣] ، وأشرعوا الرِّماحَ[٤] ، واستتروا بالتُّروس ، والزمُوا الصَّمت إلاّ مِن ذِكر الله عزَّ وجلَّ في أنفسِكم حتى آمرَكم إن شاء الله.

قال سعيد : عند ذلك خرجَ رجلٌ من صفوف المسلمين ، وقال لأبي عبيدة : إنّي أزمعتُ على أن أقضيَ أمري الساعةَ[٥] ، فهل لكَ من رسالةٍ تبعثُ بها إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو عبيدةَ : نعم ، تُقرِئُه منّي ومن المسلمين السّلامَ ، وتقول له : يا رسول الله ، إنّا وجدنا ما وعدَنا ربُّنا حقّاً . قال سعيد : فما إن سمعتُ كلامه ، ورأيتُه يَمتَشِقُ حُسامَه[٦] ، ويمضي إلى لقاءِ أعداء الله حتى

(١) يشبه جيش الروم وهو يزحف نحو المسلمين بالجبال لو زحفت ، أو تحركت بقوّة خفيّة .
(٢) الهزيم : صوت الرعد .
(٣) مدحضة : دافع .
(٤) أشرعوا الرماح : سدّدوها .
(٥) أي عزمتُ على الموت في هذه السّاعة .
(٦) يمتشق حسامه : يستلّ سيفه .

اقتحمتُ إلى الأرض[1] وجثوتُ على ركبتي ، وأشرعتُ رمحي ، وطعنت أوّلَ فارسٍ أقبل علينا ، ثمّ وثبتُ على العدوّ وقد انتزعَ الله كلّ ما كان في قلبي من الخوف ، فثارَ النّاسُ في وجوه الرّوم ، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتبَ الله للمؤمنين النّصر .

واشترك سعيد بن زيد ﷺ في فتح دمشق ، فلمّا فُتِحت عُيِّنَ والياً عليها ، فكان أوّل والٍ مسلم يحكم دمشق .

بكاؤه لموت عمر :

بكى سعيدُ بن زيد ﷺ عندما استُشهد عمر ﷺ ، وقال : إنّ موتَ عمر ﷺ ثَلَمَ الإسلام ثُلمةً لا تُرتَقُ إلى يوم القيامة .

صفاته :

كان سعيد بن زيد ﷺ طويلَ القامة ، آدمَ اللون[2] ، من خيار الصّحابة ، وذوي الرأي والبَسالة ، فيه كَيسٌ وحياءٌ ، وكان إذا استشير في مسألة ، وكان في المجلس مَن يعتقدُ أنّه خيرٌ منه تريَّثَ إلى أن يعرض ذلك الفاضل رأيَه ، فإن كان كما توقّع سعيد ضمّ رأيَه إلى رأيه ، واستصوبَه ، واكتفى بذلك ، وأحياناً كان يُدلي برأيه ابتداءً ، وكان سعيدٌ حكيماً ، ورِعاً تقيّاً ، يحب الله عزّ وجلّ ، ورسوله ﷺ ، والصّحابة الأخيار ، ويرى النَّصَفةَ في تجلّتِهم كلّهم ، وحبِّهم ،

---

(١) اقتحم إلى الأرض : هوى إليها .

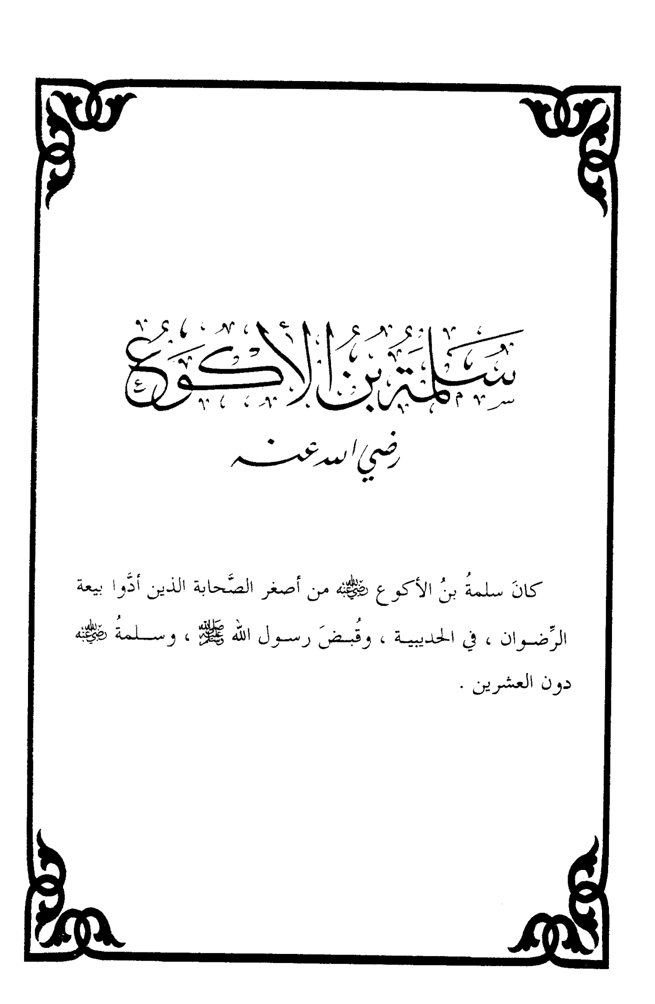
(٢) آدم : أسمر .

وقال سعيد بن زيد لبعض المُنحَازين : « تأمروني بسبّ أصحابي ، بل صلّى الله عليهم وغَفَرَ لهم » .

ومن أجل هذه الشَّمائل الكريمة والسجايا الطّيّبة قال سعيد بن حبيب : كـان مقامُ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وسعد وسعيد وطلحةَ والزُّبَـيرِ وعبد الرحمن بن عوف مع النبيّ ﷺ واحداً ، كانوا أمامَه في القتال ، وخلفَه في الصَّلاة وكل هؤلاء التّسعة من المبشّرين بالجنّة ، بشَّرهم بها مَن لا يَنطَقُ عن الهـوى ﷺ وكانوا عشرة ، وتمامُهم أبو عبيدةَ بن الجرّاح رضي الله عنهم أجمعين .

وفاته :

أقطع عثمانُ سعيداً رضي الله عنهما أرضاً بالكوفة ، فنزلها وسكنها ، وكـان يتردّد على المدينــة المنـوَّرة ، وكـان لـه أرض في « العقيـق » أيضـاً ، وفي المدينـة المنوّرة أدركته منيّته ، فمات سنة / ٥١ / هـ ، وكان بحدود الثلاثة والسبعين من عمره .



سلمة بن الأكوع

رضي الله عنه

كانَ سلمةُ بنُ الأكوع رضي الله عنه من أصغر الصَّحابة الذين أدَّوا بيعة الرِّضوان ، في الحديبية ، وقُبضَ رسول الله ﷺ ، وسلمةُ رضي الله عنه دون العشرين .

اسمه وكنيته :

هو سَلمةُ بنُ عمرو بن الأكوع ، والأكوع جَـدُّه ، ومعنى الأكـوع العظيـمُ الكاع ، والكـاعُ طـرَفُ الزَّنـد الـذي يلـي الخنصـرَ ، وهـو الكُرسـوعُ ، واسـم الأكوع سنانُ بنُ عبد الله الأسلميّ . ويُكنى سلمةُ أبا مسلم ، ويُكنى أيضـاً أبـا إياس ، وأبو إياسٍ محدِّثٌ مثـلُ أبيـه ، وروى عنـه كثيراً ، وممّـا رواه عنـه قـولُ رسول الله ﷺ : « من سلَّ علينا السيف فليس منا » . وإياس تـابعي . وسـلمةُ بنُ الأكوع مدنيّ ، أي يعدُّ من أهل المدينة .

سببُ إسلامه :

سببُ إسلام هذا الصحابي الكريم ، أنّه استيقنَ أنّ مـا نزلَ على محمـدٍ ﷺ حقٌّ ، والنجاةُ في اتباعه ، والخيبةُ والخُسران في الدنيـا والآخـرة بـالصدود عنـه . ويُروى عن سـلمة هـذه الحكايةُ ، قـال : رأيـتُ الذئـبَ قـد أخـذَ ظبيـاً فطلبتـه حتى نزعته منه ، فقال ويحكَ مالي ولَكَ ! عمدْتَ إلى رزق رزقنيْه الله ليس مـن مالك تنتزعُهُ منّي ؟! قـال سـلمةُ : قُلـتُ أي عبـاد الله إن هـذا العجـب ، ذئـبٌ يتكلّم ؟! قال الذئب : أعجبُ من هذا أنَّ النبي ﷺ في أصول النخل[1] يدعوكم إلى عبادة الله ، وتأبونَ إلا عبادة الأوثان . قال سلمة : فلحقتُ برسول الله ﷺ فأسلمت .

---

(١) إشارة إلى المدينة المنورة

صفاته :

من أبرز الخصال التي تمتع بها سلمةُ ﷺ الشجاعةُ ، فقد كان بطلاً مغـواراً ، وفارساً لا يُشقّ له غبارٌ ، وقد غزا مع رسـول الله ﷺ سبع غـزواتٍ ، وخـرج فيما كان النبي ﷺ يبعث من البعوث تسعَ غزوات ، إحداها مع أبي بكر ﷺ ، وإحداها مع أسامةَ بن زيد . وكان سلمةُ رامياً ماهراً ، ومجاهداً يتقنُ فنّ القتـال، وقد برزت بطولته في عِـدة معـارك ، مثـل خيـبر ، وحنـين ، وغـزوة ذي قـرد .

وسلمةُ أحد الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعـة الرِّضـوان ، تحـتَ الشَّـجرة ، يـومَ الحديبية ، عندما بعثَ النبي ﷺ عثمانَ بن عفان ﷺ ، وحبسته قريش ، وأشـيع أنه قُتل ، قال سلمة بن الأكـوع ﷺ : بـايعتُ النبي ﷺ ، ثـم عدلـتُ إلى ظـل الشجرة ، فلمّا خفّ الناس ، قال : يا بنَ الأكوع ! ألا تبايع ؟ قلتُ : قد بايعتُ يارسول الله ! قال : أيضاً . فبايعته الثانية . فقال يزيد بن أبي سـلمة : علـى أيّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال:على الموت . وقال سـلمة ﷺ : بينا (بينما) نحن قائلون[1] نادى منادٍ : أيها الناس البيعة البيعة ، فثرنا إلى رسـول الله ﷺ وهو تحت الشجرة ، فبايعناه ، فذلك قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ لقد رضيَ الله عنِ المؤمنين إذ يبايعونك تحتَ الشَّجرة ﴾[2] .

---

(١) القيلولة : فترة الاستراحة عند الظهيرة .

(٢) سورة الفتح الآية / ١٨ / .

يحبّ الصّدق :

من أجلّ الصفات التي تحلّى بها سلمة الصّدق ، حتى شهد له ابنه إياس فقال : ماكذب أبي قط .

لايجوز التلاعن بين المسلمين :

من أبغض الأخلاق أن يقعَ المرءُ في أعراض الناس ، ويلعنهم ، قال سلمة ﷺ : كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أنّه قد أتى باباً من أبواب الكبائر .

سخاؤه :

كان سلمة ﷺ يتّسمُ بالسَّخاء ، وفعل الخيرات ، ولا يردّ أحداً إذا سأله بوجه الله . وكان يقول : مَن لم يُعطِ بوجهِ الله ، فبم يعطي ؟

كان عدّاء يسابق الخيل :

عُرف سلمة ﷺ من بين أقرانه بأنّه كان من أسرعهم جرياً ، فما كان يثبتُ لمسابقته أحد ، وقد سخّرَ هذه الموهبة فيه لمناصرة الدين ، ومحاربة الكافرين ، وقد روى الإمام مسلمٌ عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنه قال : خرجتُ قبلَ أن يُؤذنَ بالأولى[1] ، وكانت لقاحُ[2] رسول الله ﷺ تَرعى بذي قرد[3] ، فلقيني غلامٌ لعبد الرحمن بن عوفٍ ، فقال : أُخذت لقاحُ رسول الله ﷺ ، فقلت : من

(١) أي قبل أذان الصبح .
(٢) اللقاح : الإبل .
(٣) ذو قرد : موضع قرب المدينة .

أخذها ؟ قال غطفان قال : فصرخت ثلاث صرخات . يا صباحاه[1] قال : فأسمعْتُ مابين لابتي المدينة[2] . ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد وقد أخذوا يسقون من الماء ، فجعلتُ أرميهم بنبلي . وكنتُ رامياً . وأقول :

أنـــا ابـــن الأكـــوع والـيـــوم يـــومُ الرُّضَّـــع

فأرتجز . حتى أنقذتُ الإبل منهم ، وسلبتُ منهم ثلاثين بُـردة . وجاء النبيُّ ﷺ والناس ، فقلتُ : يا نبيَّ الله ، إني قد منعتُ القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة (أي هاجمهم ببعض قواتك وأفنهم) فقال رسول الله ﷺ: يا بن الأكوع ، ملكتَ فأسجح[3] ثم رجعنا . وأردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة . لقد كانت حركته سريعةً خاطفة ، وكان عدوُه لا يذرْ شيئاً إلا خلّفه وراءه ، حتى الخيولُ ، وبعد أن اطمأن القوم ، وعادت الأسلاب ورجعوا بصحبة النبي ﷺ إلى المدينة ، صاح أحد الأنصار ، وهم في الطريق ، هل من مسابق ؟ ألا رجلٌ يسابق إلى المدينة ، وكان رجلاً عدّاء ، وأعاد ذلك مراراً ، فسابقه سلمةُ فسبقه سلمة . وبما أبلى سلمة رضي الله عنه في غزوة ذي قرد من بلاء ، وعدوه حتى استردَّ أسلاب المسلمين قال رسولُ الله ﷺ : خيرُ رجّالتنا[4] سلمة بن الأكوع .

---

(١) كلمة للاستغاثة والاستنفار .

(٢) أي أسمعت جميع أهل المدينة ، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء .

(٣) أسجح : ارفق . أي : انتصرت فأحسن إليهم ، وارفق بهم

(٤) الرجالة : الذين يمشون على أرجلهم

مصرعُ أخيه عامر يومَ خيبر :

قال سلمةُ بن الأكوع : لمّا كان يومُ خيبرَ قاتل أخي قتالاً شديداً مع رسول الله ﷺ ، فارتدّ عليه سيفهُ فقتله ، فقال أصحابُ رسول الله ﷺ في ذلك ، وشكّوا في بعض أمره ، فقلت : يا رسول الله ، ائذن لي أن أرجز لك . فأَذِنَ لي رسول الله ﷺ فقلت :

واللهِ لولا اللهُ ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلّينا

فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا

فلما قضيتُ رجزي قال رسول الله ﷺ : من قال هذا ؟ قلت : أخي ، فقال رسول الله ﷺ : يرحمه الله . فقلت : يارسول الله إن ناساً ليهابون الصَّلاة عليه . يقولون : رجلٌ ماتَ بسلاحه . فقال رسول الله ﷺ : ماتَ جاهداً مجاهداً ، فله أجره مرّتين .

من أهل الفتوى :

أخرج ابن سعد عن زياد بن ميناء قال : كان ابنُ عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرةَ وعبدُ الله بن عمرو بن العاص وجابرُ بن عبد الله ورافعُ بن خديج وسلمةُ بن الأكوع وأبو واقد الليثي وعبد الله بن بُحينة مع أشباهٍ لهم من أصحاب رسول الله ﷺ يُفتون بالمدينة ويحدّثون عن رسول الله ﷺ مِن لدن توفيَ عثمان إلى أن تُوفوا .

من أهل الرواية :

حفظ سلمةُ ﷺ . وهو صغيرٌ أشياءَ طيبةً عن رسـول الله ﷺ ، والحفـظُ في الصغر أعونُ على استبقاء المحفوظ واستذكاره ، وقد روى سلمةُ ﷺ عن رسول الله ﷺ سبعةً وسبعين حديثاً .

تقبيل يد المسلم :

أخرج الطبراني عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : بايعت النبي ﷺ بيدي هـذه فقبلناها فلم ينكر ذلك . وكما قبّل هو يد النبي ﷺ ، صار المسـلمون فيمـا بعدُ يقبلون يده . قال عبد الرحمن بنُ رزين : مررنا بالرَّبذة ، فقيل لنا : ههنـا سـلمة ابن الأكوع ﷺ ، فأتيتهُ فسلمنا عليه ، فأخرج يديه وقال : بـايعتُ بهـاتين نـبيَّ الله ﷺ ، فأخرج كفاً له ضخمةً كأنها كفُّ بعير ، فقمنا إليها فقبلناها .

يصلي حيثما كان النبي ﷺ يصلي :

قال يزيد بـن أبي عبيـد ، مـولى سـلمة : كـان سـلمة يتحـرَّى الصَّـلاة عنـد الأسطوانة التي عند المصحف ، فقلتُ له : يا أبـا مسـلم ، أراك تتحـرى الصـلاة عند هذه الأسطوانة . قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرى الصَّلاة عندها .

أهل الصفة :

أخرج البيهقي عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يصلـي بأصحابه ثم ينصرف فيقول لهم : ليأخذ كل رجل بقدر ما عنده من اسـتطاعة ، فيذهب الرجل منا بالرجل والرجلين والثلاثة (من أهل الصفة) ويذهب رسـول الله ﷺ بالباقين .

طلحة الفياض :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : ابتاع طلحةُ بن عبيد الله ﷺ بئراً بناحية الجبل وأطعمَ الناسَ ، فقال رسول الله ﷺ : إنك ياطلحة ! الفياض .

تشميت العاطس :

عن إياس بن سلمةَ بن الأكوع أنّ أباه حدّثه ، أنّه سمع النبي ﷺ ، وعطسَ رجلٌ عنده فقال له : يرحمك الله ، ثمَّ عطس أخرى ، فقال رسول الله ﷺ : الرجلُ مزكوم .

إباحةُ صلاة المتعة ثم نسخها :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : رخّصَ رسول الله ﷺ عامَ أوطاس[1] في المتعة ثلاثاً . ثم نهى عنها .

مدى إطالة الثوب :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : كان عثمانُ بن عفان ﷺ يتزر إلى أنصاف ساقيه ، وقال : هكذا كانت إزرةُ حبِّي ﷺ

دعاء النبي ﷺ إذا اشتدت الريح :

عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا اشتدت الريح قال : اللهم لقحاً[2] لاعقيماً .

---

(١) أوطاس : واد بالطائف .
(٢) لقحاً : مثمرة .

كُل بيمينك :

عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنّ رجلاً وهو بُسر الأشجعي أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال : كل بيمينك . قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ، مامنعه إلا الكبر . قال : فما رفعها إلى فيه[1] .

رجل يحبه الله ورسوله :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : كان عليٌّ قد تخلّف عن النبي ﷺ في خيبر . وكان رَمِداً . فقال : أنا أتخلّفُ عن رسول الله ﷺ ! فخرجَ عليٌّ فلحقَ بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّه الله ورسوله ، أو قال يحبُّ الله ورسوله ، يفتحُ الله عليه ، فإذا نحن بعليّ ، فأعطاه رسول الله ﷺ الرايةَ . ففتح الله عليه .

خلط الزاد إذا قلّ :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ ، فأصابنا جَهدٌ ، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا[2] ، فأمر نبيُّ الله ﷺ فجمعنا مزاودنا[3] فبسطنا له ، نطعاً[4] ، فاجتمع زاد القوم على النّطع ، ونحن أربعة

---

(١) فيه : فمه .
(٢) الظهر : الإبل التي يركبونها .
(٣) المزود : وعاء يحمل فيه الزاد .
(٤) نطع : بساط .

عشرة مائة . قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثمّ حشـونا جُربنـا[١] . فقـال نبيُّ الله ﷺ : فهل مـن وضـوء ؟ قـال : فجـاء رجـلٌ بـإداوة[٢] لـه فيهـا نُطفـةٌ[٣] ، فأفرغها في قدحٍ فتوضأنا كُلّنا ، نُدغفقُ الماء دغفقةً[٤] .

محاربة هوازن :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : غزونا مع رسول الله ﷺ ، فبينا نحـنُ نتضحّـى (نتغدّى) مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجلٌ على جملٍ أحمرَ فأناخـهُ ، ثـمّ انـتزع طلقاً[٥] من حقبه[٦] فقيَّد به الجمل ، ثم تقدم يتغـدى مـع القـوم ، وفينـا ضَعـفٌ ورقةٌ في الظَّهر[٧] ، وبعضنا مشاةٌ ، إذ خرج يشتد (يعدو) ، فاتبعه رجلٌ علـى ناقة ورقاء[٨] . قال سلمةُ : وخرجتُ أشتد حتى أخذتُ بخطـام الجمـل فأنخته ، فلمّا وضعَ رُكبتهُ في الأرض اخترطتُ سيفي (أي سللته) فضربتُ رأس الرجـل فندَرَ (أي سقط) ، ثم جئت بالجمل أقوده ، عليه رحله وسـلاحه ، فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه ، فقال : من قتـلَ الرَّجـل ؟ قـالوا : ابـنُ الأكـوع . قال : له سَلبه أجمعُ .

---

(١) الجراب : وعاء من جلد كان يُجعل فيه الزاد .
(٢) الإداوة : وعاء يوضع فيه ماء الوضوء .
(٣) نطفة : قليل من الماء .
(٤) الدَّغفقةُ : الصب الشديد .
(٥) الطلق : العقال من الجلد .
(٦) الحقب : حبل يشدّ على خاصرة الجمل .
(٧) الظهر : الإبل .
(٨) لونها أغبر .

ومن الواضح أنّ سلمة بن الأكوع ﷺ إنما قتل صاحب الجمل لأنه كان جاسوساً لهوازن التي كانت تحاربُ الرسول ﷺ .

غزوة فزارة :

قال سلمة بن الأكوع ﷺ : غزونا فزارة وعلينا أبو بكر ﷺ ، أمَّره رسول الله ﷺ علينا ، فلمّا كان بيننا وبين الماء ساعةٌ أمرنا أبو بكر ﷺ فعرَّسنا[1] ، ثم شن الغارةَ ، فورد الماء ، فقَتَلَ مَن قتل عليه وسبى ، ونظرتُ إلى عُنقٍ[2] من الناس فيهم الذراري ، فخشيتُ أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميتُ بسهم بينهم وبين الجبل . فلما رأوا السَّهم وقفوا ، فجئتُ بهم أسوقهم ، وفيهم امرأة من بني فزارةَ ، عليها قشعٌ[3] من أدم ، معها ابنةٌ لها من أحسنِ العرب ، فسُقْتُهم حتى أتيتُ بهم أبا بكر ، فنفلني[4] أبو بكر ابنتها ، فقدمتُ المدينة وما كشفتُ لها ثوباً فلقيني رسول الله ﷺ في السُّوق ، فقال ياسلمة ، هب لي المرأة . فقلتُ هي لك يا رسول الله ، ففدى بها ناساً من المسلمين ، كانوا أُسروا بمكة .

يومُ حُنين :

قال سلمةُ بن الأكوع ﷺ : غزونا مع رسول الله ﷺ حُنيناً ، فلما واجهنا العدو تقدَّمتُ ، فعلوتُ ثنيَّةً ، فاستقبلني رجلٌ من العدو ، فرميته بسهم ،

---

(١) عرّسنا : نزلنا آخر الليل

(٢) عنق : جماعة

(٣) قشع : نِطَعٌ .

(٤) نفلني : أغنمني

فتوارى (غاب) عني ، فما دريتُ ما صنع . ونظرتُ إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنيَّةٍ أخرى فالتقوا هم وصحابةُ النبي ﷺ ، فولى صحابةُ النبي ﷺ ، فرجعتُ منهزماً وعليَّ بُردتان ، متّزراً بإحداهما ، مرتدياً بالأخرى ، فاستطلقَ إزاري[1] فجمعتهما جميعاً ، ومررتُ على رسول الله ﷺ ، وهو على بغلته الشَّهباء ، فقالَ رسول الله ﷺ : لقد رأى ابنُ الأكوع فزعاً . فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضةً من تراب ، فاستقبل بها وجوههم ، وقال : شاهت الوجوه . فما ترك الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً ، بتلك القبضة ، فولّوا مُدبرين ، وقَسَمَ رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين .

نهاية المطاف :

ظلَّ هذا الصحابيُّ الجليلُ ينشطُ ويخف إلى مواطن الجهاد ، مدافعاً عن رسول الله ﷺ ، وعن دعوة الإسلام ، حتى قُبض رسول الله ﷺ ، وهنالك اتخذ له مجالين في حياته مجال الاشتراك في فتوحات العالم ، يُغذُّ[2] الخطا ، ويعدو عدواً لدحر قوى الشرّ والشِّرك والطُّغيان ، ومجال العلم ، يروي أحاديث النبي ﷺ ، ويُفتي في المسائل التي توجَّه إليه .

وكان سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من الذين فتحوا تونس ، أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان إذ ذاك في أوج شبابه ، وذروة نضوجه ، وما كان أصعبَ عليه أن

---

(١) استطلق : انحل وفُك .

(٢) يُغذ : يسرع .

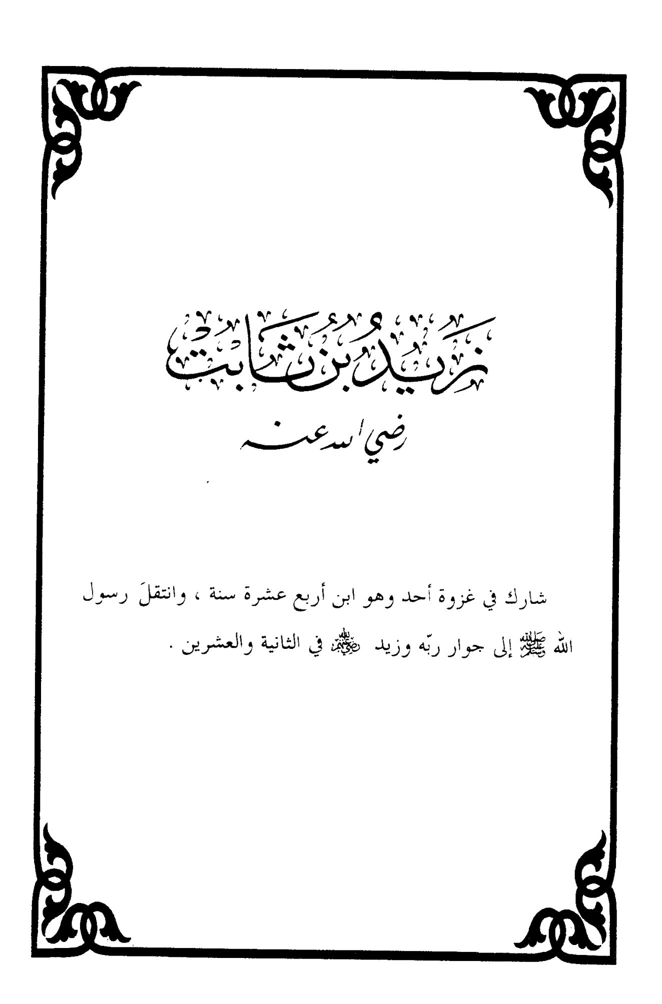
يسمع نبأ الفتنة ، وتطاول الرّعاع والغوغاء والسبئية على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وما كان أصعب النبأ الذي حملته الركبان إليه عن مقتل الإمام ، أمير المؤمنين ، وهنالك آثر أن يعتزل الناس ، واختار الرّبذة له مستقراً وموطناً ، وتزوج فيها ، ورزقه الله تعالى فيها الولد ، وعصم بذلك نفسه من أن ينحاز إلى طائفة من المسلمين ، دون طائفة .

على أنّ الحجاج لما نجمَ أمره[1] قد لام سلمة على خروجه إلى البادية ، وقال له : يابن الأكوع ، ارتددتَ على عقبيك ؟ تعرَّبت ؟! قال : لا . ولكن رسول الله ﷺ أذنَ لي في البدو[2] وكان عبدُ الملك بن مروان قد ندب الحجاج لمحاربة عبد الله بن الزبير ﷺ في الحجاز ، فلقي سلمة خلال طريقه إلى الحجاز ، فلامهُ هذا اللّوم .

ودائماً كان سلمةُ يتردّد على المدينة المنورة ، ويزور قبرَ رسول الله ﷺ ، ويتذكرُ عهوده الخوالي ، يومَ كان يتمتع برؤياه وأحاديثه ، ويصحبُه في أيام السلم وأيام الحرب ، وفي إحدى المرات نزل سلمة ﷺ إلى المدينة المنوّرة ، وكان قد ناهز الثمانين من عمره ، فمكث فيها ثلاثة أيام ، ثم أدركته منيته ، وكان ذلك عام ٧٤ هـ .

---

(١) نجم أمره : ظهر.
(٢) أذن لي في البدو : أي في الخروج إلى البادية.



زيد بن ثابت
رضي الله عنه

شارك في غزوة أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وانتقلَ رسول الله ﷺ إلى جوار ربّه وزيد رضي الله عنه في الثانية والعشرين .

اسمه وأسرته :

هو زيدُ بن ثابت ، من بني لوذان ، من بني نجـار ، الأنصـاري ، كـان يُكنـى بأبي سعيد ، وأبي خارجة ، وكان أبوه ثابت بن الضّحّاكِ قد قُتِلَ يـومَ بُعـاث ، قبل الهجرة بخمس سنين ، وكان زيدٌ آنئذ في السادسةِ مـن عمـره . وأمـه النَّـوار بنت مالك من كريماتِ المسلمات . وُلِدَ زيدٌ ﷺ في المدينة المنوّرةِ ، سنة /١١/ قبل الهجرة ، وأمضى فترةً من نشأته في مكّة المكّرمة ، ثم هاجر مع النبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة وهو في الحادية عشرة من عمره .

لم يأذن له رسولُ ﷺ أن يشترك في بدر :

كان زيد في الثالثة عشرةَ من عمرِه لّما نشبتْ معركةُ بدر ، وقد تقدّم إلى النبيّ ﷺ ليأذن له بالاشتراك فيها ، فأشفق عليه ، لصغرِهِ ، و لم يوافقْ له .

اشتراكه في غزوة أحد :

و لم يزدْ عمرُ زيدٍ يومَ غزوة أحدٍ على الرابعـة عشـرةَ ، وقـد ألحّ يومئـذ علـى النبيّ ﷺ ألا يردّه عن الاشتراك فيها ، كما ردّه يومَ بـدرٍ ، فاسـتجاب النبـيُّ ﷺ له ، غيرَ أنّـه كـان يحـرص علـى ألا يضعَـه في مواضـع الشّـدة ، ولا في الأمـاكن الحرجة ، ومما كلّفه به النبيُّ ﷺ يومَ أحُدٍ أنـه ﷺ لّـا جعـل يتفقّـد المسـلمين في نهاية المعركة ليعرف من استشهد منهم أرسلَ زيـد بـن ثـابتٍ ﷺ ليبحـث عـن سعد بن الربيع ﷺ ، وقال له : إنْ رأيتَه فأقرئْهُ منّي السّـلام ، وقـل لـه : يقـول لكَ رسولُ اللهِ ﷺ : كيفَ تجدُك ؟ قال زيدٌ ﷺ : فجعلتُ أطوفُ بـين القتلـى فأصبْتُه وهو في آخر رمق ، وبه سبعون ضربـة ، مـا بـين طعنـة برمـح ، وضربـة

بسيف ، ورمية بسهم ، فقلتُ لـه : يـا سـعد ، إن رسـولَ الله ﷺ يقـرأ عليـك السلام ، ويقول لك : أخبرني كيف تجدُك ؟ قـال : على رسـول الله السـلام ، وعليكَ السلامُ ، قل له : يا رسول الله أجدني أجـدُ ريـح الجنَـة ، وقـل لقومـي الأنصـار : لا عُـذْرَ لكـم عنـد اللهِ إن يُخْلَـصْ إلى رسـول الله وفيكـم شُـفْرٌ[1] يَطرِفُ . وفاضتْ نفسه رحمهُ الله .

يومَ الخندق :

أجاز النبيُّ ﷺ زيداً ﷺ في أنْ يُعَدَّ في صفوف المجاهدين ، ويقومَ بكل تبعاتِ المقاتِلِ ، منذ غزوة الخندق ، وكان زيدٌ فيمَنْ كانوا ينقلونَ التُّراب ، فقـال النبيُّ ﷺ في حقّه : « أما إنّه نعمَ الغلامُ » . وكان لزيدٍ صاحبٌ من أترابه وَلِدَاتِهِ[2] ، وهو عمارة بن حزم ، فنعس زيدٌ ، فجاء عمارة بن حزم ، فأخذ سلاحَه ، وهـو لا يشعر ، فقـال لـه النبي ﷺ يـا أبـا رقـاد . ويومئـذ نهـى النبيُّ ﷺ أن يُـرَوَّعَ المؤمنُ[3] ، أو أن يؤخذَ متاعه ، لا في لعبٍ ولا في جدٍّ .

في تبوك :

لزمَ زيدٌ ﷺ رسول الله ﷺ في سِلْمِهِ وأيّام حربـه ، وكـانت معـه رايـةُ بـني النجّار يومَ تبوك ، وكانت أولاً مع صديقهِ عمارةَ بن حـزم ، فأخذهـا النبيُّ ﷺ منه ، ودفعها إلى زيد بن ثابت . فقال عمارة : يا رسول الله ، هل بَلَغـك عنّـي

---

(١) الشُّفر : طرف العين الذي ينبت عليه الشعر .
(٢) أترابه ولداته : الذين هم من عُمره .
(٣) ترويع المؤمن : إخافته .

شيء ؟ قال : لا ، ولكن القرآن مقدّم . يشير ﷺ إلى استظهار زيد ﷺ للقرآن الكريم ، ولمّا أيّد الله عزّ وجل نبيّه ﷺ في تبوك تولى زيدٌ تقسيم غنائم المسلمين التي نالوها في تلك الغزوة .

شهدَ مع النبيّ ﷺ وفاةَ سبطه :

عن أسامةَ بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما ، قال : كنـا عنـد النبيّ ﷺ ، فأرسلَتْ إليه إحدى بناتهِ تدعوه وتخبره أنّ صبياً لها في الموت .. فقام النبيُّ ﷺ ، وقام معهُ سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن حارثة رضي الله عنهم ، ورجال ، وانطلقْتُ معهم ، فرُفِعَ إلى رسول الله ﷺ الصبيُّ ، ونفسُه تَقَعْقَعُ[1] كأنها في شنّ[2] ، ففاضتْ عيناه ، فقال له سعد ﷺ : ما هـذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمةٌ جعلها اللهُ في قلوب عباده ، وإنّما يرحم الله من عبادهِ الرّحماء .

يومُ السَّقيفة :

المسلمون بشرٌ ، وقد يقعون في ظروف مُربكة ، يحارُ فيها بعضهم ، فتُسعفُهم الشُّورى ، وآراءُ سائر المسلمين ، فإذا بالحَيرة تذهب وتنزاح .

لقد رَغِبَ قومٌ من الأنصار لما انتقل رسولُ اللهِ ﷺ إلى جوار ربه أن يكونَ الخليفةُ منهم ، واجتمعوا حول سعد بن عبادة ، وقال بعض الأنصار : يا معشر

---

(١) تقعقع : تضطرب

(٢) شنّ : قربة بالية .

المهاجرين ، إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعملَ رجلاً منكم قَرَنَ مَعَهُ رجلاً منّا، فنرى أن يليَ هذا الأمر رجلان ، أحدهما منكم ، والآخر منّا ، وتتابع عِدةُ خطباءَ من الأنصار على ذلك ، عندئذ قام زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ . فقال: « إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وإنّ الإمام يكونُ من المهاجرين ، ونحنُ أنصارُه ، كما كنّا أنصار رسولِ اللهِ ﷺ ، ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال : هذا صاحبكُم فبايعوه .

في خلافة أبي بكر ﷺ :

مرّ المسلمون يوم اليَمامةِ بمِحْنة صعبة ، وهم يجابهون بني حنيفة الذين التفّوا حول مسيلمة الكذّاب ، وتعصبوا له ، وأخذتْهم الحميّة حتى عزموا ألاّ ينفضّوا عنه ، وألاّ يُذعنوا للحقّ ، ولو أُبيدوا إبادةً ، وأخذوا يسددون سهامهم تجاه المسلمين ، ويُرْدُون الكثيرين منهم ، مستفيدين من مواقعهم المحصّنة ، والمُعَدَّة لإفناء مَنْ يُغير عليهم ، وثَبتَ من ناحية أُخرى المسلمون ، وعلى رأسهم القُرَّاء حَفَظَةُ القرآن ، وضحَّوا بأنفسهم في سبيل الله ، ومدّوا أجسامهم جسراً ليعبر عليه إخوانهم إلى النّصر ، و لم يَسلمْ من هؤلاء القُرّاء إلا القليل . وقد أبلى زيد بن ثابت ﷺ يومَ اليَمامة بلاءً حسناً ، وأصيب بسهم ، و لم يضرّه السهم ، ولّما انتهت معركةُ اليمامة أراد أبو بكر ﷺ أن يجمع القرآن .

زيدٌ يجمع القرآن :

قال زيدُ بن ثابت ﷺ : « أرسلَ إليّ أبو بكر ﷺ عنه فأتيتـهُ ، وكـان عنـده عمر بن الخطّاب ﷺ ، فقال لي : لقد أخبرني عمر أنّ القتل قد استحرَّ[1] بقُـرَّاء القرآن يومَ اليمامة ، وقد رأيتُ أن تجمعه » .

فقال زيدٌ لعمر ﷺ : كيـف نفعـل شـيئاً لم يفعلـه رسـولُ الله ﷺ ؟ . قـال عمر : هو واللهِ خيرٌ .. قال زيد : فلم يزلْ بـي عمـر حتـى شـرح الله صـدري للذي شرَح له صدره . فقال أبو بكر ﷺ يخاطب زيداً ﷺ : إنّك شـابٌ عـاقل لا نتهمك ، وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاجمعه . قال زيد : فوالله لئن كلّفوني نقل جبلٍ من الجبال ما كان بأثقل عليَّ ممّا أمرني به مِنْ جمع القرآن فتتبّعتُ القرآن أجمعُه من الرِّقاع واللِّخاف[2] والأكتاف[3] والعُسُب[4] ، وصدور الرجال ، حتى وجدتُ آخر سورة براءة مع خزيمـة بـن ثـابت الأنصـاري ﷺ ، ولم أجدْها مع أحد غيره ﴿ لَقَد جاءَكم رَسُولٌ من أنفسِكُمْ ، عزيزٌ عليهِ ما عَنِتُّمْ حريصٌ عليكم ، بالمؤمنينَ رَؤُفٌ رحيمٌ ، فإنْ تولَّوا فقل حسبيَ الله لا إله إلا هـو عليه توكّلْتُ ، وهو ربُّ العَرشِ العظيم ﴾ .

---

(١) استحرَّ : اشتدَّ وكثر .
(٢) اللّخفة : حجرة بيضاء رقيقة .
(٣) الأكتاف : عظام الأكتاف تؤخذ من الحيوانات الميتة .
(٤) العُسب : ورق النخيل

فكانت الصُّحف التي جُمعَ فيها القرآنُ عند أبي بكر مُدَّةَ حياته ، حتى توفّاه الله ، ثم عند عمر حتى توفّاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم .

مع عمر ﷺ :

كان عمر بن الخطّاب ﷺ يعرفُ لزيد مكانته ، ويقدّره حقّ قَدره ، حتى إنّه كان إذا سافر وغادر المدينة المنوّرة ، العاصمة الإسلامية ، كان يستخلفُ عليها زيد بن ثابت ﷺ ، فاستخلفه حين حجّ مرّة ، واستخلفه حين حجّ ثانية ، مرّة أخرى ، واستخلفه لما خرج إلى الشام ، وكان قلّما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل .

وكان عمر ﷺ يبعث بأعلام الصحابه وأولى الكفاءات العلمية والقيادية والدّعوية إلى الأمصار ، لكنه كان يحتفظ بزيد بن ثابت ، فلا يرسله إلى أي مكان ، لأنّه كان يرى أنّ أهل المدينة المنوّرة يحتاجون إلى زيد ، ويجدون عنده ما لا يجدون عند غيره . ومن تقدير عمر لزيد رضي الله عنهما أنه كان إذا عنّتْ له حاجة إلى زيد ذهب إليه ، و لم يَسْتَدْعِهِ ، وقد استأذن عليه أميرُ المؤمنين ﷺ ، مرّة فأذن له ، وقال له : يا أمير المؤمنين لو أرسلتَ إليَّ جئتُكَ ، فقال : عمر : إنّما الحاجة لي .

عمر يعلّمه كيف يقضي ؟

كان أميرُ المؤمنين عمر ﷺ بحراً من العلم ، لا ينضب معينه ، وكان لا ينسى مع تقديره لزيدٍ أن زيداً ﷺ عالم شابٌ أو قل طالبُ علم ، في حاجة إلى دُرْبة وتوجيه ، فكان لا يضنّ بذلك عليه ، ولا سيّما فيما يتعلّق بواقع الحياة ، إذ

يكونُ الشبابُ غالباً تُعوِزهم تجارب الشيوخ والكُبراء ، وقد روى الشَّعْبي أنه كان بين عمر وبين أبيّ بن كعب رضي الله عنهما مخاصمة ، فجعلا بينهْما زيد ابن ثابت ، فأتياه ، فقال عمر : أتيناك لتحكم بيننا ، وفي بيته يؤتى الحَكَمُ . فوسَّع له زيد عن صدر مجلسه ، وقال : هاهنا يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : هذا أول جوْر جُرْتَ في حكمك ، ولكن أجلسُ مع خصمي . فجلسا بينَ يديه. فادّعى أبيّ وأنكر عمر ، فقال زيد لأبيّ : أعْفِ أميرَ المؤمنين من اليمين ، وما كنتُ لأسألها لأحدٍ غيرِهِ ، فَلَفَتَ عمر نظر زيد رضي الله عنهما بأنّه كان ينبغي أنْ يساويه بأي رجل من المسلمين .

زيد ينصح عمر :

أخرج الطبرانيّ عن أبي قِلابةَ أنّ عمر ﷺ حُدِّث أنّ أبا مِحْجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحاب له ، فانطلق عمر حتى دخل عليه ، فلم يجدْ عنده إلا رجلاً واحداً ، فقال أبو محجن : يا أمير المؤمنين إنّ هذا لا يحلّ لكَ ، فقد نهاكَ الله عن التجسّس . فقال عمر : ما يقول هذا ؟ وكان قد حضَر زيدُ ابن ثابت ، وعبد الرحمن بن الأرقم ، فقالا : صَدق يا أمير المؤمنين ، هذا من التجسّس .

زيد في زمن عثمان رضي الله عنهما :

لم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه بأقلَّ تقديراً لزيد من عمر رضي الله عنهما ، فكان يستخلفه على المدينة إذا حجّ ، وكان يحبّ القراءة معه ، ويقولُ : إنّ قراءتي وقراءته واحدة ، ليس بيني وبينه فيها خلاف . ولّما شَغَبَ على عثمان ﷺ السبئيّة والرَّعاع انتصر له زيدٌ ﷺ ، وعرض عليه نصرة الأنصار ،

فاعتذر الخليفةُ ، وقال لزيد : إنّ أفضلكم عندي مَن كـفَّ يـدَه وسلاحه .و لّما امتدّتْ أيدي الغَدر والعُدوان إلى أمير المؤمنين حزن زيد ﷺ حُزْناً شديداً ، وبكاه طويلاً .

اشتغاله بالعلم :

أبصر بعض أولياء زيد حبّه للعلم ، واستعداده النفسي له ، فمضَوا به إلى رسول الله ﷺ وقالوا : يا نبيَّ الله ، هذا ابننا زيدُ بن ثابت يحفظ سبع عشرةَ سورة من كتاب الله ، ويعرف الكتابة . فاستمع رسول الله ﷺ إلى زيد ، فأعجبتْه تلاوته ، وصار يفيض عليه منذ ذلك اليوم ممّا علّمه الله تعالى ، حتى أنشأه على عينه عالماً ، فاضل النفس ، واسعَ التّحصيل . قال سهل بن أبي خيثمة : كان الذين يُفْتون على عهد رسولِ الله ثلاثةَ نفر من المهاجرين ، وثلاثة من الأنصار : عمر وعثمان وعلي ، وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رض الله عنهم . وقال مسروق : كان أصحابُ الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعليّ وابن مسعود وزيد وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري . وقال قبيصةُ بنُ ذؤيب : كان زيدُ بن ثابت مترئّساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي في مقامه بالمدينة ، وفي السنوات الخمس الأولى من عصر معاوية ، حتى توفّيَ زيدٌ سنة خمس وأربعين . وقال مسروق بن الأجدع الهمداني : شاممتُ[1] أصحابَ رسولِ الله ﷺ

(1) شاممتُ : قاربْتُ لأعرف .

فوجدْتُ علمَهم انتهى إلى ستّة ، إلى عمر وعلي وعبد الله ومعاذ وأبي الدرداء وزيد بن ثابت رضي الله عنهم . وقال مسروق أيضاً : قدمتُ المدينة فسألت عن أصحاب النبيّ ﷺ فإذا زيد بن ثابت من الراسخين في العلم . وقال أنس بن مالك : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوسُ : منّا غسيلُ الملائكة حنظل بن الراهب ، ومنّا من اهتزّ له العرش سعد بن معاذ ، ومنّا مَنْ حَمَتْهُ الدَبْر (النحل) عاصم بن ثابت ، ومنّا مَنْ أجيزت شهادته بشهادتين خزيمة بن ثابت. وقال الخزرج : منّا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ : زيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد . وقال مالك بن أنس : كان إمام الناس عندنا (بالمدينة) بعد عمر بن الخطّاب زيد بن ثابت . وقال الشعبي : ذهب زيد بن ثابت ليركب ، فأمسك ابن عباس بالرّكاب ، فقال زيد: تنحّ يا بن عمّ رسول الله ﷺ . فقال : لا . هكذا نفعلُ بالعلماء والكبراء . وقال ثابت بن عبيد : ما رأيت رجلاً أفكهَ في بيته ولا أوقرَ من زيد .

علوم أخرى سوى الفقه :

كان زيدٌ ﷺ فقيهاً واسع العلم في المواريث . قال رسول الله ﷺ : « أفرضكم زيد » ، وكان حاذقاً في علوم القرآن الكريم ، قال عمر بن الخطّاب ﷺ : مَنْ أرادَ أن يسأل عن القرآن الكريم فليأت زيد بن ثابت . وكان زيدٌ ﷺ من كتّاب الوحي ، فكان يكتب كلّ ما ينزل على رسول الله ﷺ ، وقد جمع القرآن بعد معركة اليمامة زمن أبي بكر ﷺ ، كما مرّ بنا ، ثم جمع المسلمين على مصحف واحد ، احترازاً من اختلاف الروايات ، زمن عثمان ﷺ وقراءة زيد التي أودعها في هذا المصحف هي المعتمدة عند المسلمين اليوم ، وهي

المعروفة بالمصحف العثماني ، نسبة إلى المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت زمن عثمان رضي الله عنهما . وكان يكتب زيدٌ لرسول الله ﷺ غير الوحي ، وكذلك كتب من بعده للخلفاء الراشدين ، أبي بكر وعمر .

تعلّمه العبرية والسرّيانية :

لمّا التقى زيدٌ رسول الله ﷺ قال له : تعلّم كتابَ يهود ، فإني ما آمَنهم على كتابي ، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته ، فكنتُ أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له

وفي رواية أخرى قال زيد بن ثابت : قال لي رسولُ الله ﷺ : إني أكتبُ إلى قوم ، فأخاف أنْ يزيدوا عليَّ أو ينقصوا ، فتعلّم السريانية . فتعلّمتها في سبعة عشر يوماً .

مواعظه :

كان زيدٌ : ﷺ مع علمه كثير المراقبة لسلوكه وأعمال قلبه وخواطر نفسه ، ويتجلّى ذلك في هذه الرسالة التي وجهها إلى أبيّ بن كعب رضي الله عنهما ، قال زيد:أما بعد ، فإن الله قد جعلَ اللسانَ ترجماناً للقلب ، وجعل القلبَ وعاءً ينقاد له اللّسان ، فإذا كان القلبُ على طوق اللسان ، جاء الكلامُ وائتلف القولُ واعتدل ، ولم يكن للسان عَثْرةٌ ولا زلّة .. هل تجدُ عند أحدٍ شرفاً أو مروءَة إذا لم يحفظ ما قال ثم يتّبعه ، ولا يكون بصيراً بعيوب الناس ، فإن الّذي يبصرُ عيوب الناس ويهون عليه عيبه كمن يتكلّف ما لا يُؤْمَرُ به ، والسلام .

موته :

أمضى زيدُ بن ثابت ﷺ ما يزيد على أربعة عقود من حياته في كتابة الوحي أولاً ثمّ الاشتغال بعلوم القرآن ورواية الحديث والفقه والتفسير والكتابة والترجمة وتعليم المسلمين حتى مات ﷺ سنة ٤٥ هـ . وكان جديراً بمثله أن يحزنَ عليه المسلمون . قال أبو هريرة ﷺ : اليومَ ماتَ حَبْرُ[١] هذه الأمّة ، وعسى أن يجعلَ الله في ابن عبّاسٍ خلَفاً منه . وقال حسان ﷺ :

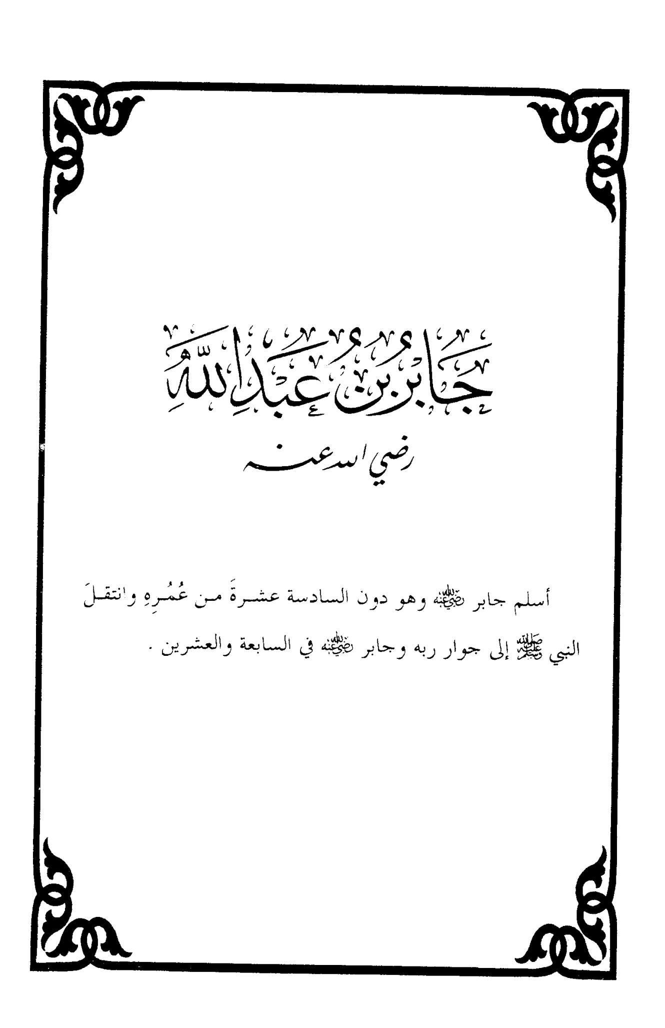
فمَن للقوا في بعدَ حسَّانَ وابنهِ   ومَن للمثاني[٢] بعدَ زيد بن ثابت ؟

وقال ابن عمر : يرحمه اللهُ ، فقد كان عالمَ الناسِ في خلافة عمر وحَبرَها . وقال سعيد بن المسيّب : شهدْتُ جنازة زيد بن ثابت ﷺ ، فلمّا دفن في قبره قال ابن عباس رضي الله عنهما : ايم الله ، لقد ذهب اليوم علم كثير .

---

(١) الحَبر : العالم
(٢) المثاني : الآيات





جابر بن عبد الله

رضي الله عنه

أسلم جابر رضي الله عنه وهو دون السادسة عشرةَ من عُمُرِهِ وانتقلَ النبي ﷺ إلى جوار ربه وجابر رضي الله عنه في السابعة والعشرين .

اسمه وأسرته :

هو جابر بنُ عبد الله بن عمرو الخزرجيُّ الأنصاريُّ السَّلَميّ ، وكان يُكنى بأبي عبد الله ، وأبي عبد الرحمن ، وأمُّه نسيبةُ بنتُ عقبة ، وأبوه الصحابيُّ الجليلُ عبدُ الله بنُ عمرو ، الذي كان أحد شهداء أحد ﷺ .

أخرج الشيخان عن جابر ﷺ أنه لمّا قتل أبوه جعل يكشفُ عن وجهه الثوبَ ويبكي ، فنهاه الناسُ ، فقال رسول الله ﷺ : تبكيه أو لاتبكيه ، لم تزل الملائكةُ تظلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه .

وقال جابر : لما حضر قتالُ أُحُد ، دعاني أبي من الليل ، فقال : إني لا أراني إلا مقتولاً في أوّل من يُقتلُ من أصحابِ رسول الله ﷺ ، وإنّي والله ما أدعُ أحداً بعد رسول الله ﷺ أعزَّ عليَّ منكَ ، وإنّ عليَّ ديناً ، فاقضِ عني ديني ، واستوص بأخواتك خيراً . قال جابر : فأصبحنا ، فكان أول قتيلٍ .

وقال جابرٌ : فبينما أنا في خلافةِ معاوية ﷺ ـ وكان قد أجرى عينَ ماء على شهداء أحد ، إذ قال رجل لي : ياجابرُ لقد أثار عمالُ معاويةَ قبرَ أبيك ، فبدا جسمه ، فأتيته فوجدتُه على النحو الذي دفنته لم يتغير ، ليناً جسده ، تتثنى أطرافُه . وكان مضى على استشهاده ستٌّ وأربعون سنة .

إسلام جابر ، وشهوده العقبة الثانية :

ولد جابرٌ ﷺ في سنة / ١٦ / قبل الهجرة وأسلم صغيراً وقدمَ هو وأبوه عبد الله ﷺ يومَ بيعةِ العقبة الثانية ، ويروي الإمام أحمدُ عن جابر ﷺ خبر تلك البيعة على هذا النحو :

قال جابر : مكثَ رسول الله ﷺ بمكة عشرَ سنين ، يتبعُ الناسَ في منازلهم ، عكاظ ومَجَنّة[1] ، وفي المواسم ، يقول : من يؤويـني ؟ مـن ينصرنـي حتـى أبلّـغ رسالةَ ربي وله الجنةُ ؟ فلا يجدُ أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إنَّ الرجـلَ ليخـرجُ من اليمنِ أو من مُضَرَ فيأتيه قومه وذوو رحمِه ، فيقولون : احذر غـلامَ قريـش ، لا يفتننكَ . حتى بعثنا الله إليه من يثربَ فآويناه وصدّقناه ، حتى لم تبقَ دارٌ مـن دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام . ثم قلنا : حتى متى نترك رسولَ الله ﷺ يطوفُ ويُطرَد في جبـال مكّـة ويُخـاف ؟ فرحـلَ إليـه منّـا سـبعون رجـلاً حتـى قدِمـوا عليـه في الموسـم فواعدنـاه شِـعبَ العقبـة ، فقلنـا : يارسول الله ، علامَ نبايعُك ؟ قال : تبايعوني علـى السـمع والطّاعـة في النشـاط والكسل ، والنفقةِ في العسر واليُسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكـر وأن تقولوا الحقّ لا تخافون في الله لومةَ لائم ، وعلى أن تنصرونـي فتمنعونـي إذا قدمتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجَكم وأبناءكم ، ولكم الجنّةُ فقمنـا إليه فبايعناه .

خبر عتبة بن ربيعة :

على الرغم من أنّ جابراً رضي الله عنه قد أسلم صغيراً ، فقد كـانت تـترامى إلى سمعـه أخبارُ مايصنعُه المشركون ، وما صنعوه بالنبي ﷺ ، والمسـلمين ، وصـار يرويهـا في جُملة ما كان يرويه . من ذلك إخبارُهُ عن مجيء عتبة بن ربيعـة إلى النبي ﷺ

(١) عكاظ ومجنة سوقان من أسواق العرب

وقوله له : إن كانَ إنما بك حاجةٌ جمعنا لك حتى تكونَ أغنى قريش وإن كان إنما بك الباهُ[1] ، فاختر أيّ نساء قريش شئت فلنزوجكَ عشراً .. فقال رسولُ الله ﷺ : فرغْتَ ؟ قال : نعم فقال رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم ، تنزيلٌ من الرحمن الرحيم ، كتابٌ فصّلت آياتهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمونَ بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرهم فهم لا يسمعونَ وقالوا : قلوبنا في أكنّةٍ ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرٌ ، ومن بيننا وبينك حجابٌ فاعمل إننا عاملونَ ، قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليَّ أنّما إلهكم إلهٌ واحدٌ فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويلٌ للمشركينَ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرونَ ، إنَّ الذينَ ءامنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غيرُ ممنون ﴾[2] .

إلى أن بَلَغَ قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمودٍ ﴾[3] . فأمسكَ عتبةُ على فيه[4] ، وناشده الرّحمَ[5] أن يكفّ .

آل ياسر :

أخرج الطبراني عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ بعمّارٍ وأهله رضي الله عنهم يُعذّبون ، فقال : أبشروا آل ياسر ، فإنَّ موعدكم الجنة .

---

(١) الباه : الرغبة في الزواج .
(٢) سورة فصّلت ، الآيات / ١ - ٨ / .
(٣) فُصّلت / ١٣ / .
(٤) فيه : فمه .
(٥) الرحم : الأقارب

جابر يمرضُ فيعوده رسول الله ﷺ .

قال جابرٌ ﵁ . مرضتُ مرضاً ، فأتـاني النـبي ﷺ يعودنـي وأبـو بكـر ﵁ وهما ماشيان . فوجداني أُغميَ عليَّ ، فتوضَّأ النبي ﷺ ، ثمّ صبَّ وضوءه عليَّ، فأفقتُ

بعثُ أبي عبيدة ﵁ :

قال جابرٌ ﵁ بعثنا رسول الله ﷺ وأمرَّ علينا أبا عبيـدة ﵁ نتلقّـى عـيراً[١] لقريش وزوَّدنا جراباً من تمرٍ ، فكان أبو عبيدة يعطينـا تمـرةً تمـرة .. كنـا نمصّهـا كما يمصّ الصبيّ ، ثم نشربُ عليها الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، ثمّ انتهينا إلى ساحلِ البحر ، فإذا حُوتٌ مثل الظَّرب[٢] فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة .. ولقد أخذ منّا أبو عبيدةَ ثلاثةَ عشرَ رجلاً فأقعدهم في وقب[٣] عينه .

يوم أحد :

قال جابر ﵁ : غزا رسول الله ﷺ بنفسه إحدى وعشرين غزوة ، شهدتُ منها تسع عشرة غزوة ، وقد منعه أبوه أن يشهد بدراً وأُحُداً ، لصغر سنّه ، فلمّا قُتل أبوه ﵁ لم يتخلّف . على أنّ نهيَ أبيه له عن القتال لم يمنعه أن يجلـسَ يـوم بدرٍ الماءَ للصحابة رضوان الله عليهم ، أو أن يتعقّـبَ أخبـارَ أحُـد ، فقـد نقلـت

---

(١) العير : القافلة .

(٢) الظَّرب . الجبل

(٣) الوقب : كل نقرة في الجسد ، كنقرة العين والكتف

الروايات أنّه كان يَمْتَحُ الماءَ في بدر للمسلمين ، وأنّه أخبرَ عن انهزام الناس عن رسول الله ﷺ إلا أحد عشر رجلاً من الأنصار ، وطلحة بن عبيد الله ، وكيف قاتلوا عنه ﷺ حتى أصيبوا ، فكانوا بين قتيل وجريح . وكذلك روى جابرٌ ﷺ نبأ استشهاد حمزةَ ﷺ يومَ أحُد ، وهو يقول أنا أسدُ الله وأسدُ رسوله ، وأنّ رسول الله ﷺ لما رأى جبهته بكى ، وقال : سيّدُ الشهداء حمزة .

يوم الخندق :

قال جابر ﷺ : إنا يومَ الخندق نَحفِرُ فعرضت كُدْيةٌ (صخرةٌ غليظة) شديدةٌ ، فأخذ النبي ﷺ المعولَ (الفأس) فضربها ، فعادت كثيباً أهيلَ[1] . ثم قلتُ يا رسول الله ائذن لي إلى البيت ، أنت ورجلٌ أو رجلان .. فقال رسول الله ﷺ : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار ، فجعل النبي ﷺ يكسر الخبزَ ويجعل عليه اللحم ، ويُقرّب إلى أصحابه ، حتى شبعو جميعاً ، وكانوا ثمانمئة ، وكانت وجبة جابر ﷺ خبز شعير وعناقاً[2]

غزوة المُرَيسيع :

قال جابر ﷺ : كنا في غزاة ، فكَسَعَ[3] رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري : يا للأنصار ! وقال المهاجري : ياللمهاجرين ، فسمعَ ذلكَ

(١) كثيباً أهيل : رملاً يتساقط أعلاه إذا تحرك أسفله .
(٢) العناق : الأنثى من أولاد الماعز .
(٣) كسع : ضرب المؤخرة منه .

رسول الله ﷺ فقال : مابالُ دعوى جاهلية ؟ قالوا : يارسول الله ، كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقالوا : دعوها فإنها منتنة . فسمع بذلك عبد الله بنُ أبيّ ، فقال : فعلوها أما والله ! لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، فقال عمرُ ﷺ : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : دعهُ ، لا يتحدثُ الناس أنّ محمداً يقتلُ أصحابه .

يوم الحديبية :

قال جابر ﷺ : عطش الناسُ يوم الحديبية ، والنبيُّ ﷺ بين يديهِ ركوةٌ[1] يتوضأ منها ، فجهش الناس نحوه[2] ، فقال : مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ به ولانشربُ إلا مابين يديك ، فوضع يده في الرَّكوة ، فجعل الماء يفورُ من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضَّأنا .. كنا خمس عشرة مائة .

قتل كعب بن الأشرف اليهودي :

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : مَنْ لكعب ابن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله ؟ فقام محمد بن مسلمة ﷺ فقال : يارسولَ الله ! أتحبّ أنْ أقتله ؟ قال نعم .

---

(١) الرَّكوة : إناء من جلد يشرب به الماء .

(٢) توجهوا إليه وفزعوا إليه .

فأتاه محمد بنُ مسلمة . فقال : إنّ هذا الرجل[1] قد سألنا صدقةً ، وإنه قد عنّانا[2] ، وإني قد أتيتك أستسلفك .. فواعده أن يأتيه ليلاً . فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم .. ويُدخلُ محمد بن مسلمة معه أبا عبس بن جبر والحارث بن أوس ، وعبّاد بن بشر فقال (لهم) : إذا ماجاءَ فإني قائلٌ بشعره فأشمُّه ، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه فدونكم فاضربوه . فنزل إليهم كعب متوشّحاً[3] ، وهو ينفح منه ريح الطيب .

فقال محمد بن مسلمة (لكعب بن الأشرف) : أتأذنُ لي أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه ، فحمد الله تعالى .

يوم حنين :

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس مارأى: « ياعبّاسُ نادِ : يامعشرَ الأنصار ، يا أصحاب الشجرة ، فأجابوه : لبّيكَ ، لبّيكَ فجعل الرجلُ يؤمُّ الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة ،

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم
(٢) عنانا : أتعبنا
(٣) متوشحاً : عليه وشاح ، وهو جلد مرصّع بالجوهر

فاستعرض الناس[1] فاقتتلوا ، وكانت الدعوةُ أوّلَ ماكانت للأنصار ، ثم جُعلت آخراً للخزرج ، وكانوا صبراً عند الحرب .

ونظر رسول الله ﷺ إلى مُجتَلَد[2] القوم . فقال : الآن حَميَ الوطيس[3] .

قال جابر : فوالله ماراجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتَفون فقتلَ الله منهم من قتلَ . وانهزم منهم من انهزم .

شجاعة العباس رضي الله عنه :

قال جابر رضي الله عنه : بعث النبي ﷺ حنظلة بن الربيع رضي الله عنه إلى أهل الطائف ، فكلّمهم ، فاحتملوه ليُدخلوه حصنهم ، فقال رسول الله ﷺ : من لهؤلاء وله مثلُ أجر غزاتنا[4] هذه ؟ فلم يَقُم إلا العباسُ بنُ عبد المطّلب رضي الله عنه ، حتى أدركه في أيديهم قد كادوا أن يدخلوه في الحصن ، فاحتضنه العباس رضي الله عنه ، وكان رجلاً شديداً ، فاختطفه من أيديهم ، وأمطروا على العباس رضي الله عنه الحجارة من الحصن . فجعل النبي ﷺ يدعو له حتى انتهى به إلى النبي ﷺ .

---

(١) استعرض الناس : استقبلهم بهذه المائة .
(٢) المجتلد : الموضع الذي يتجالدون فيه . أي يتحاربون .
(٣) حمي الوطيس : اشتدّ الأمر .
(٤) الغزاة : الغزوة .

ثبوت الشفاعة :

قال طلقُ بن حبيب : كنتُ من أشدّ الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيتُ جابر ابن عبد الله رضي الله عنه ، فقرأتُ عليه كلَّ آية أقدرُ عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار ، فقال : ياطلق ! أتراك أقرأ لكتاب الله ، وأعلمَ بسنّة رسول الله مني ؟ إنّ الذين قرأتَ هم أهلها إنما هم المشركون ، ولكنّ هؤلاء (الذين يخرجهم الله عزّ وجلّ من النار) إنما هم قومٌ من المؤمنين أصابوا ذنوباً فعذبوا ثم أُخرجوا منها ، ثمّ أهوى جابرٌ رضي الله عنه بيديه إلى أذنيه ، وقال : صُمَّتا إن لم أكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يخرجون من الناس بعدما دخلوا » . وقال يزيد الفقير - فيما رواه ابن أبي حاتم - : جلستُ إلى جابر بن عبد الله وهو يحدّث ، فذكر أنّ أناساً يخرجون من النار ، قال يزيد : وأنا يومئذ أنكر ذلك . فغضبتُ ، وقلتُ : ما أعجبُ من الناس ، ولكن أعجبُ منكم يا أصحابَ محمد ﷺ ! تزعمون أنّ الله يخرج ناساً من النار ، والله يقولُ :

﴿ يريدونَ أن يخرجوا من النار ، وما هم بخارجين منها ﴾[1] . فانتهرني أصحابه ، وكان أحلمهم ، فقال : دعوا الرجل ، إنما ذلك للكفار ، فقرأ : ﴿ إنّ الذين كفروا لو أنّ لهم مافي الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبِّلَ منهم ، ولهم عذابٌ أليمٌ يريدونَ أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيمٌ ﴾[2] . أما تقرأ القرآن ؟ قلتُ : بلى ، قد جمعته

---

(١) سورة المائدة ، الآية / ٣٧ / .

(٢) سورة المائدة / ٣٦ - ٣٧ / .

قال : أليس الله يقول : ﴿ ومن الليل فتهجَّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً ﴾[1] . فهو ذلك المقام ، فإن الله تعالى يحتبسُ أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء لا يكلّمهم ، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم ، قال يزيد : فلم أعُد بَعدَ ذلك إلى أن أكذّبَ به .

الاستغفار :

قال جابر بن عبد الله ﷺ : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : وا ذُنوباه ! فقال له رسول الله ﷺ : قل : اللهمّ مغفرتك أوسعُ من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي . فقالها ثم قال : عد . فعاد . ثم قال عد . فعاد . ثم قال : قم ، فقد غفر الله لك .

مال البحرين :

لما توفّي رسول الله ﷺ جاء مال من البحرين ، فقال أبو بكر ﷺ : من كانَ له على رسول الله ﷺ شيء أو عِدَةٌ فليقم فليأخذ . فقام جابر ﷺ ، فقال : إنّ رسول الله ﷺ قال : إن جاءني مالٌ من البحرين لأعطينك . فقال أبو بكر ﷺ : عدّوا له ألفاً . قال جابر ﷺ : مامنّا من أحدٍ أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، غير عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

---

(١) سورة الإسراء / ٧٩ / .

إنكار عمر على جابر لشرائه اللحم لأهله :

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : لقيني عمر بن الخطاب ﷺ وقد ابتعتُ لحماً بدرهم . فقال : ماهذا ياجابر ؟ قُلت : قَـرِمَ أهلـي[1] ، فـابتعْتُ لهـم لحمـاً بدرهم فجعل عمر يردّد : قرم أهلي ! حتى تمنيتُ أن الدرهم سقط مني ولم ألقَ عمر وفي رواية أخرى قال له عمر : أكلما اشتهيتمُ شيئاً اشتريتموه ؟ أين تذهبُ عنكم هذه الآية : ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكمُ الدنّيا واستمتعتم بها ﴾[2] .

أهل القادسية :

قال جابر ﷺ : والله الذي لا إله إلا هـو ، مـا اطلّعنـا علـى أحـد مـن أهـل القادسية أنه يريدُ الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفـرٍ ، فمـا رأينـا كـالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم : طليحة بن خويلد ، وعمرو بن معد يكرب ، وقيس بن المكشوح .

رحلته في طلب العلم :

قال جابر ﷺ : بلغني عن رجل (في الشام) حديثٌ سمعـه عـن رسـول الله ﷺ فسرتُ إليه شهراً حتى قدمتُ الشام فإذا عبد الله بن أنيس ﷺ ، فـاعتنقني واعتنقته فقلت : حديث بلغني عنك أنّك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص. فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : يحشرُ الله الناسَ يـوم القيامـة عُـراة غُـرلاً[3]

---

(١) القرم : اشتهاء اللحم .
(٢) الأحقاف / ٢٠ / .
(٣) الأغرل : الأقلف أي الذي لم يُختن.

بهماً[1] ثمّ يناديهم : أنا الدّيّان ، أنا المالك ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حقّ حتى أقضيه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنّة ولأحدٍ من أهل النار عنده حقّ حتى أقضيه منه حتى اللّطمة . قلنا : كيف هذا وإنما نأتي عُراةً غرلاً بُهماً ؟ قال : الحسنات والسيئات[2] . وقال مَسلمةُ بن مخلد : بينما أنا على مصر إذ أتى البوابُ فقال : إنّ أعرابياً على الباب على بعير يستأذن ، فقلت : من أنت ؟ قال:جابر بن عبد الله . قال : فأشرفتُ عليه فقلت : أنـزل إليك أو تصعد ؟ فقال : لاتنـزل ولا أصعد . حديثٌ بلغني أنّك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن جئتُ أسمعه. قلتُ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : مَنْ ستر على مؤمنٍ عورة فكأنما أحيا موءودة[3] .

النهاية :

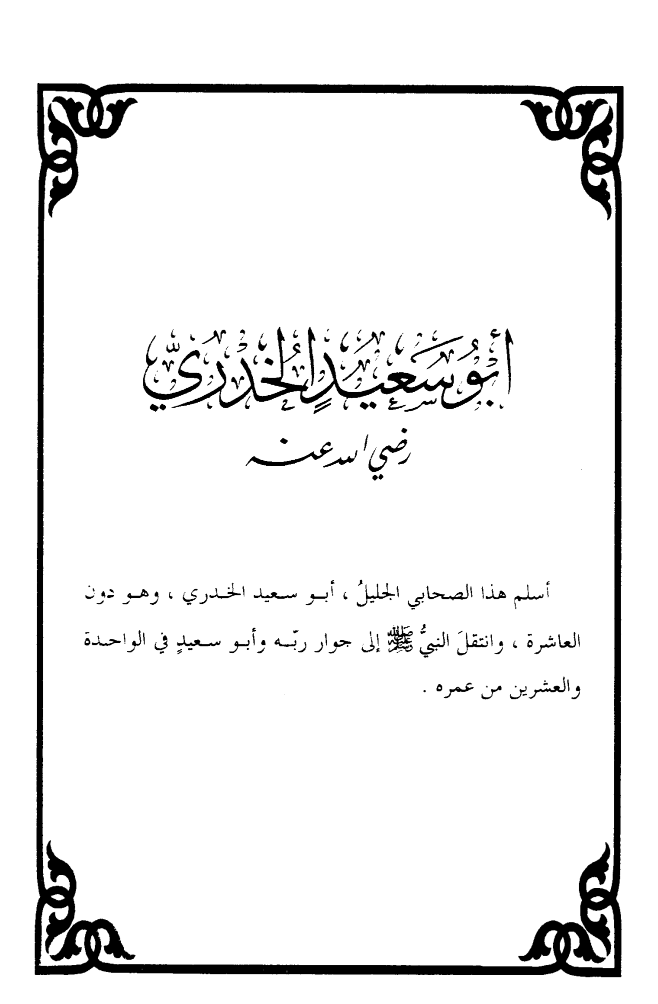
روى جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ / ١٥٤٠ / حديثاً ، وكانت له في أواخر أيامه حلقةٌ في المسجد النبوي يعلّم فيها الناس ، وقد كُفّ بصره في آخر عمره ، ومات في المدينة المنوّرة عام / ٧٨ / هـ ، فصلّى عليه أبان بن عثمان ، أمير المدينة ، وكان عمرُه لما قضى نحبه / ٩٤ / سنة ، رضي الله عنه .

---

(١) البهم : الذين ليس معهم شيء

(٢) أي أنّ القصاص يكون بالحسنات والسيئات

(٣) الموءودة : الفتاة التي تدفن حية



أبو سعيد الخدري

رضي الله عنه

أسلم هذا الصحابي الجليلُ ، أبـو سعيد الخـدري ، وهـو دون العاشرة ، وانتقلَ النبيُّ ﷺ إلى جوار ربّـه وأبـو سـعيدٍ في الواحـدة والعشرين من عمره .

نسبه :

هو سعدُ بنُ مالكِ بن سنان بن خُدرةَ بن الخزرج الأنصاريُّ ، شُهِرَ بكُنيته ولقبه « أبي سعيد الخدري » الأنصاري ﷺ ، وُلِدَ سنةَ /١٠/ ق هـ في المدينة المنوّرة ، وأرشدَه أبوه مالكُ بنُ سنان إلى الإسلام منذ نعومةِ أظفاره ، فتوجَّه إلى النبي ﷺ وبايعه على ألا تأخذه في الله لومةُ لائم . وقد استشهدَ أبوه مالكُ بن سنان ﷺ يوم أحد ، بعد أن أبلى بلاءً حسناً . روى أبو سعيد الخدري ﷺ أنّ أباه مالكَ بن سنان ﷺ لما أصيبَ رسولُ الله ﷺ في وجهه يومَ أحُدٍ مصَّ دمَ رسول الله ﷺ وازدردهُ (ابتلعه) فقال رسول الله ﷺ : من أحبَّ أن ينظر إلى من خالط دمي دمهُ فلينظر إلى مالك بن سنان . وقال عليه الصلاةُ والسلام : « خالط دمي دمه ، لاتمسُّه النار »

نشأته :

نشأ سعدٌ يتيماً فتحمَّلَ صعوبة اليُتم ، وضنكَ[1] الفقر ، قال أبو سعيد : قُتل أبي يوم أُحُد ، شهيداً ، وتركنا بغير مال ، فأعْوَزْنا (افتقرنا) إعوازاً شديداً ، فأمرني أهلي أن آتيَ النبي ﷺ فأسأله شيئاً ، فأقبلت ، فكان أوّل ماسمعتُ النبي ﷺ يقول : « من استغنى أغناه الله ، ومن استعفَّ أعفه الله ، ومن سألنا لم ندَّخر عنه شيئاً وجدناه » فلم أسأله شيئاً ، ورجعتُ ، فمالت علينا الدُّنيا . وكان سعدٌ ﷺ قد حرص على أن يشترك - مع قسم من الصبية - في يوم أحد ،

---

(١) الضنك : الضيق .

فاستصغر ، ولم يُقبل . وبعد هذه الموقعة لزم النبي ﷺ يأخذ عنه ، قال أبو سعيد : كنتُ في عصابة من المهاجرين جالساً معهم ، وإنّ بعضهم ليستترّ ببعضٍ من العُري ، وقارئٌ لنا يقرأ علينا ، فكنا نستمع إلى كتاب الله ، فقال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي جعل من أمتي من أُمرتُ أن أصبر معهم نفسي .

أبشروا معاشر صعاليك[1] المهاجرين بالنور يوم القيامة ، تدخلون قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلكَ خمسمائة عام »

شباب حول الرسول ﷺ :

كان أبو سعيد الخدري ﷺ أحد عشرين شاباً من الأنصار كانوا يلزمون رسول الله ﷺ ليقضوا له حوائجه ، فإذا أراد ﷺ أمراً وجههم إليه ، قال أبو سعيد : فكنّا نتناوبُ رسول الله ﷺ ، تكون له الحاجةُ ، أو يرسلُنا في الأمر ، فيكثر المحتسبون[2] وأصحابُ النُوَب[3] فخرج علينا رسول الله ﷺ ، مرّةً ونحنُ نتذاكرُ الدَّجّالَ . فقال : ماهذه النَّجوى ؟ ألم أنهكم عن النجوى ؟ . على أنّ أبا سعيد ﷺ كان أفقه هؤلاء الشُّبان جميعاً الذين التفّوا حولَ رسول الله ﷺ ، فقد كان صغيرَ السنّ ، وكان كلّما حضرَ مجلساً وجده لايخلو من فتىً ، فحذق الفقه . قال أبو سعيد : كانَ أصحابُ النبي ﷺ إذا جلسوا كان (الفقه) حديثهم ، إلا أن يقرأ رجلٌ سورةً أو يأمرَ رجلاً بقراءة سورة .

---

(١) الصعاليك : الفقراء

(٢) الذين يقضون حوائج النبي صلى الله عليه وسلم ابتغاء ثواب الله

(٣) النوب : جمع نوبة

غزواته مع النبي ﷺ :

لم يؤذن لأبي سعيد رضي الله عنه أن يشترك في غزوة أحد ، لصغره آنذاك ، ولكنّه اشترك في الغزواتِ التي أعقبتها ، وكانت غزوةُ الخندق أوّل مشاهده التي حضرها مع الرسول ﷺ ، وقد غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة .

يوم الخندق :

أخرج الإمامُ أحمد عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال : قلنا يومَ الخندق : يارسول الله ، هل من شيء نقوله ، فقد بلغت القلوبُ الحناجر ؟ قال : « نعم ، اللهمّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا » . فضرب الله وجوهَ أعدائه بالرِّيح . ولما استشهدَ سعدُ بن معاذ رضي الله عنه شهدَ أبو سعيد دفنه ، قال أبو سعيد رضي الله عنه : كنتُ ممَّن حفر لسعدٍ رضي الله عنه قبره بالبقيع ، وكان يفوحُ علينا المسْكُ كلّما حفرنا قُترَةً[1] من تراب حتى انتهينا إلى اللّحد .

غنائم حنين :

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حُنين ، وقسم للمتألفين[2] من قريش وسائر العرب ماقسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ ، وَجَد[3] هذا الحيّ حتى قال قائلهم : لقيَ رسول الله ﷺ قومه . فخرج

(١) الحفنة والمقدار القليل من التراب .

(٢) المتألفون : المؤلفة قلوبهم ، وهم قومٌ كانوا يُخصُّون بالعطاء لضعفِ دينهم .

(٣) وجد : غضب .

رسولُ الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله . ثم قال . « يامعشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله ؟ وعالةً[1] فأغناكم الله ، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى . قال : والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصُدِّقتُم : جئتنا طريداً فآويناك وعائلاً فآسيناك ، وخائفاً فأمّناك ، ومخذولاً فنصرناك . فقالوا : المنُّ لله ولرسوله . فقال رسول الله ﷺ . أوجدتُم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعةٍ[2] من الدنيا تألّفتُ بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ماقسم الله لكم من الإسلام ؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهبَ الناسُ إلى رحالهم بالشّاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذي نفسي بيده لو أن الناسَ سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعبَ الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » . فبكى القومُ حتى أخضلوا[3] لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً .

آخر خطبة لرسول الله ﷺ :

قال أبو سعيد الخدري ﷺ : خطب رسول الله ﷺ الناس فقال : « إنّ الله خيرَّ عبداً بين الدُّنيا وبين ما عنده فاختارَ ذلك العبدُ ما عند الله » . فبكى أبو بكر . فعجبنا لبكائه أن يُخبرَ رسولُ الله عن عبد . فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر ، وكان أبو بكر ﷺ أعلمنا به .

---

(١) عالة : فقراء

(٢) اللعاعة : نبت ناعم ، في أول نباته

(٣) أخضلوا لحاهم : بلوها

سقيفة بني ساعدة :

قال أبو سعيد الخدريّ ﷺ : لما توفّي رسولُ الله ﷺ قامَ خطباءُ الأنصار ، فجعلَ الرجلُ منهم يقول : يامعشرَ المهاجرين ، إنّ رسولَ الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرَن معه رجلاً منّا ، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدُهما منكم والآخر منا . فقام زيدُ بن ثابت ﷺ فقال : إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وإن الإمام يكونُ من المهاجرين ، ونحن أنصاره كما كنّا أنصارَ رسول الله ﷺ . فقام أبو بكر ﷺ فقال : جزاكم الله خيراً يامعشر الأنصار ، وثبّت قائلكم . ثم أخذ زيدُ بن ثابت بيد أبي بكر فقال : هذا صاحبُكم فبايعوه .

حديقة الموت ، واستشهاد عبّاد بن بشر ﷺ :

قال عبّاد بن بشر ﷺ لأبي سعيد الخدريّ ﷺ ليلة المعركة الفاصلة في اليمامة ، عندما أراد المسلمون اقتحام حديقة مسيلمة الكذاب ، قال عباد لأبي سعيد : رأيتُ الليلة كأنّ السماءَ قد فُرِجت لي ، ثمّ أطبقت عليّ ، فهي إن شاء الله الشهادة . فقال أبو سعيد : خيراً والله رأيتَ . قال أبو سعيد ﷺ وأنظرُ إليه يوم اليمامة وإنه ليصيحُ بالأنصار : احطموا جفون السيوف[1] وتميَّزوا من الناس ، فأخلصوا[2] أربع مائة رجلٍ من الأنصار مايخالطُهم أحدٌ ، يقدمهم عبّادُ

(١) أي اكسروا أغمادها حتى لاترجع إليها .
(٢) أي استصفوا ، وانفصلوا .

ابن بشر ، وأبو دُجانة ، والبراءُ بنُ مالك رضي الله عنهم حتى انتهوا إلى باب الحديقة ، وهي بستانٌ مسوَّرٌ لمسيلمة تحصّن فيه هو وأتباعُه ، فقاتلوهم أشدَّ القتال ، وقُتِلَ عباد بن بشر ﷺ ، فرأيتُ بوجهه ضرباً كثيراً ماعرفته إلا بعلامةٍ كانت في جسده

تكلُّم الملائكة على لسان عمر ﷺ :

أخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من أبغضَ عمر فقد أبغضني ، ومن أحبَّ عمر فقد أحبّني ، وإنّ الله باهى بالناس عشيَّة عرفةَ عامّة ، وباهى[1] بعمرَ خاصّة ، وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته مُحدَّث[2] ، وإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فهو عمر . قالوا : يارسول الله ! كيف محدَّث ؟ قال : تتكلّمُ الملائكة على لسانه .

خطبة لعمر ﷺ :

قال أبو سعيد الخدري ﷺ : خطبنا عمر بن الخطاب ﷺ فقال : إني لَعَلّي أنهاكم عن أشياءَ تَصلُح ، وآمركم بأشياءَ لا تصلح لكم ، وإن من آخر الآيات نزولاً آيةُ الرِّبا ، وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينها لنا ، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم .

---

(١) باهى : فاخر
(٢) محدَّث : ملهم

ركوبه إلى الشام :

قال أبو سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ : لايمنعنَّ أحدَكم مخافةُ الناسِ أن يتكلّم بالحقّ إذا رآه أو علمهُ قال أبو سعيد ﷺ : فحملني ذلك على أن أركبَ إلى معاوية ، فملأتُ أذنيه ، ثم رجعت .

مجالس الذكر :

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال : خرج معاويةُ ﷺ على حلقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكرُ الله ، قال : إنّ رسول الله ﷺ خرجَ على حلقةٍ من أصحابه ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكرُ الله ونحمدُهُ على ما هدانا للإسلام ، ومنَّ به علينا فقال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إني لم أستحلفكم تهمةً لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أنّ الله يباهي بكم الملائكة.

وقعةُ الحرَّة :

خرج أبو سعيد الخدريّ ﷺ يوم الحرَّة فدخل غاراً ، فدخل عليه رجلٌ من جند الشام ، فقال له : اخرج . فقال : لا أخرج ، وإن تدخل عليَّ أقتلك . فدخل عليه ، فوضع أبو سعيد السيفَ ، وقال : بُؤ بإثمكَ[1] . قال : أنتَ أبو سعيد الخدري ؟ قال : نعم . قال : فاستغفر لي .

---

(١) بؤ : ارجع . أي ألقى أبو سعيد السلاح لئلا يقاتل مسلماً ، وقال له إن شئت أن تقتلني فسوف تأثم ﴿ لئن بسطتَ إلي يدكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله ربَّ العالمين ﴾ [المائدة / ٢٨ /]

إنكار أبي سعيد ﷺ مخالفة السنة الشريفة :

قال سعيد بن منصور : حدثّنا خلف بن خليفة عن العلاء بن المسيَّب عن أبيه عن أبي سعيد قلنا له : هنيئاً لك برؤية رسول الله ﷺ وصحبته ، قال : إنك لا تدري ما أحدثنا بعده ؟

الجمع بين الغزو والعلم :

قال أبو سعيد الخدريّ ﷺ : كنا نغزو وندعُ الرجلَ والرجلين لحديث رسول الله ﷺ ، فنجيء من غزاتنا ، فيحدَّثوننا بما حدَّث به رسول الله ﷺ فنحدّث به ، نقول : قال رسول الله ﷺ .

ترحيبُه بطُلاب العلم :

أخرج الترمذيّ عن أبي هارون قال : كنا نأتي أبا سعيد ﷺ ، فيقول : مرحباً بوصيةِ رسول الله ﷺ إن النبي ﷺ قال : إن الناس لكم تبعٌ ، وإنّ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقّهون في الدين ، وإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً .

وكان أبو سعيد ﷺ إذا أتاه الناشئةُ ليتعلموا قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسعَ لهم في المجلس ، ونفقّههم في الحديث . وكان يقول لهم : أنتمُ خلوفنا (أي الذين تكونون خلفنا) والمحدّثون بعدنا . وكان يقولُ للطالب الذي يأخذُ عنه : إذا أنتَ لم تفهم الشيء فاستفهمنيهِ .

اشتغاله بالتفسير :

كان أبو سعيد الخدري ﷺ من أفاضل الصحابة وعلمائهم ونجبائهم ، ولم يكن فقيهاً فحسب ، وإنما كان ذا إتقان للتفسير ، واطلاع على معاني الآيات ،

قال أبو سعيد الخدري ﷺ : قال رسولُ الله ﷺ : يقولُ الله تعالى يومَ القيامة: يا آدمُ ! فيقـول : لبيـكَ ربنـا وسـعديكَ ، فيُنـادى بصـوت : إنّ الله يـأمرك أن تُخرج من ذريّتك بعثاً إلى النار . قال : ياربّ ، ومابعثُ النار ؟ قال : مـن كـلّ ألفٍ تسعُمئةٍ وتسعةٌ وتسعون ، فحينئذ تضعُ الحـاملُ حملهـا ، ويشـيبُ الوليـدُ . ﴿ وترى الناسَ سـكارى ومـاهم بسـكارى ، ولكـن عـذاب الله شـديد ﴾[1] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد ﷺ أنّ رسول الله ﷺ خطـب فـأتى علـى هذه الآية : ﴿ إنه من يأتِ ربّه مُجرماً فإنّ له جهنمَ لا يموتُ فيها ولا يحيا ﴾[2]. قال النبيُّ ﷺ : أما أهلُها الذين هم أهلُها فلا يموتون فيها ولا يحيَون . وأمّا الذين ليسوا من أهلها فإن النار تمسُّهم ، ثم يقومُ الشفعاءُ فيشفعون ، فتجعلُ الضَّبائر[3] فيؤتى بهم نهراً يقال له الحياة أو الحيوان ، فينبتون كما ينبـت العشـب في حميـل السَّيل[4] .

الرواية :

يمكن القولُ إنّ أوسع جانب اشتغلَ فيـه أبـو سـعيدٍ في حياتـه إنمـا هـو روايـة الأحاديث النبوية ، فقد رُويَ عنه / ١١٧٠ / حديثاً ، كانت له خـير ذخـر ، إذ علّمها الناس وأمضى حياته يعلّمها ، ويعلّمُ الناسَ معها أحكامَها . قال زيـاد بـن

---

(١) سورة الحج / ٢ /

(٢) طه / ٧٤ / .

(٣) الضّبارة : الجماعة .

(٤) حميل السيل : ما يحمله السيل من طين أو غثاء .

ميناء : كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة .. مع أشباهٍ لهم من أصحاب رسول الله ﷺ . يُفتون بالمدينة ويحدّثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفّي عثمانُ إلى أن توفوا . والذين صارت إليهم الفتوى منهم ابن عباس وابنُ عمر وأبو سعيد الخدريّ وأبو هريرة وجابر بن عبد الله .

لا إله إلا الله :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبيّ ﷺ قال : قال موسى عليه السلام : ياربّ عَلّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، قال : قل : لا إله إلا الله . قال : ياربّ كلُّ عبادك يقول هذا . قال : قل : لا إله إلا الله . قال : إنما أريدُ شيئاً تخصني به . قال : ياموسى لو أنّ السموات السبعَ والأرضين السبعَ في كفّة ، ولا إله إلا الله في كفّة مالت بهم لا إله إلا الله .

خطبة جامعة لرسول الله ﷺ رواها أبو سعيد الخدري ﷺ :

أما بعدُ فإنّ الدنيا حُلوةٌ خضرةٌ ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء

ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، فمنهم من يولدُ مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولدُ كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً . ومنهم من يولدُ مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من يولدُ كافراً ويحيى كافراً ويموت مؤمناً .

ألا إنَّ خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا ، وشرَّ الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا .

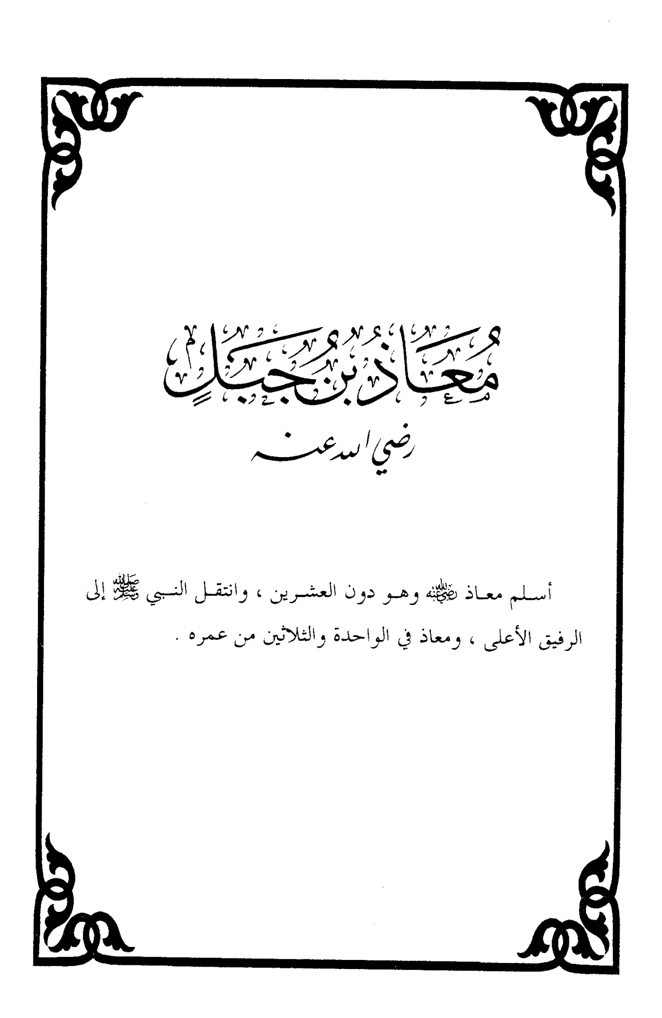
ألا لا يمنعنَّ رجلاً مهابةُ الناس أن يتكلّم بالحقّ إذا علمه . ألا إنّ أفضل الجهاد كلمةُ حق عند سلطان جائر .

دعاء لصرف الهم وقضاء الدين :

أخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجلٍ من الأنصار يُقال له أبو أمامةَ ﷺ ، فقال له: يا أبا أمامةَ ، مالي أراكَ جالساً في المسجد في غير وقتِ الصَّلاة ؟ قال : همومٌ لزمتني ، وديونٌ يارسول الله . فقال : ألا أعلّمُك كلاماً إذا قلته أذهبَ الله عزَّ وجلَّ همَّك ، وقضى عنك دينَك ؟ فقال بلى : يارسول الله . قال : قل أصبحتَ وإذا أمسيتَ : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بكَ من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجُبنِ والبخل ، وأعوذ بكَ من غلبةِ الدَّين وقهر الرجال .

وفاته :

مازال أبو سعيد الخدري ﷺ يجاهد في سبيل الله ، ويعلم الناس القرآن الكريم وعلومه ، ويروي لهم الحديث الشريف ، ويُفتيهم ويفقههم حتى أدركته المنية سنة / ٧٤ / هـ ، وهو في الرابعة والثمانين من عمره ، ﷺ .



مُعَاذ بن جَبَل

رضي الله عنه

أسلم معاذ ﷺ وهو دون العشرين ، وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ومعاذ في الواحدة والثلاثين من عمره .

اسمه وكنيته :

هو معاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاريُّ الخزرجيُّ ، أبو عبد الرحمن ، وكان ابنه عبد الرحمن قد حَضَرَ معه معركة اليرموك ، ومات قبله في طاعون عمواس ، وكان معاذ يحبه حباً جماً ، فلما أصابه المرض قال له : كيف أنت ياعبد الرحمن ؟ قال : يا أبت ! الحقُّ من ربِّك فلا تكُونَنَّ من الممترين . فقال معاذٌ : وأنا ستجدني إن شاء الله من الصَّابرين . ومات فدفنه . وماتت له في هذا الطاعون أيضاً ابنتان له ، وزوجتاه . وكان معاذ ﷺ قد ولدَ في المدينة المنورة ، سنةَ / ٢٠ / قبل الهجرة النبوية ، وأسلمَ على يدِ مصعب بن عمير ﷺ وشهد بيعة العقبة الثانية ، ولما هاجرَ المسلمون إلى المدينة المنورة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب ﷺ .

إسلام عمرو بن الجموح :

لما قدم الأنصارُ المدينة بعدما شهدوا بيعة العقبة الثانية ، جعل الإسلام يتفشَّى فيها ، وبقي قومٌ على وثنيتهم ، ومنهم عمرو بن الجموح أحد سادات بني سلمة وكان ابنه معاذٌ ، ومعاذ بن جبل ممّن شهدوا بيعة العقبة الثانية ، في فتيان من بني سلمة ، وكان عمرو بن الجموح قد اتخذ في داره صنماً من الخشب يقال له مناة ، فجعل هؤلاء الفتيان يُدلجون بالليل على صنم عمرو فيحملونه ويطرحونه في بعض حُفرِ بني سلمة ، وفيها عِذَرُ الناس ، منكساً على رأسه . فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا في هذه الليلة ؟ ثم يغدو فيلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطيبه ، ثم قال : وايمُ الله ! لو أني أعلم من صنع بكَ هذا لأخزيتهُ . فإذا أمسى عمرو ونام عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك .

وعلّق عليه في إحدى المرّات سيفاً ، وقال له : إني والله مـا أعلـم مـن يفعـل بك ماترى ، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السـيف معـك ، فلمّـا أمسـى ونـامَ عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه (ربطوه) معـه بحبل ، ثم ألقوه في بئر . وكانت زوجةُ عمرو قد أسلمت كما أسلم ابنه معـاذ ، فعرضتَ عليه أن يستمعَ من ابنه بعض من أنزلَ على محمد ﷺ ، ففعل ، فأسـلم عمرو ، وقال لمناة :

تـالله لـو كنـتَ إلهـاً لم تكـنْ ... أنت وكلـبٌ وسـط بئرٍ في قَـرَنْ[1]

منزلة معاذ لدى النبي ﷺ :

كان معاذ رضي الله عنه من أحبّ الصحَّابة رضـوان الله عليهـم إلى النـبي ﷺ ، وقـد أخذ بيده مرَّةً ، ثم قال : يامعاذ والله إنّي لأحبّك . فقال له معـاذ : بـأبي أنـت وأمي يارسول الله ، وأنا والله أحبك ، قال : « أوصيكَ يامعاذ لا تدعنَّ في دُبُر كل صلاة أن تقول : اللهمّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . ومن حُبِّ النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه أنه كان يتفقّده ، أخرج الطـبراني عـن معـاذ بـن جبـل رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ افتقده يـوم الجمعـة ، فلمّـا صلـى رسـول الله ﷺ أتـى معـاذاً فقال : يامعاذ مالي لم أرك ؟ فقال : يارسول الله ، ليهوديٍّ عندي أوقية من تـبر فخرجتُ إليك فحبسني عنـك ، فقـال لـه رسـول الله ﷺ : يامعـاذ ألا أعلّمـك دعاء تدعو به ؟ لو كان عليك من الدَّين مثل صير[2] أدّاه عنك ، قل : ﴿ اللهـمَّ

---

(١) قرَن : حبل .

(٢) صير : اسم جبل باليمن

مالكَ الملك تؤتي الملكَ من تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممَّن تشاءُ ، وتعزُّ من تشاءُ وتُذلُّ من تشاءُ ، بيدكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير . تولج الليلَ في النهارَ ، وتولجُ النهارَ في الليل ، وتخرجُ الحيّ من الميّت وتخرجُ الميت من الحيّ ، وترزق من تشاء بغير حساب ﴾[1] رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمها ، تعطي منهما من تشاء وتمنعُ من تشاءُ ، ارحمني رحمةً تغنيني بها عن رحمة مَنْ سواك .

ومازال النبيُّ يعلّم معاذاً هذه الأدعيةَ وغير هذه الأدعية حتى تخرَّجَ على يديه مُفتياً واسع العلم ، يَنطقُ بالحقّ والحكمة وفَصلِ الخطاب ، وبات رسول الله ﷺ يثق بكفاءة معاذ العلمية والإدارية فلما خرجَ عليه الصلاة والسلام إلى حنين استخلف معاذاً ﷺ على أهل مكّة ، وأمره أن يعلّمهم القرآن وأن يفقّههم في الدّين ، ثم صَدَرَ رسول الله ﷺ عامداً إلى المدينة ، وخلّف معاذ بن جبل على أهل مكة . ومن حبّ النبي ﷺ لمعاذٍ ﷺ أنه كتب ﷺ لأهل اليمن لّما أرسلَ إليهم معاذاً ﷺ : « إني بعثتُ لكم خيرَ أهلي » وقال رسول الله ﷺ : « يأتي معاذ يومَ القيامة أمام العلماء » وقال أيضاً : « يأتي معاذٌ يومَ القيامة أمامَ الناس برَتوَةٍ[2] » وشهد عليه السَّلام أنّ أعلمَ أصحابه بالحلال والحرام هو معاذُ بنُ جبل ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران الآية / ٢٦ ـ ٢٧ / .

(٢) رتوة : خطوة .

تعين معاذ على اليمن :

بعثَ النبيُّ ﷺ معاذاً ﷺ بعد تبوك إلى اليمن أميراً ، وقاضياً « على الجنـد » ومرشداً يعلّم الناس القرآن ، وشرائع الإسـلام ، وقـال النبيُّ ﷺ لمعـاذ ﷺ : بم تقضي ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قـال : فبسـنة رسـول الله ﷺ قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو[1] فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي وفق رسولَ الله لما يحبّ الله ورسوله .

وقال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ لمّا ودّعه : حفِظكَ الله من بين يديكَ ومن خلفِك، وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومـن تحتـكَ ، ودرأَ[2] عنـك شـرورَ الإنـس والجنّ .

تعليمه ﷺ معاذاً كيف يدعو إلى الإسلام :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسولُ الله ﷺ لمعاذ بـن جبـل ﷺ حين بعث إلى اليمن : إنّك ستأتي قوماً أهل كتابٍ ، فـإذا جئتهـم فـادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـولُ الله ، فإن هـم أطـاعوا لـكَ بذلك فأخبرهم أن الله فرضَ عليهم خمـس صلـوات كـلَّ يـومٍ وليلـة ، فإن هـم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله فرضَ عليهم صدقةً تؤخذُ مـن أغنيـائهم فـتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لكَ بذلك فإيـاكَ وكرائـمَ أموالهـم ، واتّـقِ دعـوةَ

---

(١) آلو : أقصر

(٢) درأ : أبعد .

المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب . وكان النبي ﷺ قد بعثَ مع معاذٍ أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما ، وقال لهما : تساندا وتطاوعا وبشرا ولا تنفّرا . فلما وصلا إلى اليمن خطب معاذ الناس فحثّهم على الإسلام والتفقّه والقرآن ، وقال فيما قال : أخبرُكم بأهل الجنّة وأهل النار : إذا ذُكِرَ الرجلُ بخير فهو من أهل الجنة ، وإذا ذُكِرَ بشرّ فهو من أهل النار . ولم يعد معاذٌ من اليمن إلا بعد انتقال النبي ﷺ إلى جوار ربّه ، وكان قد شهد معه بدراً وأحُداً والخندق والمشاهد كلّها .

بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى :

عاد معاذٌ رضي الله عنه من اليمن ، وما كان أشدَّ جزعَه إذ رأى المدينةَ المنورةَ خِلواً من خاتم النبيين ﷺ ولم يَطُل به المقامُ طويلاً حتى التحق بفتوحات الشام ، فاشترك في معركة اليرموك ، وحارب إلى جانبه ولده عبد الرحمن . ويتولّى الخلافةَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان شديد الحبّ لمعاذ رضي الله عنه ، قويَّ الثقة بعلمه ودينه ، وكان يقول : لولا معاذ لهلك عمر ، وقال أيضاً : عجزت النساء أن يلدنَ مثل معاذ . وكان عمر رضي الله عنه يتمنّى أن يكون لديه رجالٌ كثيرون من أمثال معاذ رضي الله عنه ليستعملهم في سبيل الله وطاعة الله فلما شَغَرت الشام من واليها استعمله عمر عليها .

صفاته :

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول : حدّثونا عن العاقلين العالمين قالوا : من هما ؟ قال : هما معاذ بن جبل وأبو الدرداء رضي الله عنهما . وقال مسروق :

كنّا عند ابن مسعود ، فقرأ : إنّ معاذاً كان أمّةً[1] قانتاً[2] لله . فقال فروة بن نوفل : هل نسيت ؟ فقال : ما نسيتُ ، إنما كنا نشبّهه بإبراهيم عليه السّلام . ونعته أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء بأنه إمام الفقهاء والعلماء . وكان هذا الصحابيُّ المعلّم ﷺ قد علّم أهل الحجاز ، مكة والمدينة ، وأهل اليمن وحمص ودمشق وفلسطين . وكان معاذ ﷺ أحد الستّة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ ، وقد روى عن رسول الله ﷺ /١٥٧/ حديثاً . وكان معاذ ﷺ شاباً جميلاً ، سمحاً لا يسألُ الله شيئاً إلا أعطاه ، ولا يسألهُ أحدٌ شيئاً إلا أعطاه ، وكان وضيء الوجهِ براّقَ الثنايا ، أكحلَ العينين ، طويل القامة ، حسنَ الشَّعر ، من خير شباب قومه ، وكان من أجمل الرجال ، وأحسنهم طَلْعةً ، وأكثرهم وسامةً ، وأوسعهم حلماً وحياء وسخاء ، وكان حادّ الذكاء ، عالي الهمة ، قويَّ العارضة ، سريع البديهة ، رائع البيان .

كياسته :

لما قدمَ عمرُ بنُ الخطاب ﷺ الشام قام إليه رجلٌ يهوديٌّ من أهل الكتاب ، وهو مشجوج مضروب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ رجلاً من المؤمنين صنع بي ما ترى . فغضب عمرُ ﷺ ، وقال لصهيب ﷺ : انطلق وانظر من صاحبه فأتني به . فانطلقَ صهيبٌ فعلم أنّ الذي شجّه وضربه إنما هو عوف بن مالك

---

(١) الأمة : الذي يعلم الناس الخير .
(٢) القانت : المطيع لله

الأشجعي رضي الله عنه . فقال له صهيبٌ رضي الله عنه : إنَّ أميرَ المؤمنين قد غضبَ عليك غضباً شديداً فأتِ معاذ بن جبل رضي الله عنه فليُكلّمه ، فإني أخافُ أن يعجلَ إليك ، فأتى معاذاً ، وقصَّ عليه خبره . فقام معاذ إلى أمير المؤمنين ، وسأله أن يسمع من عوف تفاصيل الخبرَ ، ليعلم سببَ إيقاعه بالكتابي (اليهودي) . وهناك مَثَلَ عوف بن مالك رضي الله عنه بين يدي أمير المؤمنين ، وجعل يقصّ عليه سبب هذه المشكلة . قال عوف رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ، رأيتُ هذا اليهوديّ يسوق امرأة مسلمة على حمار ، فنخس الحمارَ ليرميها ، فوقعت ، فأكبّ عليها ، وغشيها . فقال عمر رضي الله عنه ائتني بالمرأة . فأتى أبوها وزوجها فأخبراه بمثل قول عوف . عندئذ أمرَ الفاروقُ رضي الله عنه باليهوديّ فصُلب .

تهجد ودعاء :

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا تهجَّد من الليل قال : اللهم نامت العيون ، وغارت النُّجوم ، وأنتَ حيٌّ قيومٌ ، اللهمّ طلبي للجَنّة بطيءٌ ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هدىً تردُّه[1] إليَّ يومَ القيامةِ ، إنَّك لا تُخلفُ الميعاد .

أصبحت مؤمناً :

دخل معاذ بن جبل رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال: كيف أصبحتَ يا معاذ؟ قال : أصبحتُ مؤمناً بالله تعالى . قال : إنَّ لكلّ قولٍ مصداقاً ولكلّ حقّ حقيقة

---

(١) أي اجعل لي من صالح عملي أمانة عندك تعيدها إلي يوم القيامة لأنجو من عذاب الآخرة .

فما مصداقُ ما تقول ؟ قال : يا نبيّ الله ما أصبحتُ صباحاً قطّ إلا ظننتُ أني لا أمسي ، وما أمسيتُ مساءً قطّ إلا ظننتُ أني لا أصبح ، ولا خطوتُ خطوةً إلا ظننتُ أني لا أُتبعُها أخرى ، وكأني أنظرُ إلى كلّ أمّة جاثية تُدعى إلى كتابها ، معها نبيُّها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة . فقال رسول الله ﷺ : عرفتَ فالزمْ .

مجالس الذكر :

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : ما عملَ آدميّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا : يا أبا عبد الرَّحمن ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهادِ ، إلا أن يضربَ بسيفه حتى ينقطع ، لأن الله تعالى يقول في كتابه ﴿ ولذكرُ الله أكبرُ ﴾[1] .

وقال الأسود بنُ الهلال : كنا نمشي مع معاذ رضي الله عنه ، فقال لنا : اجلسوا بنا نؤمن ساعة .

عزلته :

مرَّ عبد الله بنُ عمر بمعاذ بن جبل رضي الله عنهم ، وكان معاذ واقفاً عند باب منزله يشير بيده كأنه يحدّث نفسه . فقال له عبد الله : ما شأنك يا أبا عبد الرحمن تُحدِّثُ نفسك ؟ قال : يريد عدُوُّ الله (ابليس) أن يلفتني عما سمعتُه من رسول الله ﷺ . فقد قال لي الشيطان : تكابدُ دهرَكَ في بيتك ؟ ألا تخرجُ إلى

---

(١) العنكبوت ٤٥

المجلس ؟ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خرج في سبيل الله كان ضامناً على الله ، ومن عاد مريضاً كان ضامناً على الله عز وجلّ ، ومن غدا إلى المسجد أو راح كان ضامناً على الله عزّ وجلّ ، ومَنْ دخل على إمام يعزّره[1] كان ضامناً على الله عزّ وجلّ ، ومَن جلس في بيته لم يَغتب أحداً بسوء كان ضامناً على الله عز وجل » فيريد عدّو الله أن يخرجني من بيتي إلى المجلس .

صمته :

قال أبو إدريس الخولاني : دخلتُ مسجد دمشق فإذا أنا برجل برّاق الثنايا طويل الصَّمت ، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه . فسألت عنه فقيل : معاذ بن جبل رضي الله عنه .

ثلاثٌ مُنجيات :

مرّ عمرُ بن الخطاب بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما ، فقال : ما قِوامُ هذه الأمّة ؟ فقال معاذ : ثلاث ، وهن المُنجيات ، الإخلاص وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والصَّلاة وهي المِلَّة ، والطَّاعة ، وهي العصمة .

بكاء معاذ بن جبل رضي الله عنه :

مرَّ عمر بن الخطاب بمعاذ رضي الله عنهما وهو يبكي ، فقال له: ما يبكيك؟ فقال : حديث سمعتُه من رسول الله ﷺ : « إنّ أدنى الرياء شِرك ، وأحبُّ

---

[1] يعزّره : ينصره .

العبيد إلى الله تبارك وتعالى الأتقياء الأحفياء الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يُعرفوا ، أولئك أئمةُ الهدى ومصابيح العلم .

صلاة الجماعة :

قال معاذ بن جبل ﷺ : مَن سرَّه أن يأتيَ الله عزَّ وجلّ آمناً فليأت هذه الصّلوات الخمس حيث ينادى بهنّ ، فإنهنّ من سنن الهدى ، ومما سنه لكم نبيكم ﷺ . ولا يقل : إن لي مصلّى في بيتي فأصلّي فيه ، فإنكم إن فعلتم ذلك تركتم سنّة نبيّكم ، ولو تركتم سنّة نبيّكم ﷺ لَضَلَلتُم .

العلم :

قال معاذ بن جبل ﷺ : تعلّموا العلم ، فإنّ تعلُّمَهُ لله تعالى خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحثَ عنه جهادٌ ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالُم الحلال والحرام ، ومَنارُ سبُلِ أهل الجنّة ، والأنيسُ في الوحشة ، والصاحبُ في الغُربة ، والمحدِّثُ في الخلوة ، والدليل على السّراء والضرّاء ، والسلاحُ على الأعداء ، والزَّين عند الأخلاء ، يرفعُ الله تعالى به أقواماً ، ويجعلهم في الخير قادة وأئمّة ، يستغفر لهم كلُّ رَطبٍ ويابس ، حتى الحيتانُ في البحر وهوامُّه وسباعُ البرّ ، وأنعامه ، والتفكّر فيه يُعدَلُ بالصيام ومدارسته بالقيام ، به توصل الأرحامُ ، ويعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يُلهمهُ السعداء ، ويُحرمُ منه الأشقياء . وقد أفاد الجاحظ من هذا النص وهو يتحدّث عن الكتاب . وأفاد منه غيرُ الجاحظ . وقال معاذ ﷺ مشيراً إلى التبعة والمسؤولية القائمتين وراء العلم : تعلموا ماشئتم أن تعلّموا، فلن ينفعكم الله حتى تعملوا بما تعلمون . وأخرج ابن عبد البرّ في كتابه جامع

العلم عن معاذ ﷺ : لاتزولُ قدما عبد يومَ القيامة حتى يُسألَ عن أربع : عن جسده فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه كيف عمل به ؟

من مواعظ معاذ ﷺ :

- إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت : إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنتَ إلى نصيبك من الآخرة أفقرُ ، فآثر نصيبكَ من الآخرة على نصيبكَ من الدُّنيا حتى تنتظمَه لك انتظاماً ، فتزول به معك أينما زلتَ .

- تَعَلَّمنَ أن المعاد إلى الله تعالى ، ثم إلى الجنّة أو النار ، إقامةٌ لاظعنٌ[1] وخلودٌ في أجساد لا تموت .

- يابني ، إذا صلّيتَ صلاةً فصلِّ صلاة مودِّعٍ ، لا تظنّ أنك تعود إليها أبداً ، واعلم يا بني أن المؤمنَ يموتُ بين حسنتين ، حسنةٍ قدَّمها ، وحسنةٍ أخرَّها .

وفاته :

كان معاذ ﷺ في مطلع حياته لا يُليق[2] مالاً ، ولايسأله أحدٌ إلا أعطاه ، وبقي لا يحبّ اكتناز المال إلى آخر حياته ، فلا يأتيه شيء إلا فرقه ، وحق للخزرج أن يعدّوه من مفاخرهم . وتنقل الرواياتُ أحسّ بدنو أجله ، وهو أميرٌ على الشَّام بعد أبي عبيدة ﷺ ، وكان قد أصيب بطاعون عمواس الفظيع ،

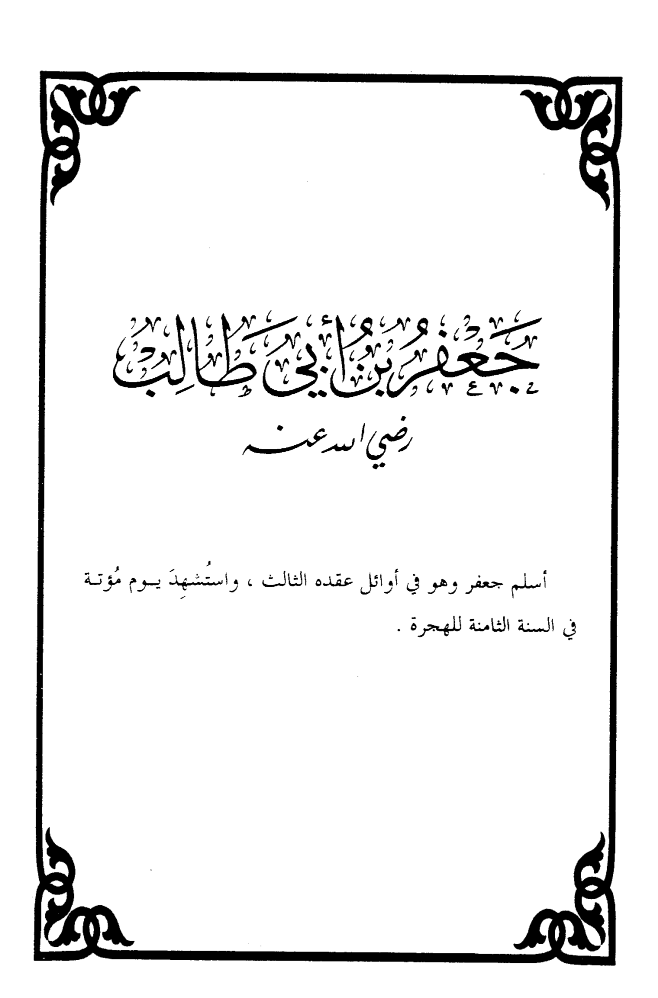
---

(١) لاظعن : لارحيل .

(٢) لايليق : لايستبقي .

فلما حضره الموتُ بكى ، فقيل له : مايبكيك ؟ قال : والله لا أبكي جزعاً من الموت ، ولا على الدنيا أخلّفها بعدي ، ولكّني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنما هما قبضتان ، فقبضة في النار وقبضة في الجنة » ولا أدري في أي القبضتين أكون ؟ وقال وهو يستقبل الموت : مرحباً بالموت مرحباً ، زائرٌ مُغِبٌّ ، حبيبٌ جاء على فاقة . اللهم إني قد كنتُ أخافُكَ فأنا اليومَ أرجوك ، اللهم إنّك تَعلمُ أني لم أكن أُحبُّ الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر[1] ومكابدة السَّاعات ، ومزاحمةِ العلماء بالرُّكب عند حلقِ الذكر . وكانت وفاة معاذ رضي الله عنه بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ .

(١) الهاجرة : شدة الحر نصف النهار .



جعفر بن أبي طالب

رضي الله عنه

أسلم جعفر وهو في أوائل عقده الثالث ، واستُشهِدَ يوم مُؤتة في السنة الثامنة للهجرة .

اسمه وكنيته وأسرته :

هو جعفرُ بن عبد مناف ، وعبدُ مناف هو أبو طالب ، ابن عبد المطّلب ، بن هاشم ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وهو شقيقُ علي رضي الله عنهما ، وأسنُّ منه بعشرِ سنين ، وكان العباسُ ﷺ قد حمل عن أخيه تربية أحد أبنائه ، واختار جعفراً ، فنشأ في بيته . قال ابن العباس : أصابت قريشاً أزمةٌ شديدةٌ حتى أكلوا الرِّمَّة[1] ، ولم يكن من قريش أحدٌ أيسرُ من رسول الله ﷺ ، والعبّاس بن عبد المطلب ، فقالَ رسول الله ﷺ للعبّاس : ياعم إنَّ أخاك أبا طالبٍ قد علمتَ كثرةَ عياله ، وقد أصاب قريشاً ما ترى فاذهب بنا إليه حتى نحملَ عنه بعض عياله ، فانطلقا إليه فقالا : يا أبا طالب إنّ حال قومك ما قد ترى ، وقد جئنا لنحملَ عنك بعض عيالكَ ، فقال أبو طالب : دعا لي عقيلاً وافعلا ما أحببتُما ، فأخذ رسول الله ﷺ علياً ﷺ ، وأخذ العباس جعفراً ﷺ ، فلم يزالا معهما حتى استغنيا . وبقي جعفر ﷺ في بيت عمِّه حتى هاجر إلى الحبشة . وزوجة جعفرٍ رضي الله عنهما هي أسماء بنتُ عُميسٍ الخثعمية ، وكانت قد أسلمت قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بمكة ، وهاجرت إلى أرضِ الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله ومحمداً وعوفاً ، ثم قُتِلَ عنها جعفرٌ شهيداً في وقعة مؤتة (سنة ٨ هـ) فتزوّجها أبو بكر الصديق ﷺ فولدت له

(١) الرمة : قطع الحبل الباليه ، أو العظام البالية .

محمد بن أبي بكر ، وتوفي عنها أبو بكر رضي الله عنه فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له يحيى وعوناً . وقد هاجرت الهجرتين ، وصلت إلى القِبلتين .

أسلم جعفرٌ رضي الله عنه قبل أن يدخلَ رسول الله ﷺ دار الأرقم ، فكان من السابقين إلى الإسلام إذ كان من الستة والعشرين الأوائل من المسلمين وقد آخى النبي ﷺ فيما بعد بينهُ وبين معاذ بن جبل رضي الله عنهما .

من آل البيت :

خطبَ رسول الله ﷺ يوماً فقال : « أما بعدُ ، ألا أيُّها الناسُ ، فإنما أنا بشرٌ يوشكُ أنا يأتي رسول ربّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثَقلين : أوّلهما كتابُ الله، فيه الهدى والنورُ ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ثم قال : « وأهلُ بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي » فسأل حُصَينُ بن سبرةَ زيدَ بن الأرقم رضي الله عنهما : ومن أهل بيته يا زيدُ ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل بيته مَن حُرِم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . كلّ هؤلاء حُرموا الصَّدقة .

صفحتان في حياة جعفر رضي الله عنه :

كان هذا الصحابيُّ الجليل من السابقين الأولين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي في مطلع الدَّعوة ، وذكرت له كتب السيرة والتراجم أعمالاً وسجايا عالية ، ولكنّ المسلمين إذا ذكروه أو ذُكِرَ اسمه أمامهم فإنما يَتصوّر لهم من أعماله وتاريخه شيئان رئيسيان ، أوّلُهما دَورُه في الحبشة عندما هاجر إليها ، والآخرُ استشهادُه يوم مؤتة .

إذنُ النبي ﷺ :

لّما رأى النبيُّ ﷺ ما يُصيبُ أصحابه من البلاء على أيدي الكفّار في مكّة ، وأنّه لا يستطيعُ أن يمنعهم مما هم فيه من التعذيب والشّدة ، قال لهم : لو خرجتُم إلى أرض الحبشة ، فإن فيها ملكاً لا يُظلمُ عنده أحَدٌ ، وهي أرضُ صدق ، حتى يجعلَ الله لكم فرجاً . فخرج عندَ ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة ، مخافةَ الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .

وقال جعفر بنُ أبي طالب ﷺ : يارسول الله ائـذن لي أن آتي أرضاً أعبدُ الله فيها لا أخاف أحداً . فأذِنَ له أن يهاجرَ إلى الحبشة . وقد أحسنَ النجاشيُّ جواره وجوارَ كلّ من هاجرَ من المسلمين إلى الحبشة ، فنزلوا في خير دار ، وعند أحسن جار .

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها :

وتميّز كفّار قريش من الغيظ لّما رأوا أصحاب محمد ﷺ قد أمنوا بأرض الحبشة ، وأصابوا بها داراً وقراراً ، وتآمر الكفّارُ أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشيّ ، ليردّا المسلمين ، فيفتنوهم في دينهم ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته (قادته) ، واحداً واحداً . وقالوا لهما : ادفعا إلى كلّ بطريق هديّته قبل أن تكلّما النجاشي فيهم ، ثمّ قَدّما إلى النجاشي هداياه ، ثم اسألاه أن يُسلِمهم إليكما قبلَ أن يكلّمهم ففعلا ، وقالا لكل بطريق : إنّه قد ضوى (لجأ) إلى بلد الملك منّا غلمانٌ سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وقد بعثنا أشرافُ قومنا إلى الملك ليردّهم إليهم . فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا

يكلّمهم ، فإن قومَهم أبصرُ بهم وأعلمُ بما عابوا عليهم . فقال البطارقةُ لهما : نعم . ووعدوهما بالوقوف معهما .

ثم إنهما قالا للملك : إنّه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاءُ ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين ابتدعوه ، لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم لتردهم إليهم . فقال بطارقته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أبصرُ بهم ، وأعلمُ بما عابوا عليهم ، فأسلمهُم إليهما ، ليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشيّ وأبى أن يُسلِم لهم أحداً ، وقال: كيفَ أُسلِمُ قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي من دون أن أدعوهم وأسألهم عمّا يقولُ هذان من أمرهم . فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني .

النجاشي يحقق في مزاعم مبعوثي قريش :

أرسل النجاشيّ إلى أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا قد وافوا بلده ، فدعاهم ، فلمّا جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ماتقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله كما علمنا وكما أمرنا به نبيُّنا ﷺ ، كائنا في ذلك ماهو كائن . فلمّا جاؤوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم ، فقال : ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

خطبة جعفر بن أبي طالب ﷺ :

قال جعفر يخاطب النجاشي : أيها الملكُ ، كنّا قوماً أهل جاهليّةٍ نعبدُ الأصنام ونأكلُ الميتة ، ونأتي الفواحشَ ، ونقطع الأرحامَ ، ونسيءُ الجوارَ ، ويأكلُ القويُّ منا الضعيف ، فكنّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرفُ نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده . ونخلعَ ما كنّا نعبدُ نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لانشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .. فعدّد عليه أمور الإسلام ، فصدّقْناه وآمنا به ، واتبعناه على ماجاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرَّمْنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاء به الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم . فقال له : اقرأ عليَّ . فقرأ عليه صدراً من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته ، حين سمعوا ماتلا عليهم . ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما .

مكيدة جديدة من عمرو بن العاص :

لما أخفقت مكيدة عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة قال عمرو لصاحبه : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أدرى الرجلين بالمسلمين : لانفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا . قال عمرو : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد .

ثم غدا عليه ، وقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً . فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . فأرسل إليهم ليسألهم عنه . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاء به نبينا ، كائناً في ذلك ماهو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، يقول ، هو عبد الله ، ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[1] . فضرب النجاشي بيده الأرض ، فأخذ منهم عوداً ، ثم قال : والله ماعدا عيسى ابن مريم ماقلت مقدار هذا الود . اذهبوا فأنتم آمنون في أرضي ، من سبكم غرم . ما أحبُّ أن يكون لي جبل من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم . ردوا عليهم هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه . فخرجا من عنده مقبوحين ،

---

(١) البتول : الزاهدة المنقطعة عن الدنيا وعن الرجال .

مخزيين ، مردوداً عليهما ما جاءا به . وأقام المسلمون عنده بخير دار ، مع خير جار .

وبينما كان جعفر ﷺ بمثابة نقيب للمسلمين المهاجرين إلى الحبشة ، بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري ﷺ إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم ، وكتب معه كتاباً :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم[1] ملك الحبشة ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخته ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني ، فإني رسول الله . وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وبلّغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي . والسلام على من اتبع الهدى » فأسلم النجاشي ﷺ ، وأعلن إسلامه في رسالة جوابية بعث بها إلى النبي ﷺ ، وكان النجاشي قد اقتنع بصحة الإسلام منذ حدثه جعفر ﷺ

---

(١) الصُّحمة : سواد إلى صفرة ، أو غُبرة إلى سواد قليل ، وكان اسم النجاشيّ : أصحمة بن أبجر .

خروج الحبشة على النجاشي :

خرج أهل الحبشة على النجاشي ﷺ ، وقالوا له : إنك فارقت ديننا . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفناً وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم كتب وصيةً احتفظ بها لنفسه يشهد فيها شهادة الحق ، وأنه يدين بالإسلام ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم . وجعل الكتاب في قبائه (ثوبه) عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الأحباش ، فقال لهم : يامعشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بالكم ؟ قالوا : فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد . قال : فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابن الله . قال النجاشي ، ووضع يده على قبائه : هو يشهد أن عيسى ابن مريم. ولم يزد على هذا شيئاً . وكان يقصد ما كتب . فرضوا وانصرفوا عنه . وبذلك بقي جعفر وأصحابه في الحبشة . ولما مات النجاشي ﷺ صلى الرسول ﷺ عليه ، واستغفر له .

عودة جعفر من الحبشة :

لم يزل جعفر في الحبشة إلى مابعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ، فقدم جعفر رضي الله عنه في السنة السابعة للهجرة ، ونبي الله ﷺ في خيبر ، فتلقاه ﷺ فرحاً واعتنقه ، وقال : ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً : بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر ؟ واختط له رسول الله ﷺ داراً إلى جنب المسجد .

غزوة مؤتة :

في السنة التي تلت قدوم جعفر ﷺ من الحبشة ، وجه النبي ﷺ إلى منطقة البلقاء جيشاً جعل قيادته لزيد بن حارثة ، وأوصى الجيش أن إذا استشهد زيد خلفه جعفر بن أبي طالب ، فإن استشهد خلفه عبد الله بن رواحة ، فإن استشهد اختار الجيش لقيادته من يشاء .

وسار الجيش ، وكان تعداده ثلاثة آلاف رجل ، فلقي جيش الروم ، وكان مؤلفاً من مائة ألف مقاتل بيزنطي ، ويمدهم مائة ألف مقاتل من العرب الذين كانوا يوالون الروم ، مثل غسان وقضاعة .. وكان مكان الصراع في مؤتة ، فقتل زيد بن حارثة ﷺ ، هنالك تقدم جعفر ﷺ ، فعرقب فرساً له شقراء ، أي عقرها ، وصار يقاتل الكفار ، وهو يحمل راية المسلمين ، ويقول :

يـاحبّذا الجنّـةُ واقترابُهـا طيّبـةٌ وبـاردٌ شـرابُها
والرومُ رومٌ قددنـا عذابُهـا كـافرةٌ بعيـدةٌ أنسـابُها
عليّ إذ لاقيتها ضِرابُها

وضرب وضُرِب ، حتى قطعت يمناه ، فحمل الراية باليسرى ، فقطعت أيضاً فاحتضن الراية إلى صدره حتى وقع شهيداً ، وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية قال عبد الله بن عمر : « كنت معهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر ابن أبي طالب ، فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية » فعوض الله تعالى جعفراً عن يديه جناحين في الجنة . قال رسول الله ﷺ :

« دخلت الجنة فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم »

« إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء » وقال عدي ابن ثابت : أُريَ رسول الله ﷺ في النوم جعفر بن أبي طالب ذا جناحين مضرجاً بالدم . وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدَنَّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحَيْن جعفرُ

وزيدٌ وعبدُ اللهِ حين تتابعوا ... جميعاً ، وأسبابُ المنية تقطرُ

وعزّى النبي ﷺ امرأة جعفر « أسماء بنت عميس » رضي الله عنهما به ، ودخلت فاطمة بنت النبي ﷺ وهي تبكي وتقول : واعماه ؟ فقال رسول الله ﷺ : على مثل جعفر فلتبك البواكي . وقال أيضاً : « اللهم اخلف جعفراً في ولده » وكان استشهاده رضي الله عنه في السنة الثامنة للهجرة .

بعض شمائله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان ينقلب بنا فيطعمنا ماكان في بيته ، حتى إنه كان يخرج إلينا العكة[1] ليس فيها شيء فنشقها ، فنلعق ما فيها . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : كان جعفر رضي الله عنه يحب المساكين ، ويجلس إليهم ، ويخدمهم ويخدمونه .

---

(١) العكة : وعاء السمن

شبهه للنبي ﷺ :

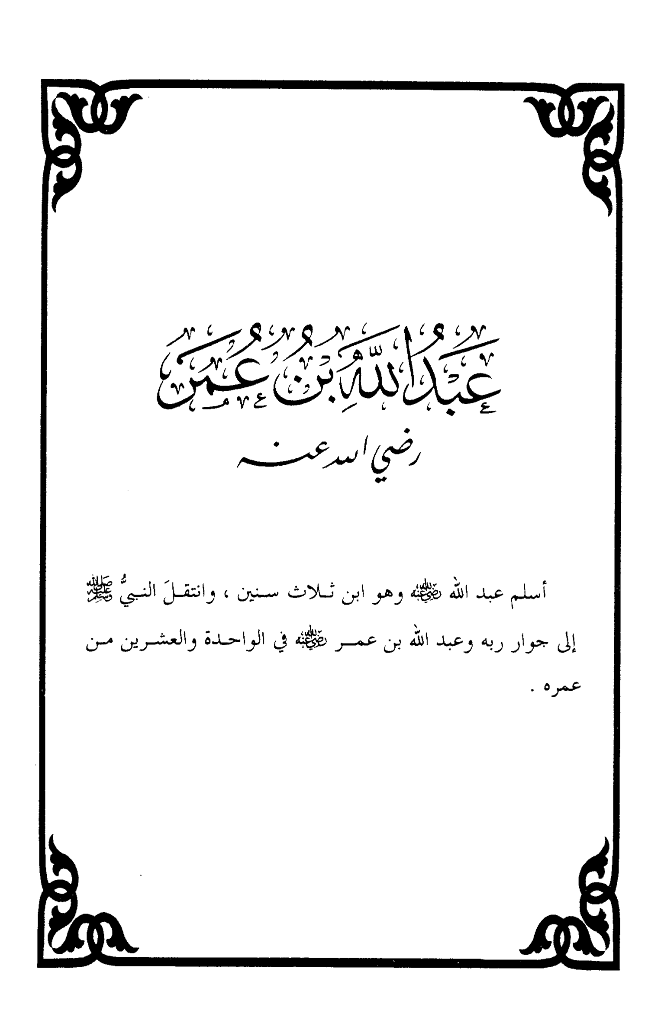
كان جعفر ﷺ من أشبه الناس في خَلقه وخُلقه برسول الله ﷺ ، وكان يفرح بذلك كثيراً ، وقد قال له النبي ﷺ مرة : « خُلُقك كخُلُقي ، وأشبه خَلْقي خَلْقك ، فأنت مني » فسُرَّ جعفر ﷺ كثيراً ، حتى صار يحجل من الفرح والحجل : أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى .

ثقة النبي ﷺ به :

كان النبي ﷺ يثق بجعفر واستقامته ، ومن هنا كان يعامله عندما كان في الحبشة وكأنه نقيب الذين هاجروا إليها من المسلمين ، وأيضاً فقد أرسله — بعد عودته ـ في مهام تدل على استمرار هذه الثقة ، منها أنه وجهه سنة سبع ليخطب له ميمونة بنت الحارث العامرية رضي الله عنها ، وأسند إليه يوم مؤتة قيادة الجيش ، بعد زيد بن حارثة ﷺ .

حب أبي هريرة له وشهادته به رضي الله عنهما :

قال أبو هريرة ﷺ : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا ، ولا وطئ التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب رحمة الله عليه . وكان عمر جعفر ﷺ حينما استشهد إحدى وأربعين سنة .



عبد الله بن عمر

رضي الله عنه

أسلم عبد الله ﷺ وهو ابن ثـلاث سـنين ، وانتقـلَ النبيُّ ﷺ إلى جوار ربه وعبد الله بن عمـر ﷺ في الواحـدة والعشـرين مـن عمره .

اسمه ونشأته :

هو عبد الله بنُ عمر بن الخطاب العدويّ ، أبو عبد الرحمن ، ولد سنة /١٠/ ق هـ ، وكانَ أبوه قد أسلم من قبل ، فنشأ عبد الله على الإسلام ، وأمُّه زينبُ بنتُ مظعون ، من فُضليات النساء .

وكان عبد الله ممَّن لم يؤذَن لهم أن يشتركوا في بدر ولا أُحُدٍ ، لصغر أعمارهم ، وأوّلُ معركة اشترك فيها غزوةُ الخندق ، وتتابعت بعدها المعاركُ والسَّرايا ، وفي كلٍّ كان له دوره .

إكرام النبي ﷺ له :

لزم هذا الغلامُ الناشئ مدينة العلم ، ونهلَ من معينها العذب الصافي ، وكان رسول الله ﷺ يكرم عبد الله ﷺ إذا أتاه ، أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر ﷺ أنه قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ فألقى إليَّ وسادةً حشوها ليف فلم أقعد عليها ، بقيت بيني وبينه .

محبّته للنبي ﷺ :

كان عبد الله ﷺ من الذين أدّبهم رسول الله ﷺ فنفعهم تأديبه ، وكانوا بَرَرةً بمن علّمهم ، وأنشأهم على هديه ، محبين له ، وكان عبد الله ﷺ لا يذكرُ رسول الله ﷺ إلا بكى . وقال عبد الرحمن بن سعد : كنتُ عند ابن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله ،فقلتُ : يا أبا عبد الرحمن ما لرجلك ؟ قال : اجتمع عصبها من هاهنا . قلت : ادعُ أحبَّ الناس إليكَ . قال : يامحمد ـ فبسطها . وقال عاصم بن محمد : ما سمعتُ ابن عمر رضي الله عنهما ذاكراً

رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان . ووقف عبد الله رضي الله عنه عند منبر النبي ﷺ ، فوضع يده عليه ثم وضعها على وجهه .

غرسُ عمر رضي الله عنه :

لاَ غروَ[1] أن يبلغ عبد الله من الفضل مابلغ وقد نشأ على هَـدْي النبي ﷺ ، وبتربيته وتوجيهه ، ونبتَ على مائدة عمر رضي الله عنه الذي كان يهربُ منه الشيطان ، لكثرة أذكاره وشدّة تُقاه . وكان عمر لا يني[2] يُرشد ولده إلى رفيع السجايا والمسلكِ الأصح .

قصة الإبل :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريتُ إبلاً وارتجعتها إلى الحمى ، فلمّا سمنت قدمتُ بها ، فدخل عمرُ السوقَ فرأى إبلاً سماناً فقال : لمن هذه الإبل ؟ فقيل : لعبد الله بن عمر . فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر ، بخ بخ ، ابن أمير المؤمنين . فجئتُ أسعى ، فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟! قال : ماهذه الإبل ؟ قلتُ : إبل اشتريتها وبعثتُ بها إلى الحمى أبتغي مايبتغي المسلمون . فقال : أرعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل أمير المؤمنين . ياعبد الله بن عمر اغدُ على رأس مالك ، واجعل الفضل في بيت مال المسلمين .

---

(١) لاغرو : لاعجب .

(٢) يني : يفتر ويضعف .

انكار عمر على ابنه حين رأى عنده اللحم :

دخل عمر على ابنه رضي الله عنهما وإنَّ عنده لحماً فقال : ما هذا اللحم ؟ قال : اشتهيته . قال : وكلّما اشتهيتَ شيئاً أكلته ؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كلَّ ما اشتهاه .

ذريةٌ بعضها من بعض :

على الطَّريقة التي ربَّى عمرُ ابنه عبد الله عليها عاملَ عبدُ الله بها أولاده ، ويُروى أنَّ أحدَ بنيه استكساه إزاراً وقال : قد تخرَّقَ إزاري . فقال له : اقطع إزارك ثم اكتسه ، فكره الفتى ذلك . فقال له عبد الله بن عمر : ويحكَ اتّقِ الله لاتكوننَّ من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم.

ندمه على الفرار يوم الزَّحف :

قال ابن عمر رضي الله عنهما : كنتُ في سريّة من سرايا رسول الله ﷺ فحاصَ الناس[1] حيصةً وكنتُ فيمن حاصوا ، فقلنا : كيف نصنعُ وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : مَن القوم ؟ قلنا : نحن فرّارون . فقال : لا ، بل أنتم الكرّارون . أنا فئتكم[2] وأنا فئة المسلمين . فقبَّلنا يده ﷺ .

---

(١) حاص الناس : جالوا يطلبون الفرار .
(٢) فئتكم : ملاذكم .

تشييعه للمجاهدين :

قال مجاهد : خرجتُ إلى الغزو ، فشيَّعَنا عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما ، فلما أراد فراقنا قال : إني ليس معي ما أعيطيكماه ، ولكني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إنّ الله إذا استودِعَ شيئاً حفظه ، وأنا أستودِعُ الله دينكما وأمانتكما وخواتيم أعمالكما » .

وتشييعُه للمجاهدين لا يعني أنّه كان لا يشترك هو نفسه في المعارك التي يخوضها المسلمون ضد أعدائهم ، فقد اشترك في كلّ المعارك التي حدثت أيام النبي ﷺ ، وفي كثير من المعارك بعده ، وكان في الجيش الذي فتح أفريقيا ، مرَّة بقيادة ابن أبي سرح ، ومرَّة بقيادة معاوية بن حديج سنة / ٣٤ / هـ ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما مقداماً مغواراً وشجاعاً كرّاراً .

السكوت عن الحق :

قال عروةُ بن الزبير : أتيتُ عبدَ الله بنَ عمر رضي الله عنهم فقلتُ له : يا أبا عبد الرحمن ، إنا نجلسُ إلى أئمَّتنا هؤلاء فيتكلّمون بالكلام نحن نعلم أن الحقّ غيره فنصدّقهم ، ويقضون بالجور فنقوّيهم ونحسّنه لهم ، فكيف ترى في ذلك ؟ فقال : يا ابن أخي ، كنّا مع رسول الله ﷺ نعدّ هذا نفاقاً .

وقال رجلٌ : إنا ندخل على سلطاننا فنقول ما نتكلم بخلافه إذا خرجنا من عندهم . قال ابن عمر : كنّا نعدّ هذا نفاقاً .

أبى أن يقضي :

قال أمير المؤمنين عثمانُ بنُ عفان ﷺ لعبد الله بن عمر رضـي الله عنهما : اذهب فاقضِ بين النّاس . قال : أوَتُعفيني يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا . عزمتُ عليك إلا ذهبتَ فقضيتَ . قال : لاتعجل سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ . قال : نعم . قال : فإني أعوذ بالله أن أكونَ قاضياً . قال : وما يمنعُك وقد كان أبوك يقضي ؟ قال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ كان قاضياً فقضى بجهل كان من أهل النار . ومَنْ كان قاضياً عالماً فقضى بحقٍّ سأل المُنقلبَ[1] كفافاً . فما أرجو بعد هذا ؟

سخاؤه :

كان ابنُ عمر ـ شأنه شأن غيره من أصحاب رسول الله ﷺ ـ واسعَ السَّخاء كثير الجود . ونزل مرَّة بالجحفة[2] وكان مريضاً ، فقال : إني لأشتهي حيتاناً (سمكاً) ، فالتمسوا فلم يجدوا له إلا حوتاً واحداً ، فأخذته امرأته صفيَّةُ بنت أبي عبيد ، فصنعته ثم قرَّبته إليه ، فأتى مسكينٌ حتى وقف عليه ، فقال له ابن عمر : خُذه ، فقال أهله : سبحان الله ، قد عنَّيتنا ومعنا زادٌ نعطيه ، أو نعطيه درهماً ، واقض أنت شهوتك منه . فقال : شهوتي ما أريد (أي إعطاء السمكة للمسكين) .

---

(١) المنقلب : الرجوع إلى الله .

(٢) اسم موضع قرب المدينة المنورة .

الإيمان والعلم والعمل :

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : لقد عشتُ برهة من دهري وإنَّ أحدنا يؤتى الإيمانَ قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يقفَ عنده منها ، كما تعلّمون أنتم القرآن ، ثم لقد رأيتُ رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ، ما يدري ما آمرُه ولا زاجرُه ، وما ينبغي أن يقفَ عنده منه ، وينثره نثرَ الدَّقَل[1] . فابنُ عمر لا يحّبذ علماً ولا تعلُّماً دونما عمل وتطبيق ، وهذا ما حداه أن يتمهَّل في حفظه ، حتى إنه استغرق في تَعلُّمِ سورة البقرة أربع سنين . أي حَفِظها وعلِمَ أحكامها وفَقِهَ معانيها وتفسيرها وعمل بما فيها . ومن هنا نراه يكتب لرجل بَعَثَ إليه يسأله عن العلم : إنَّك كتبتَ إليّ تسألني عن العلم ، فالعلمُ أكبرُ من أن أكتبَ به إليك . ولكن إن استطعتَ أن تلقى الله كافَّ اللسان عن أعراض المسلمين ، خفيفَ الظهر من دمائهم ، خميصَ البطن من أموالهم ، لازماً لجماعتهم ، فافعل .

العالم الحق :

قال ابنُ عمر رضي الله عنهما : لا يكونُ الرجلُ من العلم بمكان حتى لايحسُدَ من فوقَه ، ولا يحقِرَ من دونه ، ولا يبتغي بالعلم ثمناً .

(١) الدقل : رديء التمر .

وسُئِلَ ابن عمر رضي الله عنهما عن مسألة فقال : لا أدري . فقيل لـه : مـا يمنعُك أن تجيب السائل ؟ قال : سئل ابن عمر عمّا لا يـدري فقـال : لا أدري .
وقال عقبة بنُ مسلم : صحبتُ ابن عمر أربعة وثلاثين شـهراً ، فكـان كثيراً مـا يُسألُ فيقول : لا أدري . ثم يلتفتُ إليَّ فيقول : أتدري مايريد هؤلاء ؟ يريـدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم .

وسأله رجلٌ يوماً عن مسألة ، فطأطأ رأسه و لم يجبه . فقال له : يرحمك الله، أما سمعتَ مسألتي ؟ قال : بلى ، ولكنكم كأنكم ترونَ أنّ الله ليسَ بسائلنا عمـا تسألوننا عنه . اتركنا - يرحمك الله - حتى نتفهم مسألتك ، فإن كان لها جـوابٌ عندنا ، وإلا أعلمناك أنّه لا علمَ لنا به .

زهده وتقشُّفه :

قال حمزة بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم : لو أنّ طعاماً كثيراً كان عند عبد الله بن عمر ما شبع منه بعدَ أن يجـدَ لـه آكـلاً . وقيـل لـه لمـا نحـل جسـمه وضعُف : يا أبا عبـد الرحمـن ، رقّت مُضغتُـكَ ، وكـبرَ سـنُّك ، وجلسـاؤُكَ لا يعرفون حقَّكَ ، فلو أمرت أهلكَ أن يجعلوا لك شيئاً يلطفونك إذا رجعتَ إليهـم قال : ويحك ، والله ما شبعتُ منذ إحدى عشرة سنة ، ولا اثنـتي عشـرةَ سـنة ، ولا ثلاث عشرة سنة ، ولا أربع عشـرة سـنة ولا مـرَّة واحـدةً ، فـالآن تريـدُ أن أشبع ؟!

ورعه وأمانته :

كان ابنُ عمر رضي الله عنهما يحرص غاية الحرص على أداء حديث النبي ﷺ كما سمعه ، فإن شكّ في كلمة واحدة من روايته أن يكون قد سمعَ مرادفاً لها أو مُقارباً لها قال : أو نحوِ هذا ، أو شبه هذا .

بكاؤه لحديث سمعه :

التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم على المروة فتحدَّثا ، فسمع ابن عمر من صاحبه حديث : «مَن كانَ في قلبه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من كبرٍ كبَّه الله لوجهه في النار» فبقي ابن عمر رضي الله عنهما يبكي.

ذمُّ المدَّاحين :

مدحَ رجلٌ ابنَ عمر رضي الله عنهما فجعل يحثو التُّراب نحو فيه (فمه) ويقول : قال رسولُ الله ﷺ : إذا رأيتم المدَّاحين فاحثُوا في وجوههم التُّراب .

وقال له رجل : يا خيرَ الناس ، أو : يا ابن خير الناس فقال ابن عمر : ما أنا بخير الناس ، ولا ابنُ خير الناس ، ولكنّي عبدٌ من عبادِ الله أرجو الله تعالى وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .

افشاء السلام :

كان عبد الله ﷺ يغدو إلى السوق فلا يمرُّ على سَقّاط[1] ولا صاحب بيعة ، ولا مسكين ، ولا أحد ، إلا سلَّم عليه .

خشوعه :

كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا صلّى فكأنه ثوبٌ مُلقى وكان يقول : ما صلّيتُ صلاةً منذ أسلمتُ إلا وأنا أرجو أن تكون كفّارة . وقال أبو بردة : صليتُ إلى جنبِ ابن عمر فسمعته حين سجد يقولُ : اللهمَّ اجعلك أحبَّ شيءٍ إليَّ وأخشى شيءٍ عندي .

تهجده :

كان ابن عمر رضي الله عنهما يُحيي اللّيلَ صلاةً ، ثم يقول لمولاه نافع : أسحرنا ؟ فيقول : لا . فيعاود الصَّلاة ، ثم يقولُ : يا نافعُ أسحرنا ؟ فيقول : نعم . فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح .

وكان عبد الله ﷺ إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيا ليلته . وإذا فاتته صلاة في جماعة صلى إلى الصلاة الأخرى .

حفظ اللسان :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أحقُّ ما طَهَّر العبدُ لسانه .

---

(١) السقاط : الذي يبيع سقط المتاع أي رديئه

اجتنابه الفتنة :

تورّع ابنُ عمرَ رضي الله عنهما أن يدخلَ في أيّ فتنةٍ ، و لم ينضــو تحـتَ أيّ فرقة للمسلمين ، مع حبه لهم جميعــاً ، وذكّـره قـومٌ بقولـه تعـالى : ﴿ وقـاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ﴾[1] فقال : قاتلنا على عهد رسول الله ﷺ وكـان الإسـلام قليلاً ، فكان الرجل يُفتن في دينه إما قتلوه وإما عذبوه حتـى كـثر الإسـلام فلـم تكن فتنة . قالوا : فما قولـك في علـي وعثمـان رضـي الله عنهمـا ؟ قـال : أمّـا عثمان فكان الله عفا عنه (فراره يوم أحدٍ فقـال عـزّ مـن قـائل : ﴿ ولقـد عفـا عنكم ﴾[2] وأما أنتم فكرهتم أن يعفو الله عنه ، وأمّا عليّ فابنُ عمّ رسـول الله ﷺ ، وختنه ، وأشار بيده فقـال : هـذا بيتـه حيـثُ تـرون . وكـان بيـت علـيّ وفاطمة رضي الله عنهما إلى جوار بيوت النبي ﷺ .

عُرضت عليه الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فامتنع :

قال الحسن رضي الله عنه : لما كان من أمر الناس ما كان من أمرِ الفتنة أتـوا عبـد الله رضي الله عنه فقالوا : أنت سيد الناس وابن سيدهم والناسُ بك راضون ، اخرج نبايعك. فقال : لا والله لا يُهراقُ فيَّ محجمة[3] من دم ولا في سبي ما كان فيَّ الروح .

---

(١) سورة البقرة ، الآية / ١٩٣ / .

(٢) آل عمران / ١٥٢ / .

(٣) المحجمة : زجاجة تشبه الكأس يستعملها الحجام .

وقيل له : أتصلّي مع هؤلاء وهؤلاء وبعضهم يقتلُ بعضاً ؟ فقال : من قال : حيَّ على الصَّلاة أجبته ، ومن قال : حيَّ على الفلاح أجبته ومن قال : حيّ على قتلِ أخيك المسلم ، وأخذ ماله ، قلتُ : لا .

حبّه للتلاوة :

قيل لنافع : ماكان يصنع ابن عمر رضي الله عنهما في منزله ؟ قال : لايطيقونه ، الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما .

دعاء ابن عمر رضي الله عنهما :

اللهم اعصمني بدينك وطواعيتك وطواعية رسولك ، اللهم جنّبني حدودك ، اللهم اجعلني ممَّنْ يحبك ويحب ملائكتكَ ، ويحبّ رسلك ويحبّ عبادك الصالحين اللهمّ حبّبني إليك وإلى ملائكتك وإلى رسُلك وإلى عبادك الصَّالحين . اللهمّ يسّرني لليُسرى ، وجنّبني العُسرى ، واغفر لي في الآخرة والأولى ، واجعلني من أئمّة المتّقين . اللهم إنك قلتَ : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾[١] وإنك لا تُخلفُ الميعاد . اللهمّ إذ هديتني للإسلام فلا تنزعني منه ولا تنزعه مني حتى تقبضني[٢] وأنا عليه .

وكان يقول إذا أصبح : اللهمّ اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيباً من كلّ خيرٍ تقسمه الغداةَ ، ونورٍ تهدي به ، ورحمةٍ تنشُرُها ورزق تبسطُه ، وضرٍ تكشفه وبلاءٍ ترفعه ، وفتنة تصرفها .

---

(١) سورة غافر : / ٦٠ / .
(٢) تقبضني : تنزع روحي .

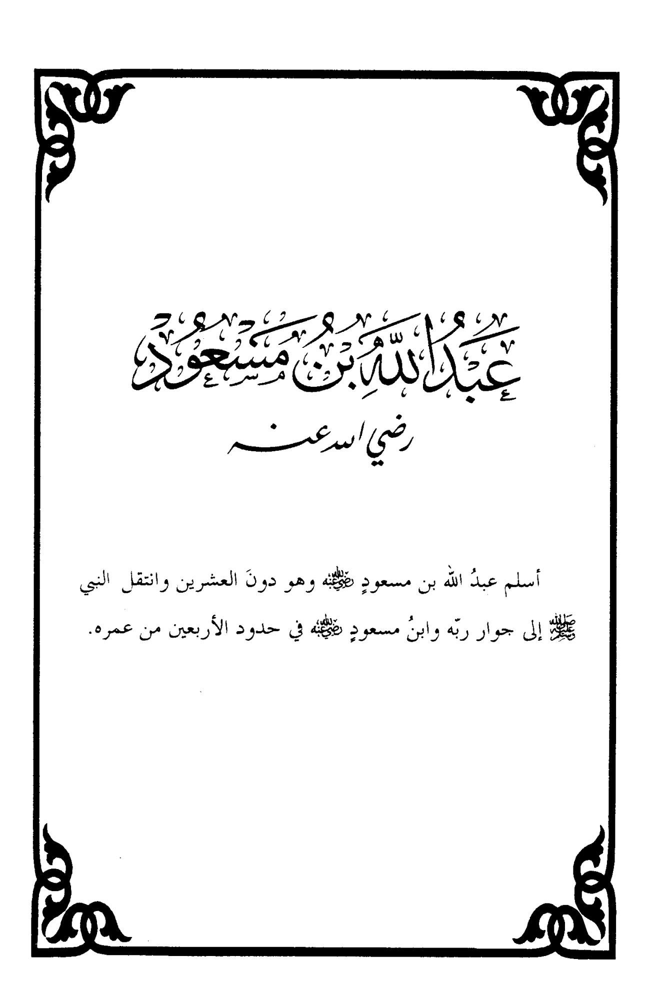
من مواعظه ﷺ ، وكان جهيراً :

لايصيبُ عبدٌ شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عزّ وجلّ ، وإن كان عليه كريماً .

ومرَّ على خربة فقال : مافعل أهلُكِ ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم .

موته :

عُمِّر هذا العالم الجليل ثلاثة وثمانين عاماً ، ومات ﷺ سنة / ٧٣ / هـ ، وكان له اثنا عشر ابناً وأربع بنات ، وله في الصحيحين / ٢٦٣٠ / حديثاً .



عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ

رضي الله عنه

أسلم عبدُ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه وهو دونَ العشرين وانتقل النبي ﷺ إلى جوار ربّه وابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في حدود الأربعين من عمره.

تعريفٌ عامٌ به :

هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بنُ مسعود الهُذَلِيّ ، ولد قبل البعثة النبويَّة بعقدين ، على وجه التقريب ، وكان أبوه مسعودٌ حليفَ بني زهرة في الجاهلية ، وأمُّه أمُّ عبد الله بنت عبد ودّ ، أسلمت ، وكانت صحابيَّةً راشدة . وكان مولدُ عبد الله بن مسعود ﷺ في مكة ، وهو أوّلُ من جهرَ فيها بالقرآن ، ويُعدُّ من السَّابقين إلى الإسلام ، ومن أكابر الصَّحابة فضلاً وعقلاً وقُرباً من رسول الله ﷺ ، ومن أكثرهم علماً واستقامة ، وقد هاجر الهجرتين ، وصلّى إلى القبلتين وكان خادمَ رسول الله ﷺ وصاحبَ سرِّه ، ورفيقه في حلّه وترحاله وغزواته . شهد بدراً والمعارك كلَّها ، وآخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير ﷺ ، وبعد الهجرة آخى بينه وبين سعد بن معاذ ﷺ .

قصة إسلامه :

كان سبب إسلام هذا الصحابي الجليل - كما يروي هو - أنه كان يرعى غنماً لعُقبةَ بن أبي معيط ، فمرَّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ﷺ فقال له النبي ﷺ: يا غلامُ هل من لبن ؟ فقلتُ : نعم ، ولكنّي مُؤتمنٌ . فقال : هل من شاةٍ حائل لم يَنزُ عليها الفحل[1] ؟ فأتيته بشاة (لا لبن فيها) فمسح ضرعَها فنزل لبن ، فحلبه في إناء وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضَّرع : اقلص فقلص . ثم أتيته بعد هذا ، فقلتُ : يا رسول الله علّمني مِن هذا القول . فمسح رأسي وقال :

(١) لم ينز : لم يثب .

يرحمكَ الله ، فإنكَ غلامٌ مُعَلَّم . ثمّ قرَّبه رسول الله ﷺ إليـه ، فكـان عبـدُ الله يلجُ عليه ، ويُلبسه نعليه ويمشي أمامه ومعه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام .

بعض صفاته :

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قصيرَ القامة ، يكاد الجالسون يوارونه (يخفونه) وكان يُكثرُ من التطيُّب ، حتى إذا سار عرَفه الناس وهم في دورهـم لريح طيبه وكان نحيفَ الجسم ، وكان من أعلم صحابة النبي ﷺ ، وقد بشّره عليه الصـلاة والسَّلام بالجنة ، وله في الصحيحين / ٨٤٨ / حديثـاً . وقـال عـن نفسـه : إنـي لأعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم ، وما في كتاب الله سورةٌ ولا آيـة إلا أنـا أعلم فيمَ أُنزلت ومتى نزلت .

خدمته لرسول الله ﷺ :

تشرَّفَ هذا الصحابيُّ الجليل بخدمةِ رسول الله ﷺ ، وأخذَ عنه علومَ الديـن، وقال القاسمُ بن عبد الرحمن : كان عبد الله بـن مسـعود رضـي الله عنـه يُلبِسُ رسول الله ﷺ نعليه ، ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتى إذا ما أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه ، وأعطاه العصا ، فإذا أراد رسـولُ الله ﷺ أن يقـومَ ألبسـه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحُجرة قبلَ رسول الله ﷺ . وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يستر رسول الله ﷺ إذا اغتسـل ، ويوقظـه إذا نـام ويمشـي معه في الأرض وحشاً أي وحدَه ، وليس معه غيره .

امتثاله لأمر النبي ﷺ وقول النبي ﷺ فيه :

كان رسول الله ﷺ يخطب ذات مرَّةٍ فقال للنّاس : اجلسوا . فسمعه عبد الله بنُ مسعود ﷺ وهو على الباب فجلس فقال : يا عبد الله ادخل . وقال رسول الله ﷺ : رجلُ عبد الله أثقلُ في الميزان من أحد . وقال أيضاً : من سره أن يقرأ القرآن غضًّا كما نزل فليقرأه على ابن أم عبد . يريد عبد الله بن مسعود ﷺ .

قتله لأبي جهل يومَ بدر :

لم يغب عبد الله بن مسعود ﷺ عن معركةٍ خاضها رسول الله ﷺ ، ولكنّ الله عزَّ وجلّ قد أيّده في معركة بدر ، فمكّنه من أبي جهل . قال أبو عبيدة ابنُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : قال أبي : أتيتُ النبي ﷺ يومَ بدر فقلت : يا رسول الله ، إني قد قتلتُ أبا جهل . فاستخفّه الفرحُ . ثم قال : انطلق فأرنيهِ . فانطلقتُ معه حتى قمتُ به على رأسه فقال : الحمد لله الذي أخزاك . هذا فرعونُ هذه الأمة . جرّوه إلى القليب[1] قال عبد الله بن مسعود ﷺ : وقد كنتُ ضربته بسيفي فلم يعمل فيه ، فأخذتُ سيفه فضربته به حتى قتلته ، فنفلّني رسول الله ﷺ سيفه .

---

(١) القليب : بئر ركم المسلمون فيها قتلى المشركين يوم بدر

بعد وفاة النبي ﷺ :

من أهم الأعمال التي قام بها عبد الله بن مسعود ﷺ بعد انتقال النبي الكريم ﷺ إلى جوار ربّه أنه كان يعلّم المسلمين ما فقهه عن رسول الله ﷺ ، وقد كلّفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن يعلّم أهل الكوفة ، وأمَّر عليها عمار ابن ياسر ﷺ ، وكتبَ إلى أهل الكوفة : أمّا بعد فإني بعثت إليكم عماراً أميراً وعبد الله معلّماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ . فاسمعوا لهما واقتدوا بهما ، وإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي . وأُسندَ إلى ابن مسعود ﷺ أيضاً بيت مال الكوفة . وكان ابن مسعود ﷺ يقوم بكل ما يأمره به عمر ﷺ ، وكان يُجلُّه ، ويقول فيه : كان إسلامه (إسلام عمر) فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة . وكان عمر ﷺ يقول فيه : (ابن مسعود) وعاءٌ مُلِئ علماً . وقد اشترك عبد الله بن مسعود ﷺ في فتوح الشام .

في عصر عثمان ﷺ :

أمَّر عثمان ﷺ عبد الله بن مسعود ﷺ على الكوفة ، فبقي مدّة، ثم عزله عنها ، ولكنّ ذلك لم يوقع بينهما العداوة والبغضاء ، بل نجدُ ابن مسعود ﷺ يخطّئ أصحاب الشَّغب الذين ثاروا على عثمان ﷺ ، ويقول : لئن قتلوه لا يستخلفون بعده مثله . ولما مرضَ عبد الله بن مسعود عادَه أميرُ المؤمنين وسأله : ما تشتكي ؟ قال ذنوبي . قال : فما تشتهي . قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بعطائك الذي امتنعتَ عن أخذه ؟ قال : لا حاجة لي به . قال : يكون

لبناتك من بعدك . قال : إني أمرتُهنّ أن يقرأن في كل ليلةٍ سورةَ الواقعة . وإنـي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ الواقعة كلَّ ليلةٍ لم تُصِبهُ فاقةٌ[1] » .

خطابته :

كان عبد الله بن مسعود ﷺ مفوَّهاً مقولاً ، وبليغـاً لا يُـبارى ، وخطيبـاً لا يجارى ، ومما ساق الجاحظُ مـن خُطبـه : أصـدقُ الحديـثِ كتـابُ الله ، وأوثـق العُرى كلمةُ التقوى ، وخيرُ الملل ملّة إبراهيم ﷺ ، وأحسـنُ السـنن سـنة محمـد ﷺ ، وخير الأمور أوساطُها ، ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثرَ وألهـى . نفـسٌ تُنجيهـا خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها . خيرُ الغنـى غنـى النفـس . خـيرُ مـا أُلقـيَ في القلـب اليقين . الخمرُ جماعُ الآثـام . النسـاء حبالـة الشـيطان . مـن النـاس مـن لا يـأتي الجماعة إلا دبراً[2] ، ولا يذكرُ الله إلا نزراً ، سباب المؤمن فسقٌ ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية ، مكتوب في ديوان المحسنين : مـن عفـا عفـي عنـه . الأمـور بعواقبها ، أحسنُ الهَدْيِ هَديُ الأنبياء . وقال يحذّر من الخلاف : يـا أيهـا النـاسُ عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبلُ الله الـذي أمر بـه ، وإنّ مـا تكرهـون في الجماعة خيرٌ مما تحبون في الفرقة ، فإن الله عزّ وجلّ لم يخلـق شـيئاً إلا خلـق لـه نهاية ينتهي إليها ، وإنّ الإسلام قد أقبل له ثبات وإنه يوشك أن يبلغ نهايته ، ثم يزيد وينقص إلى يوم القيامة ، وآية ذلك الفاقة ، وتَفظُعُ ، حتـى لا يخـاف الغـنيُّ إلا الفقر ، وحتى لا يجد الفقيرُ من يعودُ عليه ، وتُقطعُ الأرحام ، حتـى إذا كـان

---

(١) فاقة : فقر وحاجة .

(٢) أي آخر الوقت .

ذلك خارت[1] الأرض ، ثم تقيءُ أفلاذ كبدها .. أساطين الذهب والفضّة . فمن يومئذ لا يُنتفع بذهب ولا فضة إلى يوم القيامة . وقام مرّة بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناسُ إنّ الله ربُّنا ، وإن الإسلام ديننا ، وإن القرآن إمامُنا ، وإن البيتَ قبلتنا وإن هذا ـ وأومأ بيده إلى النبي ﷺ - نبيُّنا ، رضينا ما رضي الله تعالى لنا ورسوله ، وكرهنا ما كره الله تعالى لنا ورسوله .

من مواعظه :

ينبغي لحامل القرآن أن يُعرفَ بليله إذ الناسُ نائمون ، وبنهاره إذا الناس يُفطرون ، وبحُزنه إذا الناسُ يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلطون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً ، حكيماً حليماً ، عليماً سكّيتاً ، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّاباً (شديد الصياح) ولا حديداً (سريع الغضب) .

- إني لأمقتُ الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة - لا أُلفينَّ أحدكم جيفةَ ليل قُطرُبَ نهار[2] .

- ما منكم إلا ضيفٌ ومالُه عارية[3] ، والضيفُ مرتحلٌ والعارية مؤدّاةٌ إلى

---

(١) خارت : خرج لها صوت .

(٢) القطرب : الذي يجلس هنا ساعة وهنا ساعة . والقطرب : دابة تمضي نهارها في السعي . فهو ينهى أن يتطفل المرء في نهاره ويتسكع ، كما ينهى أن يقبل المرء على دنياه طوال نهاره ، ولايبقي شيئاً من قوته للعبادة في الليل .

(٣) العارية : الشيء المستعار .

أهلها ـ اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وزُل[1] مع القرآن حيث زال ، ومن جاءك بالحقّ فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً ، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيباً قريباً .

ـ إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة . والموتُ يأتي بغتةً ، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكلّ زارع مثلُ مازرع ، لايُسبقُ بطيءٌ بحظه ، ولا يُدركُ حريصٌ ما لم يُقدَّر له ، فمن أُعطيَ خيراً فالله تعالى أعطاه ، ومن وُقي شراً فالله وقاه . المتّقون سادة ، والفقهاءُ قادة ، ومجالستهم زيادة .

من دعاء عبد الله بن مسعود ﷺ :

اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتدّ ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقةَ نبيّك سيدنا محمد ﷺ في أعلى جنّة الخلد .

ربنا أصلح ذاتَ بيننا ، واهدنا سُبُلَ السَّلام ، ونجّنا من الظُلمات إلى النور واصرف عنّا الفواحش ما ظهرَ منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقوّتنا وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنتَ التّوابُ الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مُثنين ، بها وأتممها علينا .

ـ اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشّقاء فامحُني وأثبتني في أهل السّعادة .

---

(١) زل : انتقل .

طلبه من قاطع الرحم أن يقوم حين أراد الدعاء :

كان ابنُ مسعودٍ ﷺ جالساً بعد الصبح في حلقة فقال : أنشدُ الله قاطعَ رحم لما قامَ عنا فإنا نريدُ أن ندعو ربنا وإنَّ أبواب السماء مُرتجةٌ[1] دون قاطع الرحم .

دعاء للاستشفاء :

دخل ابنُ مسعود ﷺ بيته فرأى في عُنق زوجته خيطاً ، فقال : ماهذا الخيط ؟ قالت : خيطٌ رُقي لي فيه ، فأخذه وقطعه . وقال : إنما كان يَكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ : أذهب البأس ، ربَّ الناسِ ، اشفِ وأنتَ الشافي ، لا شفاءَ إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادرُ سقماً .

حُسنُ خُلقه :

ذُكر ابن مسعود ﷺ في مجلس الإمام علي بن أبي طالب ﷺ فقال قومٌ : يا أمير المؤمنين ، ما رأينا رجلاً كان أحسنَ خُلقاً ولا أحسن مجالسةً ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود . فقال : اللهم إني أُشهدك ، اللهم إني أقولُ فيه مثل ماقالوا أو أفضل ، قرأ القرآنَ فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه ، فقيه في الدين ، عالم بالسنة .

(١) مرتجة : مغلقة .

حبّه وإيصاؤه بالعُزلة :

قال ابن مسعود لابنه وهو يعظه : أي[1] بني ، أوصيكَ بتقوى الله وليسعكَ بيتكَ ، وابكِ على خطيئتك .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ـ قال ابن مسعود ﷺ : هلكَ من لم يأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر .

ـ الناس ثلاثـة ولا خيرَ فيمـا سـواهم : رجـلٌ رأى فئـة تقـاتلُ في سبيل الله فجاهد بنفسه وماله ، ورجل جاهد بلسانه وأمر بـالمعروف ونهى عـن المنكر ، ورجل عرف الحقّ بقلبه .

ـ جاهدوا المنافقين بأيديكم ، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهِرُّوا في وجوههم فاكفهرُّوا في وجوههم .

ـ إنَّ الرجلَ يشهد المعصية يُعمـل بهـا فيكرههـا فيكـون كمـن غـاب عنهـا ، ويغيب عنها فيرضاها فيكون كمن شهدها .

الذِّكْرُ :

قـال ابـن مسـعود ﷺ : إنّ الله قسَـم بينكـم أخلاقكـم كمـا قسـم بينكـم أرزاقكـم ، وإنّ الله يُؤتـى المـالَ مـن يحـبّ ومَـن لا يحـبّ ولا يؤتـى الإيمـان إلا من أحبّ ، فإذا أحب الله عبداً أعطـاه الإيمـان ، فمـن ضـنَّ بالمـال أن ينفقـه ،

---

(١) أي : حرف نداء .

وهاب العدو أن يجاهده ، والليل أن يكابده ، فليكثر من قول لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله .

وقال ابن مسعود ﷺ : أكثروا من ذكر الله عزَّ وجلَّ ، ولا عليك أن تصحب أحداً إلا من أعانك على ذكر الله .

تهجُّده :

عن علقمة بن قيس قال : بتُّ مع عبد الله بن مسعود ﷺ ليلة فنام أول الليل ، ثم قام يصلي حتى لم يبقَ من الغلَس إلا كما بين أذان المغرب إلى الإنصراف منها ثم أوتر .

صلاة الأوابين :

كان عبد الله بنُ مسعود ﷺ يقول : إنّ مابين المغرب والعشاء ساعةُ غفلة . فكان يتنفّل فيها حتى لا يُرى في هذا الوقت إلا متنفلاً .

إنكاره على مَنْ ضحكَ في جنازة :

رأى عبد الله بن مسعود ﷺ رجلاً يضحكُ في جنازة فقال : أتضحك وأنتَ مع جنازة ؟ والله لا أكلمك أبداً ! .

العلم :

كان ابن مسعود ﷺ يقول : لا يزال الناسُ صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم ، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا .

لو أنّ أهل العلم صانوه ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم ، سمعتُ نبيّكم ﷺ

يقول : من جعل الهموم هماً واحداً ـ هو همُّ المعاد ـ كفاه الله سائر همومه ، ومن شعَّبته الهمومُ في أحوال الدنيا لم يبال الله في أيّ أوديتها هلك . كيف بكم إذا لبستْكم فتنةٌ يربو فيها الصَّغيرُ ، ويهرمُ فيها الكبير ، وتتخذ سنّةً ، فإن غيّرت يوماً قيل : هذا منكر ؟ قيل : ومتى ذلك ؟ قال : إذا قلّت أمناؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلّت فقهاؤكم ، وكثرت قراؤكم ، وتُفقّه لغير الدين ، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة .

نعم المجلسُ مجلسٌ تُنشر فيه الحكمة ، وتُرجى فيه الرّحمن . أيها الناس ، مَن سئل عن علم يعلمُه فليقل به ، ومن لم يكن عنده علم فليقل : الله أعلم .

التقوى :

قال ابن مسعود ﷺ : لأن أكونَ أعلمُ أنّ الله يقبلُ مني عملاً أحبُّ إليَّ من أن يكونَ لي ملءُ الأرض ذهباً . وقال وقد أخذ بلسانه : يا لسانُ قل خيراً تغنم، واسكت عن الشر تسلم ، من قبل أن تندم . والذي لا إله إلا هو ماعلى ظهر الأرض شيء أحوجُ إلى طول سجنٍ من لسان .

سورة الملك :

قال ابن مسعود ﷺ : من قرأ ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾[1] كل ليلة منعه الله عزّ وجلّ بها من عذاب القبر ، وكنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة.

---

(١) سورة الملك / ١ / .

الصلاة :

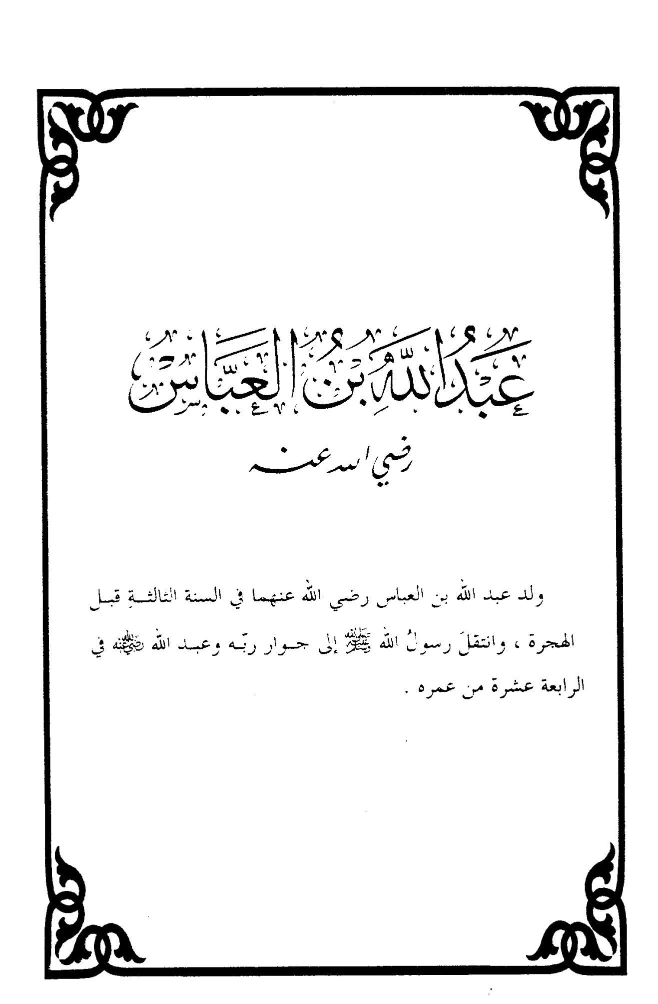
قال ابن مسعود ﷺ : مادمتَ في الصلاة فأنت تقرعُ باب الملك ، ومَن يَقرَعْ باب الملك يُفتح له .

وفاته :

مازال هذا الحبرُ الجليلُ الفاضلُ ينثرُ الدُّرَر من فيه(١) ليهديَ مَن حوله ، ويزيدهم إيماناً ، حتى قضى نحبه ، وكان موتُه ﷺ عام ٣٢ هـ . فلما نُعيَ إلى أبي الدرداء ﷺ قال : ماتَركَ بَعدَه مثله . وقال تميم بن حرام : جالستُ أصحابَ رسول الله ﷺ ، فما رأيتُ أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أحبَّ إليَّ أن أكون في صلاحه من ابن مسعود ﷺ .

---

(١) فيه : فمه .



عبد الله بن العباس

رضي الله عنه

ولد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما في السنة الثالثة قبل الهجرة ، وانتقلَ رسولُ الله ﷺ إلى جوار ربّه وعبد الله رضي الله عنه في الرابعة عشرة من عمره .

اسمه وأسرته :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشيّ الهاشمي ، ولد في مكةَ المكرمة أيامَ محاصرة المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب ، ولزمَ في نشأته رسول الله ﷺ ، وكان العباسُ رضي الله عنه ، أبا عبد الله ، يؤازرُ النبي الكريم ﷺ بعد وفاة أخيه أبي طالب ، ولكنه تأخر في إعلان إسلامه شيئاً ما ، وقد احتفظت الكتب للعباس رضي الله عنه بهذه الوصية . قال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما : إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يدعوك ويقرّبك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ ، فاحفظ عني ثلاثَ خصال : لا يُجَرّبنَّ عليك كذبةً ، ولا تُفشينَّ له سراً ، ولا تغتابنّ عنده أحداً . وأمُّ عبد الله لبابة بنت الحارث الهلالية ، وكانت تُكنى بأمّ الفضل وكان عبد الله يُكنى بأبي العباس .

طائفة من صفاته :

قال ابن مسعود رضي الله عنه . نِعْمَ ترجمانُ القرآن ابنُ العباس . وقال عمرو بن دينار : ما رأيتُ مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر . وقال عطاء : كان ناسٌ يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب ، وناسٌ يأتونه لأيام العرب ووقائعهم ، وناس يأتونه للفقه والعلم . فما منهم صنف إلا يُقبِلُ عليهم بما يشاؤون . وقال عمر رضي الله عنه : (ابن عباس) : فتى الكهول ، له لسانٌ سؤول ، وقلب عقول . وكان عمر رضي الله عنه إذا أعضلت على المسلمين قضية دعا ابن عباس رضي الله عنهما وقال له : أنتَ لها ولأمثالها . وكانَ يقال له الحبر البحر . والحبر : العالم . وكان ابن عباس رضي الله عنهما أبيضَ اللون طويلَ القامة وسيماً صبيح الوجه ، له وَفرة ، وكان من

أجمل الناس ، وأفصحهم ، وأعلمهم . وكان عبد الله بن عمر يقّرب ابن عباس رضي الله عنهم ويقول : إني رأيتُ رسول الله ﷺ دعاك فمسحَ رأسك ، وتَفَلَ في فيك (فمك) ، وقال اللهمَّ فقههُ في الدين ، وعلّمه التأويلَ . وقال رسولُ الله ﷺ : اللهمَّ علّمه الحكمة . وقد كان رسولُ الله ﷺ يحب عبد الله ابن عباس ، وهو ابن عمّه ﷺ ، وكان يقرّبه ويُدنيه ويشاوره مع كبار الصحابة رضوان الله عليهم . وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما (١٦٦٠) حديثاً ، نقلها عنه ﷺ مباشرةً أو عن طريق بعض الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين كانوا أسنّ منه وأُتيحت لهم فترة أطولُ من الوقت فأخذوا عن رسول الله ﷺ .

تفسيره للقرآن :

كان ابن عباس رضي الله عنه مبارك الوِجْهة فيما يفسّر به القرآن ، فكان يفسّر القرآن بالقرآن ، فإن لم يجد فبالسنة ، فإن لم يجد فبكلام الشيخين أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما ، فإن لم يجد فكان يفسر بما يفتحُ الله عليه ممّا لا يخالف كتاباً ولا سنة ولا أثراً ولا لغة . وقد جمع له الرواة من تفسيراته كتاباً أسموه « تفسير القرآن » لابن عباس . وهو مطبوع .

بعض أعماله :

كان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما « موسوعة » علميّة غزيرة الفيض ، بعيدة القرار ، ولكنه مع ذلك كان مجاهداً اشترك في فتح أفريقيا مع عبد الله بن أبي سرح سنة ٢٧ هـ ، وجعله عثمان رضي الله عنه أميراً على الحج ، سنةَ استشهاده ، وولّاهُ

عليٌّ ﷺ البصرةَ ، فكان يعلم الناس في رمضان ـ وهو أمير البلدة ـ فما ينقضي رمضان حتى يفقّههم .

قوة حافظته :

كان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما آيةً في الحفظ ، حتى إنّ عمرَ بنَ أبي ربيعة أنشده قصيدته :

أمِن آل نُعمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ

وهي ثمانون بيتاً ، فحفظها من مرَّةٍ واحدة .

فصاحته وبيانه :

كان ابن عباس رضي الله عنهما مِقولاً بليغاً ، وأديباً بارعاً قد أوتي الحكمةَ وفصلَ الخطاب ، قال حسان بن ثابت ﷺ يمدحه :

إذا ما ابنُ عباسٍ بدا لكَ وجهُه ... رأيتَ له في كلّ أحواله فضلاً

إذا قال لم يتْرُك مقالاً لقائلٍ ... بمنتظماتٍ لا ترى بينها فصلاً

كفى وشفى ما في الصدور فلم يدع ... لذي إربة في القول جدّاً ولا هزلاً

سموتَ إلى العليا بغير مشقةٍ ... فنلتَ ذراها لا دَنِيّاً ولا وَغْلاً[1]

من تأويل ابن عباس رضي الله عنهما :

قال ابن عباس رضي الله عنهما يفسر قوله تعالى : ﴿ أوَ لم يرَ الذين كفروا أنّ السمواتِ والأرضَ كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا

(١) الوغل : النذل .

يؤمنون ﴾[1] : كانت السمواتُ رتقاء[2] لا تُمطـر ، والأرضُ رتقـاء لا تنبـت ، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات .

حليّ كسرى :

قال ابنُ العباس رضي الله عنهما : دعاني عمر بن الخطـاب ﷺ فأتيتـه فـإذا بين يديه نطعٌ[3] فيه الذهب قد نُثر ، فقال : هلمَّ فاقسم هذا ، فالله أعلم حيـث زوى[4] هذا عن نبيه ﷺ ، وعن أبي بكر ﷺ ، فأُعطيته ، لخير أُعطيته أم لشر! ثم بكى . ثم قال : وددْتُ أني خرجتُ منها كفافاً لا لي ولا عليّ .

حديث ابن عباس في خوف عمر عند وفاته :

قال عبد الله ﷺ : لمّا طُعن عمرُ ﷺ دخلتُ عليه فقلتُ له : أبشـر يـا أمـير المؤمنين ، فإن الله قد مصَّر بك الأمصار ودفعَ بك النّفاق ، وأفشى بك الرِّزق . قال : أفي الإمارة تُثني علـيَّ يـابن عبـاس ؟ فقلـتُ : وفي غيرهـا . قـال : والـذي نفسي بيده لوددتُ أني خرجتُ منها ، كما دخلتُ فيها ، لا أجر ، ولا وزر .

بينه وبين زيد بن ثابت رضي الله عنهما :

ركب زيدُ بن ثابت ﷺ ، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه فقـال : تنحَّ يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنـا .

---

(١) الأنبياء / ٣٠ / .
(٢) رتقاء : مسدودة .
(٣) نطع : بساط من الجلد .
(٤) زوى : طوى ومنع وأمسك .

فقال زيد : أرني يدك فأخرج يده ، فقبّلها ، فقال : هكذا أُمرنا أن نفعلَ بأهل بيت نبيّنا .

فرحه بحسن حال المسلمين :

شتم رجلٌ ابن عباس رضي الله عنهما فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وإنَّ فيَّ ثلاث خصال : إنّي لآتي على الآية في كتاب الله فلوددتُ أنّ جميع الناس يعلمون ما أعلم ، وإنّي لأسمعُ بالحاكم من حُكام المسلمين يعدلُ في حكمه فأفرح ، ولعلي لا أُقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح ومالي به سائمة (دابة ترعى) .

علمه :

قال مجاهد : كان ابن عباس يسمَّى البحر من كثرة علمه . وقيل لطاووس : لزمتَ هذا الغلام - يعني ابن عباس - وتركتَ الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ! فقال : إني رأيتُ سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارؤوا[1] في شيء صاروا إلى قول ابن عباس .

وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ : مارأيتُ أحداً أحضر فهماً ولا ألبَّ لُباً[2] ولا أكثر علماً ولا أوسعَ حِلماً من ابن عباس . ولقد رأيتُ عمر بن الخطاب ﷺ يدعوه للمُعضلات ثم يقول : دونك قد جاءتك معضلة ، ثم لا يتجارز

---

(١) تدارؤوا : اختلفوا .
(٢) ألب لباً : أقوى عقلاً .

قوله ، وإن حوله لأهل بدرٍ من المهاجرين والأنصار . وقال أبو وائل : حججتُ أنا وصاحبٌ لي ، وابنُ عباسٍ أميرٌ على الحجّ ، فجعل يقرأ سورة النور ويفسرها. فقال صاحبي : ياسبحان الله ، مارأيتُ ولا سمعتُ كلام رجل مثله ، ولو سمعته الترك والفرس لأسلمت . وقال عبيدُ الله بن عبد الله بن عُتبة ـ وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ـ كان ابنُ عباس قد فات الناس بخصال : بعلمٍ ماسبقه ، وفقهٍ فيما احتيج إليه من رأيه ، وحِلم وسيب ونائل[1] . وما رأيتُ أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ ، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ـ منه ، ولا أفقهَ في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلمَ بما مضى ولا أثقفَ رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ، ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً التأويل ، ويوماً المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيتُ عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيتُ سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً .

ملازمته كبار علماء الصحابة رضوان الله عليهم :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كنتُ ألزم الأكابرَ من أصحاب رسول الله ﷺ ، من المهاجرين والأنصار ، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنتُ لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني لقُربي من رسول الله ﷺ فجعلت أسألُ أُبيّ بن كعب ﷺ يوماً ـ وكان من الراسخين في العلم ـ

---

(١) السيب : العطاء ومثله النائل .

عمّا نزَل من القرآن بالمدينة ، فقال : نزل بها سبع وعشـرون سـورة ، وسـائرها بمكة .

العلماء الربانيون :

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما :

أوَما علمتم أن لله تعالى عبـاداً أصمَتَتْهـم خشـيتهُ مـن غـير بَكـمٍ ولا عمـيٍّ ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطُلقاء والنُبلاء ، العلماءُ بأيام الله عزَّ وجلّ ، غير أنهم إذا تذكروا عظمةَ الله عزَّ وجلّ طاشت لذلك عقولهم ، وانكسرت قلوبهـم وانقطعت ألسـنتهم ، حتى إذا اسـتفاقوا مـن ذلـك تسـارعوا إلى الله عـزَّ وجـلّ بالأعمال الزاكية ، يعدّون أنفسهم مـع المفرطّين وإنهـم لأكيـاسٌ أقويـاء ، ومـع الظالمين والخطّائين وإنهم لأبرار بـرآء ، إلا أنهـم لا يسـتكثرون لـه الكثـير ، ولا يرضـون لـه القليـل ، ولا يُدلّـون عليـه بالأعمـال ، هـم حيثمـا لقيتهـم مهتمـون مشفقون ، وجلون خائفون .

علماء السوء :

قال ابن عباس رضي الله عنهما في علماء السُّوء ، وهم الذين يلتمسون الدنيا بعلمهم : لو أنَّ حملـةَ العلـم أخـذوه بحقـه ومـا ينبغـي ، لأحبَّهـم الله وملائكتـه والصالحون ، ولهابَهُمُ الناسُ ، ولكن طلبوا به الدنيـا فـأبغضهم الله وهـانوا علـى الناس .

مواعظ ابن عباس رضي الله عنهما :

يا صاحبَ الذنب لا تأمننَّ مـن سـوء عاقبتـه ، ولمـا يَتبـعُ الذنـب أعظـمُ مـن الذنب إذا عملته ، فإنَّ قلّةَ حيائك ممن على اليمين وعلى الشّمال ــ وأنتَ علـى

الذنب ـ أعظمُ من الذنب الذي عملته . وضحككَ وأنت لا تدري ماالله صانعٌ بك أعظمُ من الذنب ، وفرحُك بالذّنب إذا ظفرتَ به أعظمُ من الذنب ، وحُزنك على الذنب إذا فاتك أعظمُ من الذنب إذا ظفرتَ به ، وخوفُك من الرِّيح إذا حرّكت سترَ بابك وأنتَ على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك ، أعظمُ من الذنب إذا عملته . ويحك ! هل تدري ما كان ذنبُ أيوب عليه السلام فابتلاه الله تعالى بالبلاء في جسده وذهاب ماله ؟ إنّما كان ذنب أيوب عليه السلام أنّه استعان به مسكينٌ على ظُلم يدرؤه[1] عنه ، فلم يُعنه ، ولم يأمر بمعروف ويَنهَ الظالم عن ظلم هذا المسكين ، فابتلاه الله عزَّ وجلّ . عليكَ بالفرائض ، وما وظَّف[2] الله تعالى عليك من حقّه ، فأدِّه واستعنِ الله على ذلك ، فإنّه لا يعلمُ من عبد صدقَ نيّة ، وحرصاً على ماعنده من ثوابه إلا أخره عمّا يكره ، وهو الملكُ يصنعُ مايشاء . ما من مؤمنٍ ولا فاجر إلا وقد كتبَ الله تعالى له رزقَه من الحلال ، فإن صبرَ حتى يأتيه آتاه الله تعالى ، وإن جزعَ فتناول شيئاً من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال .

من دعاء ابن عباس رضي الله عنهما :

اللهمّ إني أسألكَ بنور وجهك الذي أشرقت له السمواتُ والأرضُ أن تجعلني في حِرزك وحفظك وجواركَ وتحت كنفك .

اللهمّ قنّعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كلّ غائبة لي بخير .

---

(١) يدرؤه : يدفعه .

(٢) وظف : رتب .

اللهم تقبّل شفاعة محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وأعطه سُؤلهُ في الآخرة والأولى ، كما آتيت إبراهيم وموسى ، عليها السّلام .

مجالس الذكر :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بعبد الله بن رواحة ﷺ وهو يذكّر أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبّر نفسي معكم . ثم تلا هذه الآية ﴿ واصبر نفسكَ مع الذين يدعُونَ ربَّهم بالغداة والعشيّ يريدونَ وجهه ولا تعدُ عيناكَ عنهم تريدُ زينة الحياة الدنيا ، ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبعَ هواهُ وكانَ أمره فُرطاً ﴾[1] أما إنّه ما جلس عِدّتكم إلا جلسَ معهم عدَّتهم من الملائكة ، إن سبّحوا الله تعالى سبّحوه ، وإن حمدوا الله تعالى حمدوه ، وإن كبروا الله كبّروه ، ثم يصعدون إلى الربّ جلَّ ثناؤه - وهو أعلم منهم - فيقولون : ياربنا عبادُك سبَّحوك فسبحنا ، وكبروا فكبرنا وحمدوك فحمدنا ، فيقول ربّنا : يا ملائكتي أشهدُكم أني غفرتُ لهم . فيقولون : فيهم فلان وفلان الخطَّاء . فيقول : هم القومُ لا يشقى بهم جليسهم.

نموذج من الذكر :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من قال : بسم الله . فقد ذكر الله . ومن قال : الحمد لله . فقد شكر الله . ومن قال : الله أكبر فقد عظّم الله .

(١) سورة الكهف / ٢٨ / .

ومن قال : لا إله إلا الله . فقد وحّد الله . ومن قال : لاحول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم ، وكان له بهاءٌ وكنز في الجنة .

دعاء لكشف الكرب والشدة :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : من نزل به همّ أو غمّ أو كرب أو خاف من سلطان فدعا بهذه الكلمات استجيب له : أسألك بلا إله إلا أنت ربَّ السمواتِ السبع وربَّ العرش العظيم . وأسألك بلا إله إلا أنت ربّ السموات السبع وربَّ العرش الكريم . وأسألك بلا إله إلا أنتَ ربَّ السموات السبع والأرضينَ السبع وما فيهنّ إنك على كل شيء قدير . ثم سل الله حاجتك .

دعاء آخر له ﷺ :

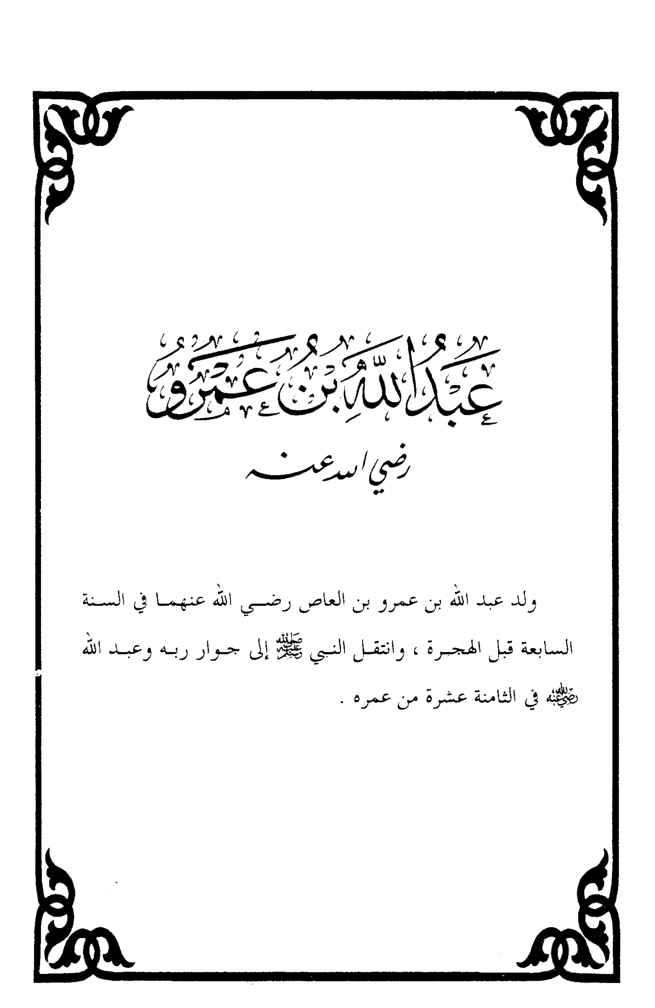
قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا أتيتَ سلطاناً مهيباً تخافُ أن يسطوَ عليك ، فقل : الله أكبرُ الله أكبرُ ، الله أعزُّ من خلقه جميعاً ، الله أعز مما أخافُ وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ، الممسكِ السموات السبع أن يقعنَ على الأرض إلا بإذنه ، من شرّ عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجنّ والإنس اللهم كن لي جاراً من شرّهم . جلَّ ثناؤك وعزَّ جارُك ، وتبارك اسمك ، ولا إله غيرك . ثلاث مرات .

وفاته :

كُفَّ بصرُ هذا الصحابي الجليل في آخر عمره . فقال له طبيب : نداويك وتدعُ الصلاة أياماً . قال : لا ، إنّ رسول الله ﷺ قال : من ترك الصَّلاة لقي الله وهو عليه غضبان . وقال ابن عباس رضي الله عنهما :

إن يأخذ الله مـن عيـنيَّ نورهمـا ففـي لسـاني وقلـبي منهمـا نـورُ
قلبي ذكـيّ وعقلـي غـير ذي دخـلٍ وفي فمـي صـارمٌ كالسَّـيف مـأثورُ

وكان عبدُ الله بن الزبير رضي الله عنهما قد أخرجه من مكّـة إلى الطـائف ، فمكث فيها ، إلى أن مات عام ٦٨ هـ . ولما علـم جـابر ﷺ بموتـه قـال : مـات أعلمُ الناس ، وأحلم الناس . ولقد أُصيبت به هذه الأمّةُ مصيبـةً لا تُرتـق . وقـال رافع بن خديج ﷺ : مات اليومَ من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم وقال عمرو بن دينار : ماتَ ربانيُّ هذه الأمة .



عبد الله بن عمرو

رضي الله عنه

ولد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في السنة السابعة قبل الهجرة ، وانتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه وعبد الله رضي الله عنه في الثامنة عشرة من عمره .

نبذة من سيرته :

وُلدَ عبد الله بنُ عمرو بن العاص ، القرشيُّ ، السَّهميُّ ، في مكـة المكرمـةِ في السَّنة السابعة قبل الهجرة ، وكان يُكنى أبا محمَّد ، وأمُّه ريطةُ بنتُ منبِّهٍ ، وكـان عبدُ الله ﷺ قـد أسـلمَ قبـلَ أبيـه ، وكـان يعـرفُ القـراءة والكتابـة ، ويُحسـنُ السُّريانية .

وكـان عبـدُ الله بـن عمـرو رضـي الله عنهمـا يشـهدُ الحـروب والغـزوات ويضربُ بسيفين لا بسيف واحد ، وقد حمـلَ رايـةَ أبيـه يـومَ اليرموك ، وشـهد صفّينَ مع معاوية ﷺ ، ثم اعتذر عـن ذلـك ، وبيّـن أنـه لاقناعـةَ لـه في محاربـة مسلمين أيّاً كانوا ، وأقسم أنه لم يضرب فيهـا بسيف ، ولم يطعـن برمـح ، ولم يرم بسهم ، ولم يكن حضوره لها إلا شكلياً .

وقد ولاه معاوية ﷺ الكوفة ، مدّةً قصيرة ، ولما كانت خلافة يزيد لم يبايعه عبد الله ، وانزوى في بعض جهات عسقلان منقطعاً للعبادة ، وله في الصحيحين /٧٠٠/ حديث . وكان أبوه عمرو بن العاص ﷺ قد سمّاه لما ولـد « العـاص » باسم والد عمرو ، فلمّا أسلم غيَّر النبي ﷺ له اسمه ، وسمّاه عبد الله .

من النُّسّاك :

قال عبدُ الله بن عمرو رضي الله عنهما ، زوَّجني أبي امرأةً من قريش ، فلمّا دخلت عليّ جعلتُ لا أنحاشُ لها[1] ممـا بـي مـن القـوة علـى العبـادة مـن الصَّـوم

(١) أي لا يقربها .

والصلاة ، فجاء عمرو بن العاص إلى كَنّته (امرأة ابنه) فقال لها : كيف وجدتِ بعلك ؟ قالت : لم يفتش لنا كنفاً ولم يقرب لنا فراشاً ، فأقبلَ علي فعذمني (لامني وشتمني) وقال : أنكحتُك امرأة من قريش ، ذات حسب ، فعضلتها (أي لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم ولم تتركها تتصرّف بالتزوج من غيرك ، لو أنّك لم تتزوجها) . ثم انطلقَ إلى النبي ﷺ فقال لي : أتصومُ النهار ؟ قلت : نعم . قال : فتقوم الليل ؟ قلتُ : نعم . قال : ولكنّي أصوم وأفطر وأصلّي وأنام ، وأمسُّ النساءَ ، فمن رغبَ عن سُنتي فليس مني . ثم قال : اقرأ القرآن في كل شهر . قلت : إني أجدُني أقوى من ذلك . قال : فاقرأه في كل عشرة أيام . قلت : إني أجدني أقوى من ذلك . قال : فاقرأه في كل ثلاث ثم قال : صُم في كل شهر ثلاثة أيام . قلتُ : إني أقوى من ذلك . فلم يزل يرفعني حتى قال : صُم يوماً وأفطر يوماً ، فإنه أفضل الصيام ، وهو صيام أخي داود عليه السلام .

فكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حين ضَعفَ وكبرَ يصوم الأيام كذلك يصل بعضها ليتقوّى بذلك ، ثم يفطر بعد ذلك الأيام . وكان يقرأ من أحزابه كذلك ، يزيد أحياناً ، وينقص أحياناً ، غير أنّه يوفي به العِدة إمّا في سبع وإمّا في ثلاث . وكان يقول : لأن أكون قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ مما عدل به ، ولكني فارقته على أمر ، وأكره أن أخالفه إلى غيره .

ولعبد الله ﷺ أيضاً قال رسولُ الله ﷺ : إنّ لجسدك عليك حقاً ، وإنّ لزوجك عليك حقاً ، وإنّ لعينيك عليك حقاً .

كتابته للحديث النبوي :

كان النبي ﷺ ينهى بصفة عامة عن تدوين الحديث النبوي ، لئلا يلتبس بالقرآن الكريم ، بيدَ أنه أذنَ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، لحكمة توخاها .

وقال سأل عبدُ الله ﷺ رسول الله ﷺ : أأكتبُ كلَّ ما أسمعُ منك في الرضا والغضب ؟ فقال : نعم ، فإني لا أقولُ إلا حقاً .

قال أبو هريرة ﷺ : ماكان أحدٌ أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني ، إلا عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي ، وكان يكتب ، وأنا لا أكتب ، استأذن رسول الله ﷺ في ذلك فأذن له .

طائفة من صفاته :

كان عبدُ الله بن عمرو غيرَ مديد القامة ، أحمرَ ، عظيم الساقين ، أبيض الرأس واللحية . وكان فاضلاً حافظاً عالماً ، ومرَّ بنا اعترافُ أبي هريرة ﷺ بأسبقيته في الرواية ، وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما فيه : إنّ عنده لعلماً . ولقد كان يسأل رسول الله ﷺ عن الحلال والحرام .

سخاؤه :

كان عبد الله ﷺ سخياً واسع الجود كثيرَ الضّيفان ، شديد الاحتفاء بأضيافه ، ويروى أنّ سليمان بن ربيعة وصاحباً له اسمه المنتصر بن الحارث قد حجا زمن معاوية ﷺ ، فقالا : لا نرجع حتى نلقى رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مرضياً يحدثنا بحديث .

فما زالا يسألان حتى علما أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما نازلٌ في أسفل مكة ، فعمدا إليه ، فإذا هما بجمع عظيم يرتحلون على ثلاثمائة بعير . مائةٌ رواحلُ للركوب ، ومائتا زاملةٍ[1] تحمل الطعام والمتاع . فقالا : لمن هذا الثِّقل ؟ فقالوا : لعبد الله بن عمرو . فقالا - وكانا يسمعان أن ابن عمرو من أشد الناس تواضعاً - : أكلُّ هذا له ؟!

قالوا : هذه مائة راحلة له ولإخوانه يحملهم عليها . وهذه مائتا زاملة لمن نزل عليه من أهل الأمصار من الأضياف فعجبا من ذلك عجباً شديداً ، فقالوا : لا تعجبا من هذا ، فإن عبد الله بنَ عمرو رجلٌ غنّي ، وإنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس . فقالا : دلّونا عليه . فقالوا : إنه في المسجد الحرام . فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبُر الكعبة جالساً . رجلٌ قصير أرمص[2] ، بين بُردين وعمامة ، ليس عليه قميص ، قد علّق نعليه في شماله .

كان صادق الوعد :

كان عبد الله بنُ عمرو رضي الله عنهما صادق القول صادق الوعد ، ويمكن أن نسوق مثلاً من هذه الخصلة فيه أنّه لما حضرته الوفاة قال : انظروا فلاناً فإني كنتُ قلت له في ابنتي قولاً كشبه العدة فما أحبُّ أن ألقى الله بثلث النفاق . فأشهدكم أني قد زوجته .

---

(١) الزاملة : الجمل الذي يُحمل عليه .

(٢) أرمص : في مؤق عينه رطوبه ، لأن عبد الله رضي الله عنه كان كثير البكاء من خشية الله ، فكان فيه رمص .

قوله في من ترك الجهاد :

مرّ بعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما نفرٌ من أهل اليمن ، فقالوا له : ما تقولُ في رجل أسلم فحسُن إسلامه ، وهاجر فحسنت هجرته ، وجاهد فحسُن جهاده ، ثمّ رجعَ إلى أبويه باليمن فبَرَّهما ورحمهما ؟ قال : ماتقولون أنتم ؟ قالوا : نقول : قد ارتد على عقبيه . قال : بل هو في الجنة . ولكن سأخبركم بالمرتدّ على عقبيه : رجل أسلمَ فحسن إسلامه . وهاجر فحسنت هجرته ، وجاهد فحسن جهاده ، ثم عمد إلى أرض نَبطيٍّ[1] فأخذها منه بجزيتها ورزقها، ثم أقبل عليها يعمرها ، وترك جهاده ، فذلك المرتد على عقبيه .

قول ابن عمرو في عمله بعد النبي ﷺ :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لخيرٌ أعمله اليوم أحبُّ إليَّ من مثليه مع رسول الله ﷺ ، لأنا كُنا مع رسول الله ﷺ تهمّنا الآخرة ولا تهمّنا الدنيا ، وإنا اليوم قد مالت بنا الدُّنيا .

قصته مع رجل بشره النبي ﷺ بالجنة :

قال أنسُ بن مالك ﷺ : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : يطلعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة ، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطُفُ (أي تقطر) لحيتُهُ من وضوئه ، قد علّق نعليه بيده الشمال ، فلمّا كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجلُ مثل المرَّة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ

---

(١) فلاح أردني .

مثل مقالته أيضاً ، فطلع الرجل على مثل حاله الأولى ، فلمّا قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو[1] بن العاص رضي الله عنهما .

فقال : إني لاحيتُ (أي خاصمت) أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيتَ أن تُؤويني إليك حتى تمضي فعلت . قال : نعم . قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقومُ من الليل شيئاً غير أنه إذا تعارَّ (أي تقلّب على فراشه) ذكر الله عزَّ وجلّ وكبَّرَ حتى يقوم لصلاة الفجر .

قال عبدُ الله : غير أنّي لم أسمعه يقولُ إلا خيراً . فلمّا مضت الليالي الثلاث وكدتُ أن احتقرَ عمله ، قلتُ : يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرةٌ ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات : يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة . فطلعتَ أنت الثلاث المرات ، فأردتُ أن آوي إليكَ فأنظر ما عملك ؟ فأقتدي بك . فلم أركَ عملتَ كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ماهو إلا ما رأيتَ ، غيرَ أني لا أجدُ في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك .

---

(١) أي تبعَ المشهود له بالجنة .

كفارة المجلس :

قال عبدُ الله بن عمرو رضي الله عنهما : كلماتٌ لا يتكلم بهنّ أحدٌ في مجلس حقٍّ ، أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات إلا كُفِّرَ بهن عنه ، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم الله له بهن كما يُختم بالخاتم على الصحيفة : سبحانك اللهم وبحمدك . نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

سماعُه صوت النّار :

سمع عبد الله ﷺ صوت النار ، فقيل له ، يابن عمرو ماهذا ؟ قال : والذي نفسي بيده إنها لتستجير من النار الكبرى أن تعادَ فيها . قال عبد الله ﷺ : وأنا (أستجير بالله تعالى من النار الكبرى) .

عقبى مجالس الذكر الجنة :

سأل عبد الله بن عمرو رسول الله ﷺ . فقال : يارسول الله ، ما غنيمةُ مجالس الذكر ؟ قال : غنيمةُ مجالس الذكر الجنة .

اللهمَ أمتي :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ تلا قولَ إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربِّ إنهنّ أضللنَ كثيراً من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيم ﴾[1] .

---

(١) سورة إبراهيم / ٣٦ / .

وقول عيسى عليه السلام : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فـإنك أنتَ العزيزُ الحكيم ﴾[1] ثم رفع يديه ثم قال : « اللهم أمتي ، اللهم أمتي ، اللهم أمتي » وبكى . فقال الله عزَّ وجلّ : اذهب يا جبريل إلى محمد ﷺ فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك .

اللهم أنت السلام :

صلّى رجلٌ إلى جنب عبد الله بـن عمـرو رضـي الله عنهمـا ، فسـمعه حـين سلم يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : كان رسولُ الله ﷺ يقول ذلك .

اللهم فاطرَ السموات والأرض :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمـا أنَّ رسـول الله ﷺ كـان يقول إذا أراد أن ينام : اللهمَّ فاطرَ السموات والأرض ، عالم الغيب والشَّـهادة ، ربَّ كلِّ شيء ، وإله كلّ شيء ، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ وحدك لا شريك لك، وأنّ محمداً عبدك ورسـولك ، والملائكـة يشـهدون ، اللهـمّ إنـي أعـوذ بـك مـن الشيطان وشركه أو أن أقترف[2] على نفسي سوءاً أو أجرّه إلى مسلم .

---

(١) المائدة / ١١٨ / .
(٢) أقترف : أكسب .

التعوذ من سوء المنام :

شكا خالدُ بنُ الوليد ﷺ إلى رسول الله ﷺ أهاويل يراهـا بـالليل ، حـالت بينه وبين صلاة الليل ، فعلمه رسول الله ﷺ هذا الدعاء ، فذهب ما كـان يجـد وهو : « أعوذ بكلماتِ الله التامة من غضبه وعقابه وشرّ عباده ، ومن همـزاتِ الشياطين وأن يحضُرون » .

فكان عبد الله بنُ عمرو رضي الله عنهما يلقّنها مَنْ عقل من ولده ، ومن لم يعقل كتبها في صك ثم علّقها في عنقه .

صلة الرحم :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنَّ لي ذوي أرحام أصل ويقطعوني ، وأعفـو ويظلمونـي ، وأحسنُ ويسيئوني ، أفأكافئهم ؟ قال : إذاً تشترِكون جميعاً ، ولكن خذ بالفضل وصلهم ، فإنه لن يزال معك ملكٌ ظهيرٌ من الله عزّ وجلّ ماكنت على ذلك .

بكاؤه من خشية الله وأهوال الموت والآخرة :

عن يعلى بن عطاء أنّ أمه كانت تصنع لعبد الله بن عمرو رضـي الله عنهمـا الكُحل ، وكان يكثرُ من البكاء ، ويغلقُ عليه بابه ويبكي حتى رمصت[1] عيناه.

---

(١) الرمص : البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان .

فضل الصلاة :

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : ما من مسلمٍ يأتي ربوة من الأرض أو مسجداً فصلى فيه إلا قالت الأرض : صلّى لله في أرضه ، وأشهد لك يوم تلقاه .

وقال أيضاً : خرجت في عنق آدم ـ عليه السلام ـ شأفةٌ[1] ـ يعني بثرة ـ فصلّى صلاةً فانحدرت إلى صدره ، ثم صلى صلاةً فانحدرت إلى الحقو[2] ، ثم صلى صلاة فانحدرت إلى الكعب ، ثم صلى صلاة فذهبت .

أداءُ الفريضة وانتظار الثانية في المسجد :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : صلّى رسول الله ﷺ المغرب، فرجع (بعد الصلاة إلى بيته) من رَجَعَ . وعقَّبَ (أي بقي في المسجد) من عقَّب . فخرج رسول الله ﷺ فقال : هذا ربُّكم فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة ، يقولُ : عبادي قضوا فريضة وهم ينتظرون الأخرى .

فضل مجلس العلم :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده ، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه ، والآخر يتعلّمون الفقه ويعلّمونه . فقال رسول الله ﷺ : كلا المجلسين على خير ، وأحدُهما أفضلُ من الآخر ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاءَ أعطاهم ، وإن شاء

---

(١) الشأفة : قرحة تَخرجُ فتقطع أو تكوى ، فتذهب .

(٢) الحقو : الخاصرة .

منعهم وأمّا هؤلاء فيتعلّمون ويعلّمون الجـاهل ، وإنّما بُعثتُ معلماً . ثم أقبلَ فجلس معهم .

عدالة الصدّيق رضي الله عنه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ أبا بكـر ﷺ قـام يـومَ جمعة ، فقال : إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم ، ولا يدخل علينا أحدٌ إلا بإذن[1] . فقالت امرأة لزوجها : خذ هـذا الخطـام[2] ، لعـلّ الله يرزقنا جملاً ، فأتى الرجلُ فوجدَ أبا بكر وعمر رضـي الله عنهما قـد دخـلا إلى الإبـل فدخل معهما . فالتفت أبو بكر ﷺ فقال : ما أدخلك علينا ؟ ثم أخـذ الخطـام منه فضربه (لدخوله بلا إذن مخالفاً نهي أبي بكر ﷺ) . فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال : استقد . فقال له عمر ﷺ : والله لا يستقيدُ ، لا تجعلها سُنّة . قال أبو بكر : فمن لي مـن الله يـوم القيامـة ؟ قـال عمر : أرضِهِ . فأمر أبو بكر غلامَه أن يأتيه براحلة ورحلها ، وقطيفةٍ (كسـاء) وخمسةِ دنانير فأرضاه بها .

جهاز عليّ وفاطمة رضي الله عنهما :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : لمّا جهّز رسول الله ﷺ فاطمةَ إلى عليّ رضي الله عنهما بعثَ معهـا بخميـل (أي كسـاء) ، ووسـادة مـن أدَم

---

(١) حتى لا يشغله عن عمله ، ولا يأخذ شيئاً من وقته .

(٢) الخطام : الزمام ، ما يوضع على أنف الجمل ليقاد به .

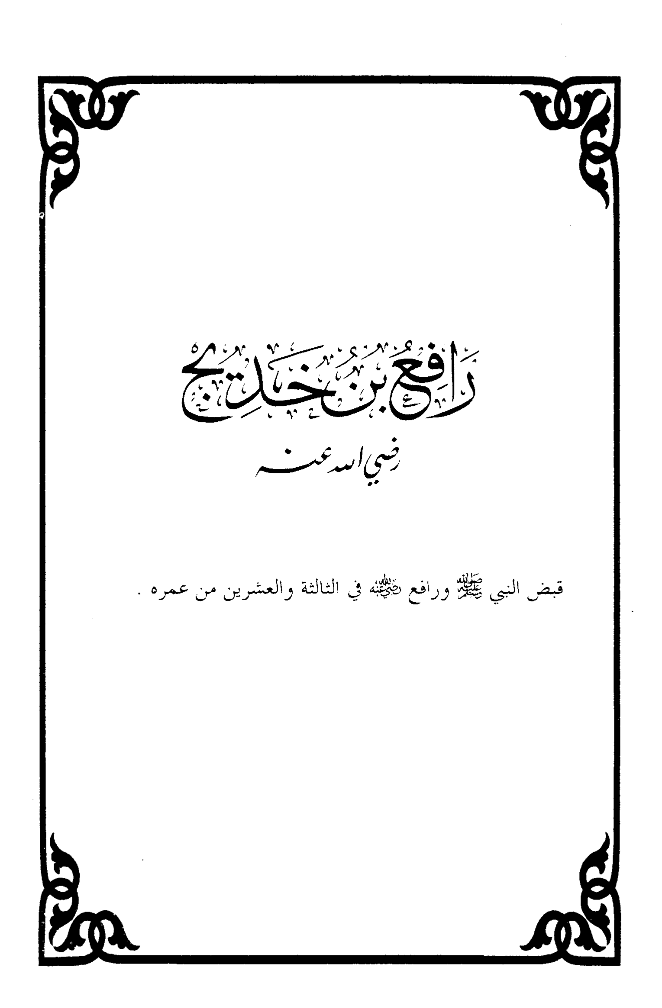
(أي من جلد) حشوها ليف ، وقربة ، وإذخر[1] . فكانا يفترشان الخميل ويلتحفان بنصفه .

وفاته :

مازال ابنُ عمرو رضي الله عنهما يُفتي ويحدّث ويعلّمُ الناسَ ، ويجاهد إن نادى المنادي .. حتى قضى نحبه عام / ٦٥ / هـ ، وكان قد كُفَّ بصره ﷺ .

---

(١) الإذخر : نبات رائحته طيبة .



رافع بن خديج

رضي الله عنه

قبض النبي ﷺ ورافع رضي الله عنه في الثالثة والعشرين من عمره .

اسمه ونسبه :

هو الصحابي الجليل أبو عبد الله رافعُ بن خديج الأنصاري الأوسي الحارثي، من أهل المدينة المنورة ، وأمُّه حليمة بنت عروة بن مسعود ، وُلد سنة ١٢ قبل الهجرة ، أي عَقِبَ البعثة النبوية بسنة ، و لم يشهد معركة بدر ، لأنه كان صغيراً وشهد أحداً ، وأصابه فيها سهم ، وكذلك شهد معركة الخندق وأكثر الحروب التي خاضها النبي ﷺ ضد المشركين .

كان رافع رضي الله عنه عريف قومه بالمدينة . وتوفي سنة ٧٤ هـ . ورافع رضي الله عنه من شيوخ مجاهد والشعبي وعطاء بن صهيب ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار .

تفصيل خبره يوم أحد :

رُمي رافع يوم أحد[١] بسهم في تُندُوَتِه[٢] ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، انزع لي السهم ، فقال له : يا رافع ، إنْ شئتَ نزعتُ السهمَ والقطبة[٣] جميعاً ، وإن شئت نزعت السهم وتركتُ القطبة وشهدتُ لك يوم القيامة أنك شهيد فقال : يارسول الله ، انزع السهم واترك القطبة واشهد لي يوم القيامة أني شهيد . فعاش وهي في جسده ، ثم انتقض جرحه في عصر معاوية رضي الله عنه ، وظلّ يعاني من النزف إلى أن مات زمن عبد الملك بن مروان .

---

(١) وقيل إن إصابته كانت يوم حنين أو يوم خيبر .

(٢) التندوة : ثدي الرجل .

(٣) القطبة : نصل السهم .

صاحب فقه ورواية :

كان رافع ﷺ أحد فقهاء الصحابة ومحدّثيهم ، وأهل الفتوى فيهم ، قال زياد بن ميناء : كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله ورافع بن خديج وسلمة بن الأكوع مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ﷺ يُفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفي عثمان ﷺ إلى أن توفوا .

حُظوتُه بعناية النبي ﷺ :

سَعِدَ رافعٌ ﷺ ، شأنه في ذلك شأن سائر الصحابة رضوان الله عليهم ، بعناية رسول الله ﷺ ، واهتمامه النبوي المبارك الذي شمل كل شؤونهم الدينية والدنيوية ، قال رافع بن خديج ﷺ : دخلتُ يوماً على النبي ﷺ وعندهم قِدْرٌ تفور لحماً ، فأعجبني شحمةٌ ، فأخذتُها فازدرتُها[1] ، فاشتكيتُ عنها[2] سنةً ، ثم ذكرتُه لرسول الله ﷺ فقال : إنه كان فيها نفس سبعة أناسيّ ، ثم مسحَ بطني فألقيتها خضراء ، فوالذي بعثه بالحق ما اشتكيتُ بطني حتى السَّاعة .

وكان النبي ﷺ يفيضُ على صحابته رضوان الله عليهم مما آتاه الله تعالى ، ويعمرهم ببرّه . قال رافع ﷺ : كنّا نصلّي العصر مع رسول الله ﷺ ، ثم

---

(١) ازدرد : ابتلع .

(٢) اشتكيت عنها : مرضتُ بسببها .

تُنحَرُ الجزور[1] ، فتُقسمُ عشر قِسم ، ثم تُطبخ ، فنأكل لحماً نضيجاً قبل مغيب الشمس .

أول وقت المغرب عند غروب الشمس :

قال رافع بن خديج ﷺ : كُنّا نُصَلّي المغربَ مع رسول الله ﷺ ، فينصرفُ أحدُنا وإنه ليبصر مواقعَ نَبلِهِ[2] .

نصيب عباس بن مرداس من العطاء :

حِكَمُ الأحكام أسرار ، وابتلاء من الحاكم واختبار ، فإذا تقبل المرءُ أوامر ربّه برضاء وتسليم ، نالَ الحظوة ، والفلاحَ ، وتفتحت له أسرار الحكم رويداً ، أمّا إن هو عاند واستكبرَ ، وناقش واغترّ ، واعترض أو امتعض ، خسر وخاب .

إن النبي ﷺ أعطى قوماً ثم أعطى عباس بن مرداس دونهم ، فطالب بنصيب أمثاله ، فأعطاه إياه رسول الله ﷺ والمرءُ يتساءل : ماذا على عباس لو رضي بما أُعطي ، وادخر تلك البقية إلى أُخراه ؟

عن رافع بن خديج ﷺ قال : أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بنَ حرب ، وصفوان بن أمية ، وعُيَيْنَةَ بن حِصن ، والأقراعَ بنَ حابسٍ ، كلَّ إنسانٍ منهم ، مائةً من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دونَ ذلك . فقال عباس بن مرداس :

---

(١) الجزور : الناقة .

(٢) وإنه ليبصر مواقع نبله : يبكر بها في أوّل وقتها بمجرّد غروب الشمس حتى ننصرف ويرمي أحدنا النبل على قوسه ، ويبصر موقعه ، لبقاء الضوء .

أتجعلُ نهبي ونهبَ العُبيد ... بين عيينةَ والأقرع[1]

فما كان بدرٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مرداسَ في المجمع[2]

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تخفض اليوم لا يُرفع

فأتم له رسولُ الله ﷺ مائة [أخرجه مسلم ، برقم ١٠٦٠] .

فضل المدينة :

لله سبحانه وتعالى خواص ، في الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، عن رافع بن خديج ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ إبراهيم حرّم مكة . وإنّي أحرّم مابين لابيتها »[3] أي مابين لابتي المدينة ، واللابة : هي الحَرَّة . والمدينة المنورة واقعة بين حرّتين شرقية وغربية . والحرة هي الأرض ذات الحجارة السود .

وخطب مروان بن الحكم يوماً فذكر مكّة وأهلها وحُرمتها ، ولم يذكر المدينة ، فناداه رافع بن خديج ﷺ ، فقال : ما لي أسمعُك ذكرتَ مكة وأهلها وحُرمتها ، ولم تذكر المدينة وأهلها وحُرمتها ، وقد حَرَّم رسول الله ﷺ مابين لابتيها ، وذلك عندنا في أديم خولاني[4] إن شئتَ أقرأ تُكَهُ . فسكت مروان ثم قال : قد سمعتُ بعض ذلك .

---

(١) نهب : غنيمة . العُبيد : اسم فرسه .

(٢) لم يصرف كلمة مرداس لضرورة الشعر .

(٣) فلا يقطع شجرها ولا يُصادُ صيدها .

(٤) يريد أن حديث تحريم المدينة محفوظ عندنا ، وهو مكتوبٌ في جلد مدبوغ منسوب إلى خولان ، وهي كورة في اليمن .

سخاء قيس بن سعد :

من أنبل الشمائل أن يتحلى المرء بالجود ، ويتّسم بالكرم ، ومن أفضل الشِّيم التي عُرفت لدى العرب من قديم خصلة الكرم ، وقد أقرّها الإسلامُ الحنيف ، ونمّاها ، وكان سيدنا محمد ﷺ أجود من الريح المرسلة .

لقد وجَّه النبي ﷺ سريّة إلى حيّ من جهينة وعلى رأس السرية قيس بن سعد ابن عبادة رضي الله عنهما ـ وهي سريّةُ الخبط[١] ـ فلما أصابهم الجوع والجهد والتعَّب نحر لهم قيس تسع ركائب[٢] ، قال رافع بن خديج ﷺ : فأقبل أبو عبيدة ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال لقيس بن سعد : عزمتُ عليك ألا تنحر . فلمّا نحر وبلغ النبي ﷺ قال : إنّه في بيت جود . وفي رواية أخرى : قال النبي ﷺ : إنّ الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت .

تقديم الأكبر للكلام :

أخرج البخاري عن رافع بن خديج ﷺ أنَّ عبد الله بن سهل ومحيِّصة بن مسعود رضي الله عنهم أتيا خيبر فتفرَّقا في النخل ، فقُتل عبد الله بن سهل . فجاء عبد الرحمن بن سهل وحُويِّصةُ بن مسعود ومحيصة بن مسعود إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم ، فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم فقال النبي ﷺ :

---

(١) سُميت بسريّة الخبط لأنهم جاعوا خلالها حتى أكلوا الخبط ، وهو الورق الساقط من الشجر . والخبط أيضاً موضع لجهينة على خمسة أيام من المدينة .
(٢) الركائب : النوق .

كبِّر الكُبر[1] (ليلي الكلامَ الأكبر) فتكلموا في أمر صاحبهم ، فقال النبي ﷺ : أتستحقون صاحبكم بأيمانِ خمسينَ منكم[2] ؟ قالوا : يارسول الله أمرٌ لم نرَهُ . قال فتبرئكم يهودُ في أيمان خمسين منكم . قالوا : يارسول الله ، قومٌ كفار ! فوداهم[3] رسول الله ﷺ من قبله .

موت ابن عباس :

يقبضُ الله عزَّ وجلّ العلم بإماتة العلماء . وهنالك تُنقصُ الأرض من أطرافها وكلّما ازداد العلماء الربانيون العاملون ، أولو الاستقامة ، في الأمة ، زاد خيرُها.

لقد مات ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال رافع بن خديج رضي الله عنه لما بلغه نبأ موته : ماتَ اليومَ من كان يحتاج إليه مَن بينَ المشرقِ والمغرب في العلم .

كفارة المجلس :

قالوا : ليس ثمّة شيءٌ أحقُّ بطول سجن من اللسان ، فما أكثر مايخوضُ فيه ! ولقد علّم النبي الكريم ﷺ أبناء أمته ـ كما روى رافع بن خديج رضي الله عنه ـ أن يختموا مجالسهم بهذه الكلمات : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي ، إنه

---

(١) كبِّر : أي قدِّم . الكُبر : جمع كبير .

(٢) هذه الأيمان هي أيمان القسامة . وهي أن يُقسم من أولياء الدم خمسون نفراً على استحقاقهم دم صاحبهم ، إذا وجدوه مقتولاً بين قوم ولم يُعرف قاتله . فإن لم يكونوا خمسين أقسم الموجودون خمسين يميناً . أو يُقسم بها المتّهمون على نفي القتل عنهم (أي على تبرئهم من جريمة القتل) .

(٣) وداهم : دفع الدية .

لا يغفرُ الذنوب إلا أنت » . قال رسول الله ﷺ : جاءني جبرائيل فقال : يا محمد هنّ كفارات المجلس .

وإنْ لم يكن في المجلس لغو ولا لغط ولا مأثمة كانت هذه الكلماتُ خاتمةَ خير له ، و « طابعاً[1] عليهن إلى يوم القيامة » كما قال رسول الله ﷺ .

دعاء النبي ﷺ عند رؤية الهلال :

كان النبي ﷺ يستهل كل أموره باسم الله ، والدعاء ، فإذا هلّ هلال جديد قال: «اللهم أهلَّه علينا باليمن والإيمان ، والسلامةِ والإسلام ، ربي وربك الله» أو كان يقول : « الله أكبر ، اللهمّ أهلّه علينا بالأمن والأمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحبُّ وترضى ، ربّنا وربك الله » .

وأخرج الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : « هلال خير ورشد » ثم قال : « اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر وخير القَدَرِ ، وأعوذ بك من شرّه » ثلاث مرات .

تحريم الرُّطب بالتمر إلا العرايا :

من خصائص الإسلام الوضوح ، فإذا غُـمَّ أمر احترست فيه الأحكام ، وحظرت كلّ ما من شأنه أن يؤديّ إلى فتنة ، أو يوقع بين المسلمين العداوة والبغضاء ، من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن المزابنة ، وهي أن يُباع ثمرُ النخل[2]

---

(١) طابع : خاتم .

(٢) ثمر النخل طازج رطب ، ويختلف عن التمر القديم .

بالتمر ، إلا العرايا ، والعَرِيَّةُ هي النخلةُ تُجعلُ لقومٍ فيبيعونها بخرصهـا تمـراً (أي بمقدار ما فيها إذا صار تمراً) . ويحدث ذلك مع أهـل الحاجـة الذيـن لانخـل لهـم يُدركون الرطب ، وهو أشهى من التمر ، ولا نقـد لديهـم يشـترون بـه الرطـب لعيالهم ، ويكون قد فضل (زاد) عندهم في مُؤنتهم تمر ، فيشترون به رطباً جَنياً وقد رُخص في بيع العرايا بـالتمر مـا لم يبلـغ إنتاجهـا خمسـة أوسـق . والوسـق : ستون صاعاً ، والصاع خمسة أرطال وثلث .

روى رافع بن خديج ﷺ أنّ رسول الله ﷺ نهى عن المزابنة : الثّمر بالتمر. إلاّ أصحابَ العرايا . فإنه قد أذن لهم [صحيح مسلم ، رقم : ١٥٤٠] .

النهي عن كراء الأرض :

عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يأجُرُ الأرض فنبتـىء حديثاً عـن رافع بن خديج ، فانطلقَ إليه ، فسأله ، فقال : كان رسـول الله ﷺ ينهـى عـن كراء المزارع ، فترك ابن عمر كراءها .

تحريم ثمن الكلب ، ومَهر البغي :

عن رافع بن خديج ﷺ قال : قـال رسـول الله ﷺ : « شَرُّ الكسـب مَهـرُ البغي ، وثمن الكلب ، وكسب الحجّام » .

ومهرُ البغيّ ما يعطى للزانية على الزنا ، وهو حرام بإجماع المسلمين .

جواز الذبح بكل ما أنهر الدم أي أساله ماعدا السنّ والظفر وسائر العظام :

عن عبايةَ بن رفاعةَ بن رافع بن خديـج ، عـن رافـع بـن خديـج قـال : قلـت يارسول الله ، إنا ملاقو العدوّ غداً ، وليست معنا مُدى . قـال ﷺ : أعجـل أو

أرْني[١] ما أنهرَ الدَّمَ[٢] ، وذُكر اسم الله فكُلْ . ليس السنّ والظفر[٣] . وسأحدثك . أمّا السن فعظمٌ ، وأما الظفر فمدى الحبشة .

قال رافع : وأصبنا نَهبَ[٤] إبل وغنم ، فندّ[٥] منها بعير ، فرماه رجل بسهم فحبسه . فقال رسول الله ﷺ : « إن هٰذه الإبل أوابد[٦] كأوابد الوحش . فإذا غلبكم منها شيء فاصنعوا به هكذا » .

لكل داء دواء :

عن عباية بن رفاعة قال : حدثني رافع بن خديج رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « الحُمّى من فور جهنم ، فأبردوها عنكم بالماء » .

تأبير النخل[٧] :

قال رافع بن خديج رضي الله عنه : قَدِم نبي الله ﷺ المدينة ، وهم يأبرون النخل ، فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : كنا نصنعه . قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه . فنقضت . أي أسقطت ثمرها . فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

---

(١) أرني : أزهق نفسها بكل ما أسال الدم غير السن والظفر وأرنِ : من رنوت النظر إلى الشيء إذا أدمته أي أدم الحَزّ ولا تفتر

(٢) أساله وصبَّه .

(٣) ليس السن والظفر : ماعدا السن والظفر .

(٤) النهب : المنهوب .

(٥) ندّ : نفر وشرد .

(٦) أوابد : نوافر فارّات .

(٧) تأبير النخل . تلقيحه بإدخال شيء من طلع الرجل في طلع الأنثى فتعلق (تلقح) بإذن الله .

إنما أنا بشرٌ إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به . وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر » .

وفي رواية عن عائشة ، وعن ثابت ، وعن أنس رضي الله عنهم قال النبي ﷺ : « أنتم أعلمُ بأمر دنياكم » .

ترجمة رافع بن خديج رضي الله عنه من كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّيّ (جمال الدين يوسف المزّيّ) باختصار :

رافع بن خديج بن رافع بن عديّ الأنصاري الحارثي ، أبو عبد الله ، المدنيّ ، صاحب رسول الله ﷺ ، شهد أحداً والخندق ، روى عن النبي ﷺ وعن عمَّيه ظُهير ، وآخر لم يُسمّ[1] .

روى عنه ابنُ عمّه أُسيد بن ظُهير ، وابنه رفاعة بن رافع بن خديج ، وسالم ابن عبد الله بن عمر ، والسَّائب بن يزيد ، وسعيد بن المسيّب ، وسليمان بن يسار ، وطاوس بن كيسان ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وابنه عبد الرحمن بن رافع بن خديج وعطاء بن أبي رباح ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، ومجاهد بن جبر ، ومحمّد بن سيرين ، ونافع .

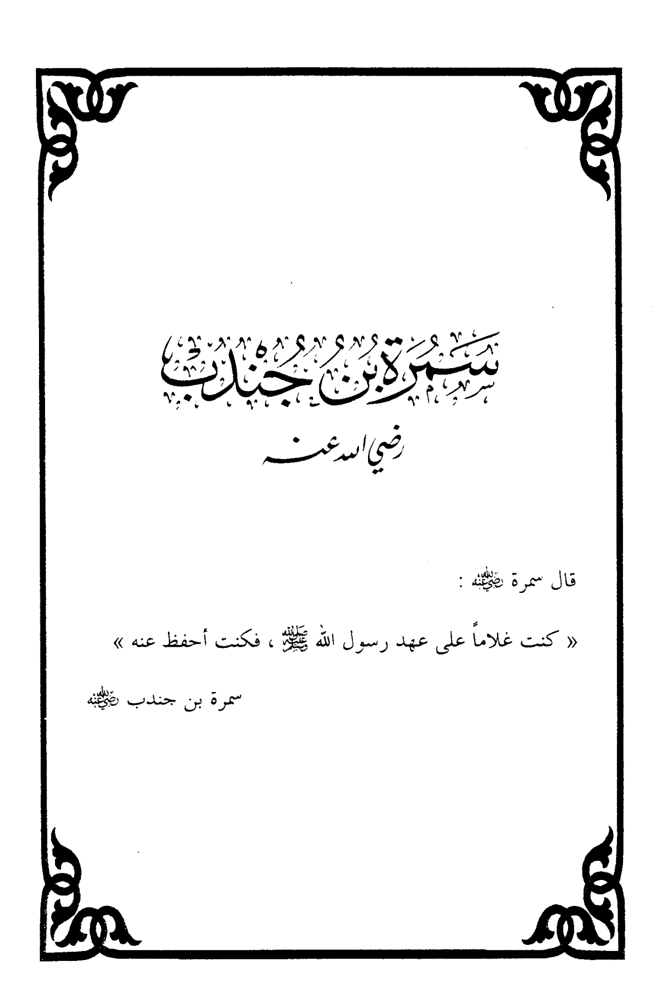
---

(١) هو مظهر بن رافع بن عدي .

.. وكان[1] رافع بن خديج أصابه يومَ أحدٍ سَهمٌ في ترقوته فقال له رسول الله ﷺ : « إن شئتَ نزعتَ السهم ، وتركت القطبة ، وشهدتُ لك يومَ القيامة أنك شهيد » فتركها رافع لقول رسول الله ﷺ ، وكان لا يحس منها شيئاً دهراً ومات بالمدينة . وحضر ابن عمر جنازته . روى له الجماعة .

---

(١) نقله عن تاريخ الطبري .



سمرة بن جندب

رضي الله عنه

قال سمرة رضي الله عنه :

« كنت غلاماً على عهد رسول الله ﷺ ، فكنت أحفظ عنه »

سمرة بن جندب رضي الله عنه

اسمه ونسبه ونشأته :

هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، كان يكنى أبا سليمان ، أو أبا عبد الله . وكان أبوه جندب قد ماتَ وسمرة صغير ، فقدمت به أمه المدينة المنوّرة ، فتقدم إلى خطبتها بعض الرجال ، فقالت إنها لا تتزوّجُ إلا برجل يكفل لها نفقة ابنها سمرة حتى يبلغ . فتزوّجها رجل من الأنصار على ما اشترطت ، ونزلت هي وابنها عنده في المدينة .

وكان رسول الله ﷺ يستعرض غلمان الأنصار في كلّ عام ، فمرَّ به غلامٌ فأجازه في البعث (الجهاد) ، وعُرض عليه سمرة من بعده ، فردّه ، ولم يأذن له بالجهاد ، فقال سمرة : يارسول الله لقد أجزتَ غلاماً ، وردَدْتني ، ولو صارعته لصرعته ، فقال رسول الله ﷺ : فصارعه . قال سمرة بن جندب رضي الله عنه : فصارعته فصرعته : فأجازني رسول الله ﷺ في البعث[1] .

بعض صفاته :

قال سمرةُ بن جندب : كنتُ غلاماً على عهد رسول الله ﷺ : فكنتُ أحفظ عنه . ويعد سمرة في أجلّةِ الصَّحابةِ رضوان الله عليهم ، ومن الشجعان القادة ، ونزل البصرة ، فكان زياد بن أبي سفيان يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ، ولّما مات زياد أقره معاوية عليها عاماً ثم عزله . وكان سمرة رضي الله عنه شديدَ التُّنكر على الحَرُورية (الخوارج) ، وكان إذا أُتيَ بواحد منهم إليه قتله ، ولم يُقلهُ .

---

(١) أي الغزو والجهاد .

ويقول : (الخوارج) شرّ قتلى تحت أديم السماء ، يكفّرون المسلمين ويسفكون الدماء . وكان الحرورية يطعنون عليه وينالون منه . وكان الحس البصري وابن سيرين وفريق من فضلاء البصرة يثنون عليه ـ بعد مماته ـ ويدافعون عنه . وكان سمرة ﷺ قد كتب رسالة إلى بنيه ، وشهد محمد بن سيرين أن فيها علماً كثيراً ، وقال ابن سيرين أيضاً : كان سمرة ـ ما علمت ـ عظيم الأمانة صدوقَ الحديث ، يحبّ الإسلام وأهله .

وكان سمرة ﷺ من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ .

وفاته :

أصابَ سمرةَ ﷺ كزاز شديد ، فكان يعالجه ببخار الماء ، فبينما كان يصنعُ ذلك مرّة ، وقد أوقد النار تحت قِدر مملوءة بالماء ، حتى غلا ماؤها ، إذا هو يسقط في القدر . فمات . وكان ذلك بحدود سنة ٥٩ هـ .

سكتتان حفظهما عن رسول الله ﷺ :

قال الحسن البصري :

تذاكر سمرةُ بن جندب وعمران بن حصين رضي الله عنهما فذكر سمرةُ أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين ، سكتة إذا كبَّر ، وسكتة إذا فرغ من قراءة (ولا الضالين) فأنكر عليه عمران بن حصين ، فكتبوا في ذلك إلى المدينة إلى أبيّ بن كعب ، فكان جوابه أن سمرة قد صدق وحفظ .

أين يقوم الإمام من الميّت للصلاة عليه :

قال سمرةُ ﷺ :

لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً ، فكنتُ أحفظ عنه . فما يمنعني من القول[1] إلا أن ههنا رجالاً هم أسن مني . وقد صليتُ وراء رسول الله ﷺ على امرأةٍ ماتت في نفاسها ، فقام عليها رسول الله ﷺ في الصلاة وسطها .

وقت دخول صلاة الصبح :

كان بلال ﷺ يؤذن في شهر رمضان المبارك أذان الإمساك ، ثم يؤذن بعده ابن أم مكتوم ﷺ أذان الفجر . وأذان الإمساك إذاً تمهيدي يهيء الأنفس أن تستعد للصوم ، وتُنهي ما كان لها من مُباحات الليل ، ومَن لم يكن قد استيقظ فإنه ينتبه بأذان الإمساك من رقاده ويسارع لينال بركة السُّحور .

ولئلا يلتبس أذان الفجر الذي لا يحلّ بعده الطعام ولا الشراب من أذان السحور والإمساك قال سمرةُ بن جندب ﷺ : سمعتُ النبي ﷺ يقول : لا يغُرَّنَّ أحدكم نداء بلالٍ من السُّحور ، ولا هذا البياض[2] حتى يستطير[3] هكذا .

---

(١) القول : التحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) هذا البياض : عمود الصبح .
(٣) يستطير : ينتشر ضوؤه .

كراهة التسمية ببعض الأسماء :

عن سمرة بن جندب ﷺ قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نسمي رقيقنا بأربعة أسماء : أفلحَ ، ورباح ، ويسار ، ونافع .

وقال سمرة : قال رسول الله ﷺ : لا تُسمِّ غلامك رباحاً ، ولا يساراً ، ولا أفلح ، ولا نافعاً .

أحبُّ الكلام إلى الله عزّ وجلّ :

الكلام فيه طيب ، وفيه خبيث ، منه ما يملأ الموازين القسط ، أو ما بين السماء والأرض ، ويصعدُ إلى الله سبحانه ، ورُبَّ كلمةٍ هوت بصاحبها سبعين خريفاً في النار . قال سمرةُ بن جندب ﷺ : قال رسول الله ﷺ : أحبُّ الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . لا يضرك بأيّهنّ بدأت .

ولا تسمّينَّ غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولا نجيحاً ولا أفلح ، فإنك تقولُ أَثَمَّ هو ؟ فلا يكون[1] »

قَعرُ جهنّم :

وُفِّقَ وهدي من سأل ربه الجنةَ ، واستعاذ به من النار . وقد جعل الله تعالى التعذيب في النار على درجات بحسب آثامهم ، إذ الآثامُ أنواع ودرجات . قال

(١) قد يُسمَّى غلامٌ يساراً من اليُسر أو الغنى ، ثم يكون معسراً أو فقيراً ، أثمّ هو ، أهنالك هو ، أهكذا هو .

سمرة بن جندب ﷺ : قال رسول الله ﷺ : منهم من تأخذه النَّار إلى كعبيه . ومنهم مَن تأخذه النار إلى ركبتيه . ومنهم مَنْ تأخذُه النار إلى حُجزته . ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته[1] (أو عنقه) .

البرَكة في الطَّعام :

آلاء الله عزَّ وجلّ كثيرة ، ونعمه لا تُحصى ، ومن أجلّها بركاتُه . قال سمرةُ ابنُ جندب ﷺ : بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أتي بقصعةٍ فيها ثريد ، فأكل ، وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظُّهر ، يأكلُ قومٌ ثم يقومون، ويجيء قومٌ فيتعاقبونها . فقال له رجل : هل كانت تُمَدُّ بطعام ؟ قال : أما من الأرض فلا ، إلا أن تكون كانت تمدُّ من السماء . وفي رواية : ما كانت تمدُّ إلا من ههنا ، وأشار إلى السماء .

الرجال ثلاثة والنساء ثلاث :

عن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال عمر ﷺ : الرجالُ ثلاثة والنساء ثلاث، فأما النساءُ فامرأة عفيفة مسلمة لينة ودود ولود ، تعين أهلها على الدهر ، ولا تعين الدهر على أهلها ، وقليلاً ما تجدها ، وامرأة وعاء لاتزيد على أن تلد الأولاد ، والثالثة غُلٌّ قَمِلٌ[2] يجعلها الله في عنق من يشاء ، فإذا شاء أن ينزعه نزعه . والرجال ثلاثة : رجل عفيف هيّن لين ذو رأي ومشورة ، فإذا نزل به

---

(١) التَّرقُوَة : العظم الذي بين ثُغرة النحر والعاتق .

(٢) هي المرأة السيئة الخلق ، الكثيرة المَهر والشر ، لا يجد منها بعلها مخلصاً .

أمر ائتمر رأيه[1] ، وصدّر الأمور مصادرها ، ورجل لا رأيَ له ، إذا نزل به أمرٌ أتى ذا الرأي والمشورة فنزل عند رأيه . ورجل حائر بائر[2] لا يأتي رشداً ، ولا يُطيع مُرشداً[3] .

كسوف الشمس ، وخبر الدّجّال :

ألقى سمرة بن جندب ﷺ في البصرة ذات يوم خطبةً ، عرض خلالها لحديث أو أكثر من حديث عن رسول الله ﷺ فذكر حديث كسوف الشمس ، وأنّه بعد أن سلّم حمد الله عزَّ وجلّ وأثنى عليه ، وشهد أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله ، ثم قال : يا أيُّها الناس أنشدكم الله إن كنتم أني قصَّرتُ عن شيء من تبليغ رسالات ربي عزّ وجلّ لما أخبرتموني ذاك ، فقام رجال فقالوا : نشهدُ أنك قد بلَّغتَ رسالات ربّك ، ونصحتَ لأمّتك ، وقضيتَ الذي عليك .

ثم قال :

أما بعد فإن رجالاً يزعمون أنّ كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر ، وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض ، وإنهم

---

(١) ائتمر رأيه : شاور نفسه .

(٢) بائر : هالك .

(٣) لا يأتي رشداً : لا يصنع أمراً فيه هداية . ولعمر رضوان الله عليه حِكَمٌ كثيرة رائعة ، منها قوله وهو يعظ رجلاً : لا يُلْهِك الناس عن نفسك ، فإن الأمر يصير إليك دونهم ، ولا تقطع النهار سارباً (السارب: الذاهب على وجهه في الأرض) ، فإنه محفوظ عليك ما عملت ، وإذا أسأت فأحسن ، فإني لا أرى شيئاً أشدّ طلباً ولا أسرع دركةً (لحاقاً) من حسنة حديثة لذنب قديم . وقال أيضاً : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وعليك بالصدق وإن قتلك ، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله .

كذبوا ، ولكنها آيات من آيات الله عزّ وجلّ ، يختبر بها عباده ، فينظر من يُحدِثُ له منهم توبة ، وإني والله لقد رأيتُ منذ قمتُ أصلّي ما أنتم لا قُوهُ من أمر دنياكم وآخرتكم ، وإنه والله لا تقومُ الساعة حتى يخرجَ ثلاثون كذاباً ، آخرهم الأعور الدجالُ ، ممسوح العين اليسرى .

فإنه متى يخرج فإنه يزعم أنه الله ، فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه صالحٌ من عمله سلف ، ومن كفر به وكذبه لم يُعاقب بشيء من عمله سلف ، وإنه سوف يظهر على الأرض كلّها إلا الحرم وبيت المقدس ، وإنه يحصُر المؤمنين في بيت المقدس فيزلزلون زلزالاً شديداً ، ثم يهلكه الله تبارك وتعالى حتى إنَّ جذم الحائط (أصل الحائط) لينادي : يا مؤمن هذا كافر تعال فاقتله .

ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً يتفاقمُ شأنها في أنفسكم وتسألون بينكم : هل كان نبيُّكم ﷺ ذكر لكم من هذا ذكراً ؟ وحتى تزول جبالٌ عن مراتبها .

ثم على أثر ذلك القبض[1] .

وفي رواية عن موقف الناس من الدجال : « فمن اعتصم بالله فقال : ربي الله حيٌّ لايموتُ ، فلا عذاب عليه ، ومن قال : أنت ربي ، فقد فتن .

---

(١) القبض : الموت العام وقيام الساعة .

إيجاب دخول النار لمن نسب إلى المصطفى ﷺ شيئاً وهو غير عالم بصحته :

من اعتقد أو ظنَّ في عدم صحة حديث كان ينبغي عليه أن يمسكَ عن روايته وإلا شارك أهل الدّس في وضعهم على لسان النبي ﷺ ما لم يَقُله . عن سمرة بن جندب ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ حدَّث حديثاً وهو يرى أنّه كذبٌ فهو أحد الكاذبين .

الرؤيا الصالحة :

عن سمرة بن جندب ﵁ قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الصُّبح أقبل علينا بوجهه فقال : هل رأى أحدٌ من رؤيا ؟ فيقصُّ عليه من شاء الله أن يقص ، وإنه قال لنا ذات غداة :

« إنه أتاني الليلة آتيانِ ، وإنهما ابتعثاني ، وإنهما قالا لي : انطلق . فانطلقتُ معهما ، حتى أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائمٌ عليه بصخرة ، وإذا هو يَهوي بالصخرة لرأسه ، فيَثْلغ[1] بها رأسه ، فَتَدَهْدِهُهُ[2] الصخرة هاهنا ، فيقوم إلى الحجر فيأخذه فما يرجع إليه حتى يَصِحّ رأسه كما كان ، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثلَ ما فعلَ في المرَّة الأولى . قلتُ : سبحانَ الله ، ما هذان[3] قالا لي : انطلق انطلق .

---

(١) يثلغ : يشدخ .
(٢) تدهدهه : تحركه من علو إلى أسفل .
(٣) هو عذاب الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة .

فانطلقتُ معهما فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه ، وإذا آخر عليه بكلُّوب[1] من حديد ، فإذا هو يأتي أحد شقّي وجهه ، فيشرشِرُ[2] شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحوَّل إلى الجانب الآخر ، فيفعل به مثل مافعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصحّ الجانب الأول كما كان ، ثم يعود فيفعل به مثل مافعل في المرّة الأولى . قلت : سبحان الله ! ما هذان[3] ؟ قالا انطلق انطلق .

فانطلقت معهما فأتينا على مثل بناء التنور ، فإذا فيه لغطٌ وأصوات ، فاطّلعنا فإذا فيه رجال ونساءٌ عراة ، وإذا بنهر لهيب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ تَضَوْضَوْا[4] . قلتُ : من هؤلاء[5] ؟ قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا على نهر أحمر مثل الدم ، وإذا في النهر رجلٌ يسبح ، وإذا عند شط النهر رجل قد جمع عنده حجارةً كثيرةً ، وإذا ذلك السابح يسبحُ ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الرجلَ الذي جمعَ الحجارة ، فيفغرُ[6] له فاه ، فيُلقمُه حجراً . قلتُ : ماهؤلاء[7] ؟ قالا لي انطلق انطلق .

---

(١) كلوب : حديدة معوجّة الرأس .
(٢) يشرشر : يشق .
(٣) هكذا عذاب الكذاب .
(٤) تضوضوا : استغاثوا وصحوا .
(٥) هم الزناة .
(٦) يفغر : يفتح .
(٧) هم أكلة الربا .

فانطلقنا ، فأتينا على رجل كريه المرآة[1] كأكره مـا أنـت راء رجـلاً مـرآه ، فإذا هو عند نار يحشّها[2] ويسعى حولها . قلتُ لهما : ماهذا[3] ؟ قالا لي انطلـق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على روضـة فيهـا مـن كُـلّ نـور الربيـع[4] ، وإذا بـين ظهـري الرَّوضة رَجلٌ قـائم طويـل لا أكـاد أرى رأسـه طـولاً في السَّماء ، وأرى حـول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قطُّ وأحسنه . قلت لهما : ماهؤلاء[5] ؟ قـالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا وأتينا على دوحة عظيمة لم أرَ دوحةً قـطُّ أعظـمَ منهـا ولا أحسـن ، قالا لي : ارقَ فيها . فارتقينا فيها ، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضـة فارتقينا إلى باب المدينة ، فاستفتحنا ، ففُتِحَ لنا ، فقلنـا : مامنهـا رجـال ، شـطرٌ من خلقهم كأحسن ماأنت راءٍ ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ ، قالا لهـم : اذهبـوا فقعوا في ذلك النهر ، فإذا نهرٌ معترِضٌ يجري كـأنَّ مـاءه المحـض[6] في البيـاض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا وقد ذهب ذلك السُّوءُ عنهم ، وصاروا في أحسن صورة . قالا لي : هذه جنّةُ عدن ، وهذاكَ منزلك . فسما بصري صعُـداً ، فإذا

---

(١) المرآة : المنظر .

(٢) يحشّها : يوقدها .

(٣) هو مالك عليه السلام

(٤) النور : الزّهرُ الأبيض .

(٥) إبراهيم عليه السلام والمولودون على الفطرة .

(٦) المحض : اللبن الخالص

قصرٌ مثل الرَّبابة[1] البيضاء . قلتُ لهما : بارك الله فيكما ، ذراني أدخُلـهُ . قـالا لي : أما الآن فلا ، وأنت داخله . قال : فإني رأيتُ منذُ الليلة عجبـاً ، فمـا هـذا الذي رأيته ؟ قالا لي : أما إنا سنخبرك .

أما الرجلُ الأول الذي أتيتَ عليـه يُثلـغُ رأسـه بـالحجر ، فإنـه الرجـل يـأخذ القرآن فيرفضه ، وينـام عـن الصـلاة المكتوبـة ، وأمـا الرجـل الـذي أتيـت عليـه يُشَرشرُ شدقُه إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفـاه ، فإنـه الرجـل يغـدو من بيته فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق .

وأما الرجال والنساء العُراةُ الذين في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني .

وأما الرجل الذي في النهر يلتقمُ الحجارة ، فإنه آكل الربا .

وأما الرجل الكريه المرآةِ الذي عند النار يحشُّها فإنه مالك خازن جهنم .

وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام .

وأما الولدان الذين حوله فكلُّ مولود وُلد على الفطرة .

وأما القومُ الذين شطرٌ منهم حسن وشطر منهم قبيح فهم قـوم خلطـوا عمـلاً صالحاً وآخر سيئاً فتجاوز الله عنهم[2] .

---

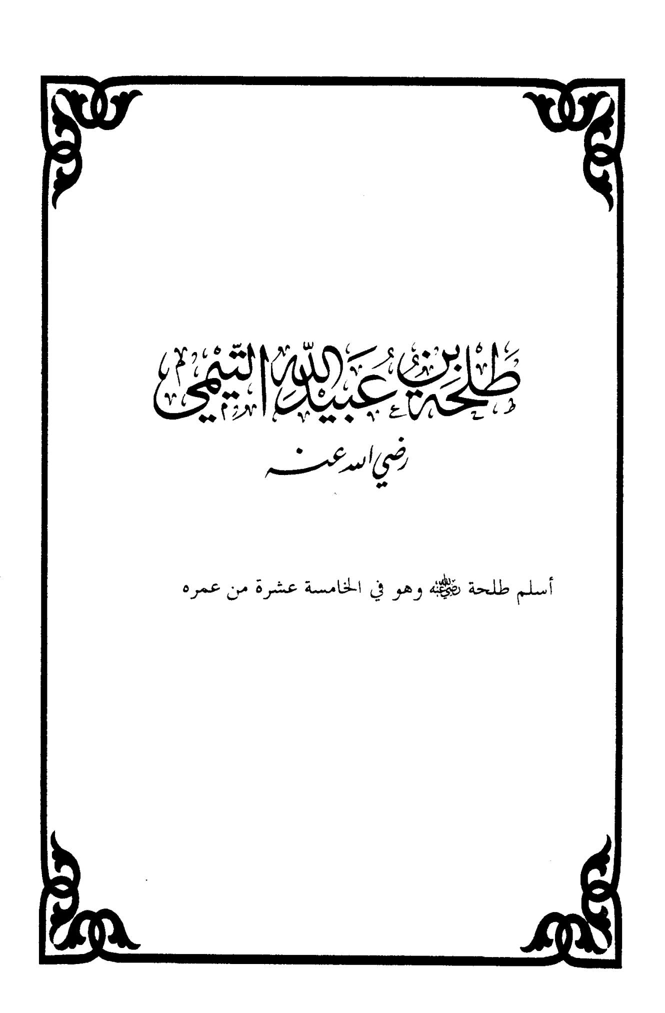
(١) الربابة : السحابة البيضاء .

(٢) أخرجه أحمد ٥ / ٨ و ١٤ والبخاري ، رقم : (٧٠٤٧) والترمذي ٢٢٩٥ والطبراني في الكبير ٦٩٨٤ وسنن البيهقي ٢ / ١٨٧ .

روايته :

روى سمرة ﷺ عن النبي ﷺ ، وعن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ .

وروى عنه الحسن البصري ، وعامر الشعبي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، والمهلّب بن أبي صفرة ، وأبو رجاء العطاردي ، وابناه سعد بن سمرة ، وسليمان ابن سمرة .


طلحة بن عبيد الله التيمي
رضي الله عنه
أسلم طلحة رضي الله عنه وهو في الخامسة عشرة من عمره

اسمه ونسبه :

هو طلحةُ بنُ عبيد الله بن عثمان التيميُّ القرشيُّ المدنيّ ، أبو محمد ، ابن عمّ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وصهره ، وأسلم على يده ، وهو أحدُ الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحدُ ستةٍ أوكَلَ إليهم عمر بن الخطاب ﷺ الشورى من بعده ، لتكون الخلافة في أحدهم ، لأنّ النبي ﷺ مات وهو عنهم راض .

وأمُّه الصَّعبةُ بنت الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي ، وهي يمنية ، تزوّجت إلى مكّة ، وأسلمت ، وهاجرت إلى المدينة المنورة .

خبر إسلامه :

كان طلحة في الجاهلية يعملُ في التجارة ، فبينما كان في قافلة لقريش بلغت بصرى الشام في حوران ، إذا به يسمع راهباً ينادي في الناس : يامعشر التجار ، سَلوا أهل هذا الموسم ، أفيهم أحدٌ من أهل الحرم ؟ قال طلحةُ : وكنتُ قريباً منه فبادرت إليه ، وقلت : نعم أنا من أهل الحرم فقال : هل ظهر فيكم أحمد ؟ فقلت : ومن أحمد ؟

فقال : ابنُ عبد الله بن عبد المطلب . هذا شهره الذي يظهرُ فيه ، وهو آخرُ الأنبياء ، يخرجُ من أرضكم من الحرم ، ويهاجرُ إلى أرض ذات حجارة سودٍ ، ونخيل وسباخ[1] ، ينزُّ منها الماء . فإياكَ أن تسبق إليه يافتى ؟ .

---

(١) السبخة : أرض فيها نزّ وملح

قال طلحة : فوقعت مقالته في قلبي ، فبادرتُ إلى مطاياي[1] فرحلتُها[2] ، وخلَّفت القافلة ورائي ، ومضيت أهوي هوياً إلى مكة . فلمّا بلغتُها قلتُ لأهلي: أكان من حدثٍ بعدنا في مكة ؟

قالوا : نعم : قام محمد بن عبد الله ، يزعم أنه نبي ، وقد تبعه ابن أبي قحافة[3]

قال طلحةُ : وكنتُ أعرفُ أبا بكر ، فقد كان رجلاً سهلاً محبَّباً موطَّأ الأكناف[4] . وكان تاجراً ذا خُلق واستقامة ، وكُنا نألفه ونحبُّ مجالسه ، لعلمه بأخبار قريش ، وحفظه لأنسابها . فمضيتُ إليه وقلتُ له : أحقاً ما يقال من أنَّ محمد بن عبد الله أظهر النبوة ، وأنّك اتبعته ؟

قال : نعم . وجعل يقصُّ عليَّ من خبره ، ويرغّبني في الدخول معه ، فأخبرته خبر الراهب ، فدهش له ، وقال : هلمَّ معي إلى محمد ﷺ لتقصَّ عليه خبرك .

فمضيتُ معه إلى محمد ﷺ فعرض عليَّ الإسلام ، وقرأ عليَّ شيئاً من القرآن، وبشَّرني بخيري الدنيا والآخرة . فشرح الله صدري للإسلام ، وقصصتُ عليه قصة راهب بصرى فسُرّ بها سروراً بدا على وجهه . ثم أعلنت بين يديه شهادةَ

---

(١) المطايا : الناقة .
(٢) رحلتها : وضعتُ عليها رحالها استعداداً للسفر .
(٣) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
(٤) موطأ الأكناف : ليّن الجانب .

أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فكنت رابع ثلاثة أسلموا على يـد أبـي بكر رضي الله عنه . وكان طلحة رضي الله عنه لمّا أسلم في الخامسة عشرة من عمره .

إيذاؤه من أجل دينه :

حاولت أمُّه وقومه أن يثنوه في البداية عن دين الله ، فأبى ، فآذوه ، وأوثقـوه مرّة ، وانهالوا عليه ضرباً ، على مرأىً من عيني أمّه ، ولم تشفع له ، بـل كـانت تلومُه وتذمّه .

وعدا عليه مرَّةً أخرى نوفلُ بن خويلد[1] ، فأوثقه في حبل ، وأوثـق معـه أبـا بكر رضي الله عنهما ، وقرنهما معاً ، وأسلمهما إلى سـفهاء مكـة ، ليذيقوهمـا أشدّ العذاب . ومن أجل هذه الحادثة كان يُطلق علـى أبـي بكـر وطلحـة رضـي الله عنهما لقب القرينين .

صفاته :

كان طلحةُ رضوان الله عليه مـن دهـاة قريـش وعلمائهـا وفصحائهـا ، ثريـاً سخياً ، شجاعاً مقداماً ، وكان أبيض اللون حسن الوجـه يضـربُ إلى الحُمـرة ، مربوعاً إلى القصر ، أقـرب[2] رحـب الصَّـدر ، بعيـد مـا بـين المنكبـين ، ضخـم

(١) هو أخو خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

(٢) أقرب : ممتلئ الخاصرتين

القدمين ، إذا التفت التفت جميعاً ، وكـان آدمَ اللـون[1] ، دقيـق العينـين ، كثـير الشعر ، لا يصبغ .

وقد روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهمـا ، وروي عنـه الحديث أولاده يحيى وموسى وعيسى وإسحاق وعمران ، وقيس بن أبي حازم ، وجابر بن عبد الله والأحنف بن قيس رضي الله عنهم .

زوجاته :

تزوّج طلحة رضي الله عنه خلال حياته عـدّة نسـاء منهـم سـعدى بنـت عـوف ، وأم كلثوم بنت أبي بكر ، أخـت عائشـة ، وحِمنـة بنـت جحـش ، أخـت زينـت ، والفارعة بنت أبي سفيان ، أخت أم حبيبـة ، ورقيَّـة بنـت أبـي أميّـة ، أخـت أمّ سلمة رضوان الله عليهن .

مؤاخاته :

آخى النبي ﷺ بين أصحابه في مكة المكرمة قبل الهجـرة ، فـآخى بـين طلحـة والزبير ، رضي الله عنهما ، وفي المدينة المنورة آخى بين طلحة وكعب بن مـالك رضي الله عنهما ، وكان طلحة رضي الله عنه أوّلَ مَنْ زف إلى كعب بن مالك رضي الله عنه نبـأ توبة الله عليه بعدما تخلّف عن تبوك وقوطع خمسين يوماً .

(١) آدم : أسمر .

ثراؤه ، وسخاؤه :

كان لطلحة ﷺ تجارة واسعة مع العراق ، وكانت تجارته تدرّ عليه ـ إضافة إلى الأنفال ـ أرباحاً طائلة ، ولم يكن يمسكُ ماله عن محتاج ، ولا سيما إن كان من أقربيه ، فهو لم يدع في بني تيم مُملقاً[1] إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ، ووفّى دينه .

وقال قبيصة بن جابر : صحبتُ طلحةَ فما رأيتُ رجلاً أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألةٍ منه .

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال : ابتاع طلحة بن عبيد الله ﷺ بئراً بناحية الجبل وأطعم الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنك ياطلحة ! الفياض .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : باع طلحةُ ﷺ أرضاً له بسبعمئة ألف ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرِقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرّقه .

وعن سعدى بنت عوف امرأة طلحة رضي الله عنهما قالت : دخل عليَّ طلحةُ فوجدتهُ مغموماً فقلتُ : مالي أراك كالحَ الوجه[2] ، أرابك من أمرنا شيء فنعتبك[3] ؟ قال : لا والله ، ما رابني من أمرك شيء ، ولنعم حليلةُ[4] المرء

---

(١) المملق : الفقير .
(٢) كالح : عابس .
(٣) نعتبك : نرضيك .
(٤) الحليلة : الزوجة .

المسلم أنتِ ، ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به . قالت : فابعث إلى أهلك وقومك فاقسم فيهم ، قالت : ففعل . فسألت الخازن كم قسم ، قال : أربعمئة ألف ، وكانت غلّته كل يوم ألفَ وافٍ[1] .

ويروى أنّ رجلاً جاء إلى طلحة بن عبيد الله يطلب رفده[2] ، وذكر له رحماً تربطه به ، فقال طلحة : هذه رحمٌ ماذكرها لي أحد من قبل ، وإنَّ لي أرضاً دفع لي فيها عثمان بن عفان ثلاثمئة ألف .فإن شئت فخذها ، وإن شئت بعتها لك منه بثلاثمئة ألف ، وأعطيتُك الثمن . فقال الرجل : بل آخذ ثمنها . فأعطاه إياه .

ومن أجل سخائه حظي بهذه الحلل الرائعة من الألقاب ، فقيل : طلحة الفياض ، وطلحة الجواد ، وطلحة الخير .

وقُتل طلحةُ ﷺ وفي يد خازنه ألف ألف درهم ، ومئتا ألف دينار . وقوّم عقاره وأصوله ثلاثين مليون درهم .

شجاعته :

كان طلحة ﷺ يتّسم بالشجاعة والإقدام ، وقوّة البدن ، وكان بحدود الثلاثين من عمره عندما قامت معركة بدر ، ولكنّه لم يشترك فيها ، لأن النبي ﷺ كان قد ندبه في مهمة استطلاعية على طريق الشّام ، وكان معه في تلك

---

(١) الوافي : الدينار .

(٢) الرفد : العطاء .

المهمة سعيد بن زيد ، فلما رجعا كانت المعركة قد وضعت أوزارها ، وانتصر المسلمون ، فضربَ النبي ﷺ لهما بسهميهما من الغنائم ، وبشّرهما بمثوبةٍ من عند الله .

في يوم أحد :

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذُكر يومُ أحدٍ يقول : ذلك يومٌ كان كلُّه لطلحة . ذلك أن المسلمين لمّا أصابهم ما أصابهم يومَ أُحدٍ ، وجعلوا يُصعدون ولا يلوون على أحدٍ ، أحاطت ثلّةٌ مؤمنة بالنبي ﷺ وعقدوا العزم على ألا يُسلموه للكافرين مهما لقوا ، وبايعوا النبي ﷺ على الموت ، وباعوا أنفسهم لله ، ومن هؤلاء المبايعين أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد وسهل بن حنيف وأبو دجانة ، وجماعة من الأنصار .

وكانت تلك العُصبة المؤمنة تتناقص بالاستشهاد واحداً واحداً من جَرَّاء ضربات العدو ورميه ، وقد أقبلت جماعة من المشركين متّجهة إلى النبي ﷺ تريد قتله ، فقال عليه الصلاة والسلام : مَن يردّ عنا هؤلاء وهو رفيقي في الجنّة ؟ فقال طلحة : أنا يارسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : لا ، مكانك[1] ، فقال رجل من الأنصار : أنا يارسول الله . فقال : نعم . أنت . فقاتل الأنصاري حتى قتل ، ثم قاتل غيره حتى قُتل .

---

(١) مكانك : أي الزم مكانك .

وكان النبي قد كُسرت رباعيته ، وشُج جبينه ، وجُرحت يده ، وسال الدم على وجهه الشريف ، وأصابه الإعياء ، فجعل طلحة ﷺ يكرُّ على المشركين ليدفعهم عن رسول الله ﷺ ، فما زال كذلك حتى أصابه بضعٌ وسبعون ضربةً بسيف أو طعنةً برمح أو رمية بسهم . فقال رسول الله ﷺ : من سَرَّه أن ينظر إلى رجلٍ يمشي على وجه الأرض قد قضى نحبه ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله.

وقال قيس بن أبي حازم : رأيت يد طلحة شلاّء ، وقى بها رسول الله ﷺ في يوم أحد .

وأراد النبي ﷺ أن يصعد ـ بعد أن جرح ـ صخرة ، فلم يستطع ، فسخَّر طلح له جسدَه ، فوطئ عليه ، وارتقى عليها ، وقال ﷺ : أوجبَ طلحة .

شعر لطلحة يوم أحد ، وشعر قيل فيه :

أخرج ابن عساكر عن طلحة ﷺ قال : لَّما كان يومُ أحدٍ ارتجزتُ بهذا الشعر :

نحنُ حماةُ غالبٍ ومالك	نذبُّ عن رسولنا المبارك[1]
نضرب عنه القوم في المعارك	ضَربَ صفاح الكوم في المبارك[2]

(١) نذبّ : ندافع .
(٢) صفاح : جمع صفحة وهي جانب العنق ، الكوم : النوق . المبرك : الموضع الذي تربّى فيه النوق .

وما انصرف رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ حتى قال لحسان رضي الله عنه : قُل في طلحة .
فقال :

وطلحةُ يومَ الشِّعب آسى محمداً ... على ساعةٍ ضاقت عليه وشَقّتِ[1]
يقيه بكفَّيهِ الرِّماح وأسلمت ... أشاجعُه تحت السيوف فشلَّتِ[2]
وكان أمامَ الناس إلا محمداً ... أقامَ رحى الإسلام حتى استقلَّتِ

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

حمى نبيَّ الهدى والخيلُ تتبعه ... حتى إذا ما لقوا حامي عن الدين
صبراً على الطَّعن إذ ولَّت حماتُهمُ ... والناس من بين مهديّ ومفتون
ياطلحة بن عبيد الله قد وجبت ... لكَ الجنانُ وزُوِّجتَ المها العين[3]

وقال عمر رضي الله عنه :

حمى نبيَّ الهدى بالسيف منصلتاً ... لَمّا تولّى جميعُ الناس وانكشفوا

فقال النبي ﷺ : صدقتَ ياعمر .

---

(١) الشعب : الطريق في الجبل . يريد يوم أحد . آسى : واسى .
(٢) الأشاجع : عروق الأصابع .
(٥) العيناء : الواسعة العين

وقد بشره النبي ﷺ - كما بشر أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، وسعد ابن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، والزبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبا عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنهم - بالجنة

روايته عن رسول الله ﷺ :

حملتْ كتبُ الحديث النبوي الشريف جُملةً طيبة من أحاديث رسول الله ﷺ ، روى الشيخان البخاري ومسلمٌ منها ٣٨ حديثاً .

ورعه :

أخرج الطبراني عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنّه صلى بقوم فلمّا انصرف قال : إني نسيتُ أن أستأمركم قبل أن أتقدّم ، أرضيتم بصلاتي ؟ قالوا : نعم . ومن يكرهُ ذلك يا حواريَّ[1] رسول الله ﷺ ؟

قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أيُّما رجلٍ أمَّ قوماً وهم له كارهون لم تجز[2] صلاتُه أُذنيه » .

دفاعه عن أبي هريرة رضي الله عنه :

عن أبي أنس مالك بن عامر الأصبحي قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، فدخل عليه رجل (متخرّص متحامل على أبي هريرة رضي الله عنه) فقال لطلحة رضي الله عنه : يا أبا محمد والله ماندري هذا اليماني — يعني أبا هريرة رضي الله عنه — أعلمُ

---

(١) الحواري : الناصر

(٢) لم تجز : لم تتجاوز .

برسول الله ﷺ أم أنتم ؟ تقوّل[1] على رسول الله ﷺ مالم يقل . فقال طلحة : والله ما نشكُّ أنه سمع من رسول الله ﷺ مالم نسمع ، وعلمَ مـالم نعلـم ، وإنّـا كنا قوماً أغنياء لنا بيوتٌ وأهلون ، كنّا نأتي نبيَّ الله ﷺ طرفي النهار ثمّ نرجع ، وكان أبو هريرة مسكيناً لامال له ولا أهلَ ولا ولد ، إنما كانت يده مع يد النـبي ﷺ ، وكان يدور معه حيثما دار ، ولا نشكُّ أنّه قد علم مـالم نعلـم وسمـع مـالم نسمع ، ولم يتهمه أحد منّا أنه تقوّل على رسول الله ﷺ مالم يقل .

ويلاحـظ أن طلحـة ﷺ قـد أتـى بـردّ هـادئ مُقنـع ، وفيـه حجـة دامغـة ، ودحض سديد لأقوال المتخرّص المفتري على أبي هريرة ﷺ ، ولم يطش جواب طلحة ﷺ ، ولم يشتم ولم يلعن .. ولم يأسره الغضب ، ولم يحِدْ في جوابـه عـن هَدْي النبوَّة الراشدة .

محاسبة النفس :

عن طلحة ﷺ قال :

انطلق رجلٌ ذات يوم ، فنزع ثيابه ، وتمرَّغ في الرَّمضاء[2] وهو يقول لنفسه : ذوقي نار جهنم ، أجيفة[3] بالليل وبَطّالة[4] بالنهار ؟

---

(١) تقوّل : افترى .
(٢) تمرّغ : تقلّب . الرمضاء : الأرض التي حميت من حرّ الشمس .
(٣) الجيفة : الجثة المنتنة .
(٤) أي تقترف الباطل . يحاسب نفسه .

فبينا هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال : غلبتني نفسي . فقال له ﷺ : أما لقد فُتحت لك أبواب السماء ، ولقد باهى بك الملائكة . ثم قال النبي ﷺ لأصحابه : « تزوّدوا من أخيكم » . فجعل الرجل منهم يقول : يا فلان ادعُ لي . فقال له النبي ﷺ : « عُمَّهم » فقال :

اللهم اجعل التقوى زادهم ، واجمع على الهدى أمرهم . فجعل النبي ﷺ يقول : اللهم سدّده . فقال : واجعل الجنّ مآبهم .

خاتمة المطاف :

ابتلي المسلمون بفتنة كبيرة من جَراءِ عُدوان طائفة من الناس على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وقَتلهم له ، فلمّا تسلّم الخلافة الإمام علي كرّم الله وجهه طالبه كلٌّ من عائشة وطلحة والزبير وجمهور من الصحابة رضوان الله عليهم أن ينتقم من قتلة عثمان ﷺ ، وأن يقيم حدّ القتل عليهم ، فأبى ، قمعاً للفتنة ، فتوجه جمهور غفير من هؤلاء الصحابة إلى الكوفة ، وأعملوا السيف في رقاب من اشترك في اغتيال عثمان ﷺ .

ولحق عليّ كرم الله وجهه بهم ، في العراق ، ومازال كلّ فريق منهم يذبّ عن رأيه أو موقفه السياسي ، حتى قامت بين الطرفين معركة الجمل .

وماكان أصعب أن يلتقي إخوة أظلتهم من قبل مدرسة واحدة نهلوا من معينها العذب الفياض ، وكم كان يندب النبي ﷺ علياً وطلحة والزبير معاً لمهمات جهادية فأدّوها بتوفيق ونجاح !

صار كلّ منهم يتذكر تلك الأيام الخـالي ، واستدعى علـيٌّ كـرم الله وجهـه الزبير ، واستعرضا شيئاً من الماضي التليد ، الوضّاء ، فانقلب الزبير ﷺ ، وتـرك القتال ، وعزم أن يعودَ إلى الحجاز ، وبينما كان يصلّي ـ خلال الطريق ـ باغتـه ابن جرموز وقتله .

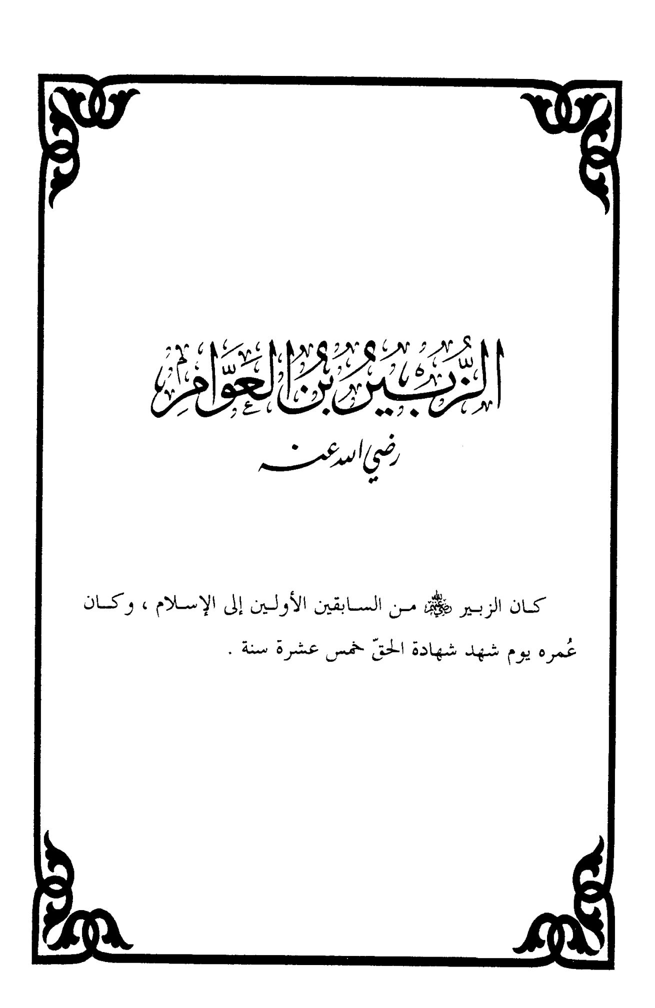
وعلى هذه الشاكلة دعا علـيٌّ طلحـة رضـي الله عنهمـا وذكـرّه بأشـياء مـن سوابقه وفضله ، فرجع طلحة عن القتال ، واعـتزل في بعـض الصفـوف ، فرُمـي بسهم في رجله ، فقطع عرق النسا ، فلم يزل دمه ينزف حتى مـات ، فدفـن في البصرة ، وكان ذلك سنة ٣٦ هـ . وكان بحدود الرابعة والستين من عمره .

قال الشعبي : رأى عليُّ بنُ أبي طـالب طلحـة بـن عبيـد الله ملقـى في بعـض الأودية ، فنزل فمسح التراب عن وجهه . ثم قال : عزيزٌ عليَّ أبا محمـد أن أراك مجدّلاً في الأدوية وتحت نجوم السماء . ثمّ قال : إلى الله أشكو عُجري وبُجري .

قال الأصمعيُّ : عجري وبُجري : سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي .

وقال أبو حبيبة مولى طلحة ﷺ : دخلتُ على علـيّ مـع عمـران بـن طلحـة بعدما فرغ من أصحاب الجمـل ، فرحّـب بـه وأدنـاه ، وقـال : إنـي لأرجـو أن يجعلني الله وأباكَ من الذين قال الله : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم مِن غِـلٍّ إخوانـاً على سُرر متقابلين ﴾[1]

(١) سورة الحجر ، الآية ١٥



الزبير بن العوام

رضي الله عنه

كان الزبير ﷺ من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان عُمره يوم شهد شهادة الحقّ خمس عشرة سنة .

اسمه ونسبه :

هو أبو عبدِ الله الزبيرُ بنُ العوّام بن خويلد الأسدي القرشي ، وأمّه صفيةُ بنتُ عبد المطّلب عمّة النبيّ ﷺ ، فهو ابنُ عمةِ النبيّ ﷺ ، وهو ابن أخي خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، وهو زوج أسماء بنت أبي بكر ، أخت عائشة ، رضي الله عنهم أجمعين .

مولده ونشأته :

وُلِدَ الزبير ﷺ سنة ٢٨ قبل الهجرة ، في مكّةَ المكرّمة ، وكانت أمُّه صفيّة بنتُ عبد المطّلب شديدةَ الحِرص على أن ينشأ على الفروسية ، وأن يكون بطلاً شجاعاً لا يهاب من الناس أحداً ، فكانت توصيه بألا يضعُفَ أمام خصم ، وازداد حِرصُها على هذه الخصلة وتنميتها فيه ، بعد أنْ ترمَّلت بموت زوجها العوَّام ، وقد كفل الزبيرَ عمُّه نَوفلُ بن خويلد ، فكان يعاتبُ صفيّةَ على قسوتها ويقول لها : « ما هكذا يضرب الولد ، إنكِ لتضربينه ضَرْبَ مُبغضة » فقالتْ :

مـن قـال إنّـي أُبْغِضُـهُ فقـد كـذبْ
وإنّمـا أضربـهُ لكـي يَلِـبّ[1]
ويهـزمَ الجيـشَ ويـأتي بالسَّـلَبْ

فكانت إذا غلب خصماً له فرحتْ .

---

(١) ليصير ذا عقل لبيباً .

بعض صفاته :

بَدهيّ أن تكون البطولةُ من أبرز سمات الزبير ﷺ ، وقد سخّرها منذ أسلم في سبيل الله ، حتى بُشّرَ فيمَنْ بُشِّروا بالجنّة ، وانتدبه عمرُ ﷺ ليكون أحدَ ستة ينتخب المسلمون أحدهم للخلافة من بعده ، وهو أوّل من سَلَّ سيفاً في الإسلام وقد هاجر مرّتين ، الأولى إلى الحبشة ، والأخرى إلى المدينة المنوّرة .

وقد آخى النبي ﷺ في مكّة بينه وبين طلحة بن عبيد الله[1] ، وفي المدينة المنورة آخى بينه وبين سلمة بن سلامة .

وكان الزبير ﷺ شديد الحرص على نُصْرة النبي ﷺ وقد حضر المشاهد كلّها ولم يتخلّفْ عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

وكان طويل القامة ، معتدل اللحم ، أسمر اللون ، خفيف اللحية ، كثير الشعر .

ثراؤه :

كان الزبير ﷺ تاجراً مجدوداً (محظوظاً) موفّقاً مَيسوراً ، وكانت تجارته واسعة كثيرة ، حتى كان له ألف مملوك يؤدّون إليه الخراج ، فلا يُدْخلُ بيته منها درهماً واحداً ، بل يتصدّق به كلّه ، ومع ذلك بيعت أملاكه التي خلّفها من بعده بأربعين مليون درهم ، وقد أوصى إليه عثمان والمقداد وابن مسعود وابن

---

(١) وقيل : آخى النبي ﷺ في مكّة بينه وبين عبد الله بن مسعود .

عوف ومطيع بن الأسود وأبو العاص بن الربيع ، لينفق تركاتِهم منْ بعدهم على أبنائهم ، فكان يحافظ لهم على أموالهم ، وينفقُ على أولادهم من ماله .

وسُئل الزبير ﷺ يوماً : بمَ أدركتَ في التجارة ما أدركتَ ؟ قال : لأنني لم أشترِ عيناً ، ولم أردْ ربحاً . والله يبارك لمن يشاء .

وكان للزبير ﷺ من الولدان عشرة عبد الله وعروة ومصعبُ والمنذرُ وعمرو عبيدة وجعفر وعامر وعمير وحمزة ، وقد سمّاهم بأسماء صحابة مشهورين .

مهنته :

كان العوّام ، والد الزبير ﷺ ، تجاراً ، أما الزبيرُ فقد احترف الجِزارةَ ، وافتتح دكاناً للقِصابة .

إسلامه :

كان أبو بكر الصديق ﷺ أوّل مَن أجاب داعي الحق من الرجال ، وقد أهاب منذ أسلم بأصحابه الأدنَيْنَ أن يؤمنوا ، ويذعنوا للإسلام ، وممّن عَرض عليهم دعوة الإسلام الزبير ، وما إنْ بسط له القول في بعض مزايا الدين الحنيف حتى ارتاح وآمنت نفسه ، واستجاب قلبُه ، وتواعدا أن يتوجّها إلى النبي ﷺ ، ابن خال الزبير ، وزوج عمّته خديجة رضوان الله عليهم وهنالك أعلن إسلامه .

إيذاؤه :

علم نوفل بن خويلد ، عمُّ الزبير ، بإسلامه ، فأقبل عليه يلاطفه ، ويحاول أن يردّه عن الدين الخاتَم ، فلم يُجبْهُ الزبير ، بل ازداد تمسُّكاً بإيمانه ، عندئذ أوثقه عمّه ، ثم لفّه في حصير ، وسخر عليه الدخان ، ومنع عنه الطعام والشراب ،

وأمعن في إيذائه والتضيق عليه ... كلُّ ذلك والزبير صابر ، معتصمٌ بالعُروة الوثقى ، مسلِّمٌ أمره إلى الله .

الهجرة إلى الحبشة :

لَمّا اشتدّ أذى المشركين في مكّة للمسلمين ، وساموهم سوءَ العذاب ، ونكّلوا بهم ، نَدبَ النبي ﷺ المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة ، حيث الملك العادلُ النجاشيّ .

وكان الزبيرُ ﷺ من هؤلاء الذين هاجروا إلى الحبشة . وقد أحسنَ النجاشي مثواهم ، ومنحهم حريّة التعبّد ، ولكن النجاشيّ نفسَه اختلف مع بعض الأحباش ، وتصاعد الخلاف إلى حدّ المصادمة المسلّحة .

ومن البّدهيّ أنّ المسلمين كانت تهمّهم نتيجة ذلك التّصادم ، إذ لا يأمنون إذا انتصر أعداء النجاشيّ أن يضطهدوهم أو يخرجوهم من ديارهم ، فكانوا يدعون الله عز وجلّ أن ينصُر النجاشي .

وفي إحدى الليالي جرت بين النجاشي وخصومه معركةٌ فاصلةٌ ، وشُغل المسلمون بنتيجتها ، فتطوّع الزبيرُ ﷺ ليأتي بالخبر اليقين ، وكان بين المسلمين والفريقين المتحاربين نهر ، فاعتلى الزبير قِرْبة منفوخة بالهواء ، وجازَ النيل إلى العُدْوة الأخرى ، ومكث يرقب المعركة من كثب ، وهو مستخفٍ ، حتى إذا ما انبلج النصر لمصلحة الحبشي قفل راجعاً إلى المسلمين يبشّرهم بانتصار صاحبهم ، ويُشْعرُهم بأسباب الأمان .

العودة إلى مكّة :

رجع الزبير ﷺ إلى مكّة المكّرمة ، واستأنف العمل في دكّانه ، وأرْجَفَ بعض القوم ذات يوم أن رسول الله ﷺ قُتِل ، فسارع الزبير منتضياً سيفه حتى وصل إلى النبي ﷺ ، فتبين أنّ إرجافهم لا يقوم على شيء صحيح ، ورآه النبي ﷺ في قلقه عليه ، فسأله عن دوافع ذلك فأخبره ، فدعا له النبي ﷺ بخير .

هجرته إلى المدينة المنوّرة :

لمّا أَذِنَ النبيُّ ﷺ للمسلمين أن يهاجروا من مكّة إلى المدينة المنوّرة خرج الزبير ﷺ مع المهاجرين ، ونزل في مكان يُسَمَّى العُصْبة عند قُباء في ضاحية المدينة .

وفي المرحلة المدنيّة قام بين المسلمين والمشركين حرب ضروس وجهاد مستمّر وبرزتْ للزبير ﷺ منذئذ بطولات رائعة ، كان ثوابه عليها أنْ بُشّر لإخلاصه وإقدامه وفدائيته بالجنّة ، وأن أقطعه النبي ﷺ بعض الأراضي مّما أفاءه الله على المسلمين ، وأنفلهم[1] إياه .

يوم بدر :

أوّل معركةٍ ذاتِ شأن بين المسلمين والكافرين كانت يومَ بدر ، يوم التقى الجمعانِ التقاءَ عقيدة ، فكمْ من أبٍ في جمعٍ وابنه في الجمع الآخر ، ولقد سُمي

---

(١) النوافل الغنائم

أبو عبيدة بن الجرّاح ﷺ بأمين الأمّة لأنه تصاول مع أبيه ، كل يريد الفتك بالآخر ، من أجل عقيدته ، فقتل أبو عبيدة (عامر) أباه (الجرّاح) .

وعلى هذه الشاكلة قتل الزبير ﷺ عمّه نوفل بن خويلد ، الذي طالما كان قد عذّبه يومَ أسلم ، وقتلَ الزبير أيضاً خلقاً كثيراً حتى فُلَّ سيفهُ ، وأصيبَ هو بجرحَين بالِغين .

وكان الزبير ﷺ يعتمر يوم بدرٍ بعمامة صَفراء ، وكان على ميمنة جيش المسلمين ، وقد نزلت الملائكة يومئذ بعمائم صفر ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير » .

وقال الزبير : قال لي رسول الله ﷺ (يوم بدر) : « فداك أبي وأمّي » .

في يوم أحد :

انتهى خطأ فريق من الرّماة الذين كانوا على الجبل يوم أحد فنزلوا دون آذْن من النبيّ ﷺ إلى نتيجة صَعبة على المسلمين حتى صاروا يُصعدون ولا يلوون على أحد .

ولم يثبتْ مع النبي ﷺ إلا ثُلّة قليلة ، وكان الزبير ﷺ من هؤلاء الذين ثبتوا حول رسول الله ﷺ يدافعون عنه ويحمونه من أذى سيوف المشركين ورماحهم ونبالهم ، كما بايعه على الموت .

ولمح النبيّ ﷺ خلال المعركة رجلاً يقتّل المسلمين فقال ﷺ : قم إليه يازبير .

ولكي يتمكّن منه الزبير انتحى رَبْوةً فرقيَها ، ثم قفز على الرجل فاعتنقه ، ثم أقبلا يتحدّران حتى وقعا إلى الأرض ، ووقع الزبير على صَدْر الرجل فقتله .

يوم قريظة :

غدر يهود بني قريظة بالمسلمين في أشدّ الأوقات حرجاً ، فلما ردّ الله تعالى الذين كفروا من الأحزاب بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال كُلّف النبيُّ ﷺ بمحاصرة بني قريظة ، وكان النبيّ ﷺ قد كلّف الزبير وعليّاً بالتماس خبر القوم ، فلمّا تمعّنا في الحصن رجعا وهما يردّدان : والله لنذوقنّ ما ذاق حمزة ، أو لنفتحَنّ عليهم حصنهم .

يومَ حنين :

كان الزبير ﷺ يومَ حنين واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسَه بمُلاءة حمراء، يَذْرَعُ ميدان المعركة وتفر من بين يديه الفرسان ، فقال أحد المشركين : « هذا الزبير بن العوامّ ، وأحلفُ باللات ليخالطنّكم فاثبتوا ، فما زال الزبير يطاعن المشركين حتى أزاحهم عن مواقعهم » .

وأبصر الزبيرُ ﷺ مالك بن عوف زعيم هوازن وقائدها في غزوة حنين ، أبصره واقفاً ـ بعد هزيمتهم ـ في جماعة من أصحابه وبقيّةِ جيشه المنهزم ، فاقتحم حشدهم وحده ، وشتّت شملهم ، وأزاحهم عن الكمين الذي كانوا يتربّصون فيه ببعض المسلمين العائدين من المعركة .

من أثر الجهاد :

أمضى هذا الصحابيّ الجليل سحابةَ عمره يجاهد في سبيل الله ، فما ترك الجهادُ في جسده موضعاً إلا وقد رمي بضربة سيف أو طعنة رمح أو وَقْعة سهم. وكان في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي .

وقال عروة بن الزبير : كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف ، كنت أدخل أصابعي فيها ، اثنتان يوم بدر ، وواحدة يوم اليرموك .

بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى جوار ربّه :

أبلى الزبيرُ رضي الله عنه في معارك الرّدّة التي خاضتها جيوش الخلافة في عهد أبي بكر رضي الله عنه بلاء حسناً ، وكان مستشاراً مؤتمناً لذلك الخليفة الصّدّيق ، وعندما أرسل أبو بكر رضي الله عنه قوّاته إلى اليرموك لفتح الشام تسلّم الزبير رضي الله عنه قيادة كردوس[1] في تلك المعركة المظفرة واقتحم في إحدى غاراته قوات العدو حتى بلغ آخرها ، وأصيب الزبير يوم اليرموك بجرح غائر .

فتح حصن بابليون :

توجّه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مصر ليفتحها ، ومعه ٣٥٠٠ جندي ، وتقدّم في أراضيها ، وفتح غير قليل من مواقعها ، لكنّه وجد أن ما معه من قوّات لا يكفي لمتابعة الفتوح ، لأنه كان يترك في كل موقع يدخله حامية ، ولذلك استنجد بأمير المؤمنين عمر ، فأرسل إليه الزبير بن العوام على رأس اثني عشر ألفاً

---

(١) قسم خالد رضي الله عنه جيش المسلمين إلى كراديس ، قِوامُ كلّ كردوس ألف مقاتل .

من الجنود مدداً ، فيهم أمثال المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة ابن مخلّد ، وخارجة بن حذافة ، فألفَوْا عَمْراً يحاصر حصْنَ بابليون المنيع الذي اعتصمتْ به قوّات الروم المدافعة عن العاصمة المصرية . فانضموا إليهم .

واستغرق الحصار سبعة أشهر ، حتى خطر للزبير أن يقتحم الحصن بطريقة فدائية ، وقد عرض هذه الطريقة على قادة الفتح معه ، وقال : إني أهبُ نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، وفي الليل أسند سُلّماً إلى سور الحصن ، من ناحية تُعْرَفُ بسوق الحَمَّام ، وبدأ يصعد .

وكانت كلمةُ السرّ بينه وبين جنده تكبيرةٌ يرتفع بها صوتُه ، وما إن سمعوا كلمة الله أكبر حتى تدافعوا إلى السلم ، فبوغت الروم بالمسلمين وقد دخلوا حصنهم فاستسلموا وانسحبوا ، وبذلك فتحت العاصمة المصرية بانسحاب حاميتها .

استنكار العُدوان على عثمان ﷺ :

كان الزبير ﷺ أحدَ الستّةِ المرشّحين للخلافة بعد استشهاد عمر ﷺ ، ولما اختير عثمان ﷺ بايعه الزبير ، وأنكر على أهل الشَّغب لما نقموا على الخليفة ذي النورين .

وإذ استشهد عثمانُ ﷺ طَفِقَ الزبير مع طلحةَ وعائشة يطلبون الخليفةَ الإمام علياً بدم عثمان ، لينتقم من قتلته ويقيم عليهم الحدّ .

و لم يَرتَض الإمام ذلك الرأي ، لأنه أراد تحجيم الفتنة ، فاصطدم الموقفان ، ولكلٍّ انحاز فريق من المسلمين ، يومَ الجمل ، والتقى عليّ بالزبير رضي الله

عنهما ، وتذكّرا أيامَهما الخوالي يوم كانا يقومان معاً بالأعمال الفدائية لنُصرة الدعوة الإسلامية أيّام الرسول ﷺ ، وبتكليف منه ، انسحب الزبير من المعركة، واتّجه إلى المدينة المنوّرة . وبينما كان قائماً يصلّي - في بعض مراحل الطريق - طعنه ابن جرموز غِيلةً في منطقة وادي السِّباع ، على مقربة من البصرة ، فاستشهدَ رضي الله عنه ، ودفن في تلك المنطقة ، وهو ابن ٦٤ سنة . وكان استشهاده سنة ٣٦هـ .

وجاء ابن جرموز علياً رضي الله عنه برأس الزبير وسيفه ، فغضب وقال : بشّروا قاتل الزّبير بالنار . وقال عن السيف : إن هذا لسيفٌ طالما فرَّج الكَرب عن رسول الله ﷺ..

وقال الفاسق ابن جرموز :

أتيتُ عليّاً برأسِ الزُّبَيرِ	أرجو لدَيه بهِ الزُّلْفَة[1]
فَبَشَّرَ بالنّار إذ جئتُه	فبئس البشارةُ والتُّحَفَة[2]
وسيّان عنديَ قتلُ الزبيرِ	وضرطةُ عَيرٍ بذي الجُحَفَة[3]

(١) الزلفة : القربى .
(٢) التحفة : الشيء المستطرف .
(٣) العير : الحمار - ذوالجحفة : موضع .

فجيعة المسلمين به . ومنزلته

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : طلحةُ والزبير جاراي في الجنّة

وقال جابر ﷺ : قال رسول الله ﷺ يوم بني قريظة : من يأتيني بخبر القوم ؟ فانتدب الزبير ، فقال النبيّ ﷺ : إن لكلّ نبيّ حَوارياً[1] ، وحواريّ الزبير . وقال عليه الصلاة والسلام : الزبير ابن عمّتي وحواريّ من أمّتي .

وقال الزبير ﷺ : جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرتين ، مرّة يوم أحد ، ومرة يوم قريظة ، فقال : ارم فداك أبي وأمّي .

وقالتْ عائشة رضي الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير : كان أبوك من الذي استجابوا لله وللرّسول من بعد ما أصابهم القرح .

وقال عمر ﷺ : إن الزبير ركن من أركان الدين .

وقال عثمان ﷺ : أما إنه (الزبير) لأخيرهم ، وأحبُّهم إلى رسول الله ﷺ .

وقالت عاتكةُ زوجة الزبير ترثيه وتذمّ قاتله ابن جرموز :

إنّ الزبير لذو بلاء صادقٍ	سمحٌ سجيّتُه كريمُ المشهدِ
كم غمرةٍ قد خاضَها لم يُثنِهِ	عنها طرادُك ياابن فَقْعِ الفَرْقدِ[2]
فاذهب فما ظفرت يداك بمثلهِ	فيما مضى ممّن يروح ويغتدي

(١) الحواريّ : الناصر ، والخليل ، والصاحب المستخلص

(٢) فقع : ضراط ـ الفرقد : الحمار .

وقال حسان ﷺ فيه أيضاً :

أقامَ على عهد النبيّ وهديه	حواريُّهُ والقولُ بالفعل يعْدلُ[1]
أقام على منهاجه وطريقه	يُوَالي وليَّ الحقِّ والحقّ أعدل
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي	يصولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ[2]
وإنّ امرأً كانت صفيَّةُ أمَّه	ومن أسدٍ ، في بيته لمرفَّلُ
له من رسولِ الله قربى قريبةٌ	ومن نُصْرةِ الإسلام مَجْدٌ مؤثَّلُ[3]
فكم كُربةٍ ذبَّ الزبير بسيفهِ	عن المصطفى والله يعْطي ويجزلُ[4]
إذاكشفتْ عن ساقها الحرب حشَّها	بأبيضَ سَبَّاقٍ إلى الموت يُرْقِلُ[5]

(١) الحواري : المناصر .
(٢) مُحَجل : مشهور .
(٣) مؤثّل : أصيل موطّد .
(٤) يجزل : يوسع .
(٥) كشفت الحرب عن ساقها : اشتعلت - حشّها : حركها ليزداد لهيبها - أبيض : السيف - يُرْقل : يسرع .

الخاتمة

بهذا تمَّ بعونه تعالى هذا الكتاب الذي يضمُّ ثلّة من شباب التفّوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودافعوا عنه دفاع الأبطال الميامين ، فأرسوا دعائم الإسلام ، ووطدوا أركانه .

ـ وفي خشوع وإجلال ، نوجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين . تحية الإسلام .

ـ السلام عليم أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وجزاك الله عنّا كل خير لما هديت وأعطيت .

والحمد لله رب العالمين

فهرس

اسم الصحابي	الصفحة
ـ المقدمة	٥
ـ علي بن أبي طالب	٧
ـ أسامة بن زيد	٢٣
ـ مصعب بن عمير	٣٧
ـ البراء بن عازب	٥١
ـ أنس بن مالك	٦٧
ـ سعيد بن زيد	٨١
ـ سلمة بن الأكوع	٩٥
ـ زيد بن ثابت	١٠٩
ـ جابر بن عبد الله	١٢٣
ـ أبو سعيد الخدري	١٣٧
ـ معاذ بن جبل	١٥١
ـ جعفر بن أبي طالب	١٦٥
ـ عبد الله بن عمر	١٧٩
ـ عبد الله بن مسعود	١٩٣
ـ عبد الله بن العباس	٢٠٧
ـ عبد الله بن عمرو	٢٢١
ـ رافع بن خديج	٢٣٥
ـ سمرة بن جندب	٢٤٩
ـ طلحة بن عبيد الله التيمي	٢٦٣
ـ الزبير بن العوام	٢٧٩
ـ الخاتمة	٢٩٣
ـ الفهرس	٢٩٤